

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١١، ١١٢ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

سورة الروم

تحقيق

د. سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة يس

تحقيق

د. محمد بن عبدالله بن سابح الطيار

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثامن عشر

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١١، ١١٢ -

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

سورة الروم

تحقيق

د. سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة يس

تحقيق

د. محمد بن عبدالله بن سابح الطيار

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ. د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثامن عشر

ح جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدي، علي بن أحمد

التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)./ سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين، محمد بن عبدالله بن سابح الطيار الرياض ١٤٣٠هـ.

٢٥مج. (سلسلة الرسائل الجامعية)

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٨- ٨٧٥- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١٨)

١. القرآن تفسير ٢. الواحدي، علي بن أحمد

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٢٧.٣ ٨٦٨/ ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٨٦٨/ ١٤٣٠هـ

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٨- ٨٧٥- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١٨)

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

[١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفْسِيرُ البَسِيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

سورة الروم

تحقيق

د. سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين

تفسير سورة الروم[1]

١- ﴿الٓمٓ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة العنكبوت.

٢-٣- قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال المفسرون: إن أهل فارس غلبوا أهل الروم ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ففرح بذلك كفار مكة، وقالوا: إن فارس ليست لهم كتب ونحن مثلهم، وقد غلبوا أهلَ الروم وهم أهل كتاب مثلكم، فنحن أيضًا نغلبكم كما غلبت فارس الروم[2].

وقال السدي: اقتتلت فارس والروم فغلبتهم فارس، ففخر أبو سفيان ابن حرب على المسلمين، وقال: الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم الكتاب. فذلك قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[3] وهم جيل من ولد الروم بن عيص بن إسحاق[4]، غلب اسم أبيهم عليهم، فصار كالاسم للقبيلة. وإن شئت قلت:

---

(١) مكية كلها. «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٠. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٣ب. وحكى الإجماع على ذلك ابن الجوزي، «زاد المسير» ٦/ ٢٨٦. وعدد آياتها: ستون آية. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٤أ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠١، عن مجاهد، وقتادة، والشعبي. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ١٧، عن ابن عباس، وعكرمة، وعطاء، والشعبي. وأخرجه مقاتل عن عكرمة، «تفسير مقاتل» ٧٥ب. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٤أ، وصدره بقوله: قال المفسرون. ولم يسمهم.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٦، عن ابن عباس، من طرق، وعن عكرمة، وقتادة. ولم أجد فيه رواية السدي. ولم أجده في تفسير السدي، جمع محمد عطا يوسف.

(٤) قال ابن دريد: الروم: جيل معروف. «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٠٣. وفي «اللسان» ١٢/ ٢٥٨ (روم): جيل معروف، واحدهم: رُومي، ينتمون إلى: عِيصو بن إسحاق النبي عليه السلام.

جمع رومي منسوب إلى روم بن عيص، كما يقال: زِنجي وزنج، ونحو ذلك.

قال صاحب النظم: لا يحتمل قوله: ﴿الم﴾ هاهنا إلا أن يكون في معنى القسم، ويكون خبره في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ على معنى: لقد غلبَت، فلما أضمرت: قد، أضمرت معها: اللام، وقد مما يضمر، كقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] وقول النابغة:

أَضْحَتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احتمَلُوا[١]

يعني: قد احتملوا.

ولما أضمر: قد، في الآية وهو موضع اللام أيضًا كقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦] فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ أضمر الفاء معه؛ لأنه موضعه، وذلك أن جواب (أما) لا يكون إلا بالفاء، كما قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وقوله: ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد الجزيرة[٢].

قال ابن أبي نجيح: هي الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى

---

(١) «ديوان النابغة» الذبياني ص٣١، وعجزه:

أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

وفي الحاشية: أخنى عليها: غيرها وأفسدها، لبد: زعموا أنه نسر كان للقمان بن عاد عمر طويلًا.

قال البغدادي: هذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر، واعتذر إليه مما بلغه عنه. «خزانة الأدب» ٤/ ٥.

(٢) لعل المراد بها: جزيرة أقُور فإنها تسمى: الجزيرة؛ لأنها بين دجلة والفرات، مجاورة الشام. وقد أطال الحديث عنها ياقوت في «معجمه» ٢/ ١٥٦. شمال غرب العراق، في المنطقة الفاصلة بين العراق وسوريا.

فارس[1]. وعن ابن عباس أيضًا: طَرف الشام[2].

وقال مقاتل: هي الأردن وفلسطين. وعكرمة: أذرعات وكَسْكَر[3].

وقوله: ﴿وَهُم﴾ يعني: الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ قال الفراء: كلام العرب: غَلَبتُه غَلَبَةً، فإذا أضافوا أسقطوا الهاء، كما أسقطوها من قوله: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] والكلام: إقامة الصلاة[4]. وأنكر الزجاج ذلك؛ وقال: هذا خطأ، والغَلَب والغَلَبة مصدر: غَلَبْتُ، مثل: الجَلَبُ والجَلَبَة[5].

وقال المبرد: أضاف الغلبة إلى الروم وهم مفعولون؛ لأن الفعل يضاف إلى مفعوله كما يضاف إلى فاعله؛ لأنه صاحبه، تقول: أعجبني

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٥أ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢١، عن ابن عباس، وأخرج نحوه ٢١/ ١٦، عن ابن عمر. وذكره عن ابن عمر الفراء، «معاني القرآن» ٢/ ٣١٩. قال الزجاج ٤/ ١٧٥: وتأويله: أدنى الأرض من أرض العرب.

(٣) في «تفسير مقاتل» ٧٥ب: أذرعات، عن عكرمة. وفي: ٧٧أ: الأردن وفلسطين. وليس فيه ذكر: كسكر. لكن ذكره عن عكرمة الثعلبي ٨/ ١٦٥أ. وأخرج ابن جرير ٢١/ ١٨، عن عطاء وعكرمة، أنها: أذرعات. وأَذْرِعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعَمَّان. «معجم البلدان» ١/ ١٥٨. و: كَسْكَر: تعريف ياقوت لها يدل على أنها مدينة بين: البصرة والكوفة. «معجم البلدان» ٤/ ٥٢٣، وهي جنوب شرق بغداد على نهر دجلة بالقرب من الحدود الإيرانية. وفي «تهذيب اللغة» ٢/ ٣١٥: أذرعات: بلد تنسب إليها الخمر. وفي «اللسان» ٨/ ٩٧: موضع بالشام تنسب إليه الخمر. (ذرع). وهي تبعد إلى الشرق من مدينة عكا بحوالي ١٢٠كم.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣١٩.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٧. الجَلَب: ما جلب القوم من غنم أو سبي، والجلب الجلبة في جماعة الناس، والفعل: أجلبوا وجَلَّبوا من الصياح. «تهذيب اللغة» ١١/ ٩٠ (جلب).

خياطة الخياط، وبناء الباني، ونجر النجار، ويضاف إلى المفعول، لأنه فيه حَلٌّ، يقولون: ما أحسن بناءَ هذه الدار، وخياطةَ هذا الثوب، ونجرَ هذا الباب، ومثل هذا في القرآن كثير؛ كقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: حب المال ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]: أي حب الطعام، ومثله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤] وهذا مما ذكرنا قديمًا(١).

٣-٤- قوله تعالى: ﴿سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ ذكرنا تفسير البضع عند قوله: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢](٢). أخبر الله تعالى: أن الروم بعدما غُلبوا سيغلبون، ويصيرون غالبين لفارس؛ روى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ناحب أبو بكر قريشًا ثم أتى النبي ﷺ وقال: إني ناحبتهم، فقال له النبي ﷺ: «**فهلا احتطت فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع**»(٣).

---

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال الفراء والزجاج: والمعنى: بسؤاله نعجتك فأضيف المصدر إلى المفعول لما ألقيت الهاء من السؤال، ومثله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] أي: من دعائه بالخير، فلما ألقى الهاء أضيف الفعل إلى الخبر وألقي من الخبر الباء، كقول الشاعر:

ولست مُسلِمًا ما دمت حيًّا   على زيد بتسليم الأمير

أي: بتسليمي على الأمير.

(٢) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية الخلاف في البضع، والأقوال التي ذكرها:

١- البضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه؛ أي: من واحد إلى أربعة. قاله أبو عبيدة.

٢- قال الأصمعي: ما بين الثلاث إلى التسع، وصححه الزجاج.

٣- البضع ما بين العقدين، وهو قول الأخفش. ثم قال الواحدي: وعامة المفسرين على أن المراد بالبضع هاهنا: سبع.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٧، من طريق ابن شهاب الزهري عن عبيد الله، عن عبد الله بن عباس. ومن الطريق نفسه أخرجه الترمذي ٥/ ٣٢٠، كتاب التفسير، =

والمناحبة: المراهنة، وذلك قبل تحريمه[١].

وقال في رواية عطاء: لما نزلت هذه الآية جرى بين أبي بكر رضي الله عنه وبين أمية بن خلف في ذلك كلام حين وقع بينهما رهان على ثلاث قلائص[٢] إلى أجل ثلاث سنين، فأتى أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: **«ارجع فاستزده في القلائص، وفي السنين»**؛ فصيروا الرهان سبع قلائص إلى سبع سنين[٣].

وقال الشعبي: بلغنا أن المسلمين والمشركين تخاطروا[٤] بينهم لما نزلت هذه، وذلك قبل تحريم القمار، وضربوا بينهم أجلًا، فقال النبي ﷺ: **«لو ضربتم أجلًا آخر فإن البضع يكون ما بين الثلاث إلى تسع»** فزايده إلى

= رقم (٣١٩١). وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس». وهو حديث مرسل؛ فعبيد الله بن عبد الله قد أرسل عن جماعة من الصحابة منهم: ابن عباس. «تهذيب التهذيب» ٧/ ٢٢. والحديث في «ضعيف سنن الترمذي» ٤٠٢، رقم (٦٢٤).

وقد ورد في النسختين هكذا: عبد الله بن عبد الله، والصواب: عبيد الله بن عبد الله، كما هي رواية الترمذي، وابن جرير.

(١) «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٤ب. والنَّحب، تطلق على معانٍ، منها: النذر، والقمار، وغيره. «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٧ (نحب).

(٢) القَلُوص: الفتية من النوق، بمنزلة الفتاة من النساء. وتطلق أيضًا على: كل أنثى من الإبل من حين تركب، وإن كانت بنت لبون أو حِقة. «تهذيب اللغة» ٨/ ٣٦٨ (قلص).

(٣) أخرج نحوه ابن جرير ٢١/ ١٦، عن ابن عباس، من طريق سعيد بن جبير. وأخرجه أيضًا عن عكرمة، وقتادة، مع اختلاف في عدد السنين، وعدد القلائص، وكذا في «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٤ب، ولم ينسبه.

(٤) الخَطَر، والسَّبَق، والنَّدَب، واحد، وهو كله: الذي يوضع في النِّضال، والرهان، فمن سبق أخذه. «تهذيب اللغة» ٧/ ٢٢٤ (خطر).

سبع سنين على سبعة أبكار، قال: فالتقى الروم وفارس، فغلبهم الروم، فجاء جبريل بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم، ووافق ذلك يوم بدر[(١)].

وقال: سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما غلبت فارس الروم وفرح المشركون بذلك، ذكروا ذلك لأبي بكر؟ فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنهم سيغلبون فارس**» فذكر أبو بكر لهم: إن الروم سيغلبون ثم عقدوا عقد الرهان على ما ذكرنا[(٢)].

قال أبو إسحاق: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله ﷻ؛ لأنه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه إلا الله[(٣)].

وقال جماعة من المفسرين: صاحب القمار من جهة المشركين كان أبيّ بن خلف، وكان الخَطَر بينهم: مائة من الإبل[(٤)].

وقوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ أجمع المفسرون: أن الروم غلبت فارس بعد ما أخبر الله بهذه الآية أنهم سيغلبون في السنة السابعة[(٥)].

---

(١) أخرجه عنه ابن جرير ٢١/ ١٩، مختصرًا.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٦، من طريق سعيد بن جبير. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٥، كتاب التفسير، رقم (٣٥٤٠)، من طريق سعيد أيضًا، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه من طريق سعيد أيضًا الترمذي ٥/ ٣٢٠، كتاب: التفسير، رقم (٣١٩٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وهو في «صحيح سنن الترمذي» ٣/ ٨٧، رقم (٢٥٥١).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٥.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٩، عن عكرمة، وقتادة. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٤ب، ولم ينسبه.

(٥) «تفسير مقاتل» ٧٧أ. وليس فيه ذكر السنة، بل ذكر فيه أن ذلك وقع في سنة الحديبية، وقد وقع صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة. «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ٣٢١، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، ١٨٤. وذكر سبع=

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ حين غلبت الروم فارس. وهذا قول الجميع؛ قالوا: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ أن تغلب ﴿وَمِنۢ بَعْدِ﴾ ما غلبت(١). والمعنى: أن غلبة أحدهما الآخر، أيهما كان الغالب والمغلوب فإن ذلك بأمر الله وإرادته وقضائه وقدره، فحين غلبت فارس الروم كان الأمر لله، وحين تغلب الروم فارس يكون الأمر لله.

وذكرنا الكلام في وجه ارتفاع ﴿قَبْلُ﴾ و ﴿بَعْدُ﴾ في أوائل سورة البقرة(٢). وذكر الفراء والزجاج هاهنا كلامًا طويلًا في إعراب ﴿قَبْلُ﴾

= سنين نيار بن مُكرَّم، أخرجه عنه الترمذي ٥/ ٣٢١، بسند حسن، قاله الألباني، صحيح سنن الترمذي ٣/ ٨٨. وذكره السيوطي عن ابن شهاب، وقتادة، «الدر المنثور» ٦/ ٤٨١، وأخرج ابن جرير ٢١/ ٢٠، عن ابن مسعود، أنها تسع. فحكاية الإجماع هنا غريبة؛ إذ قد اختلفت أقوال المفسرين في زمن وقوع ظهور الروم على فارس؛ فقيل: يوم بدر، وقيل في صلح الحديبية، وقيل بعد سبع سنين من الأجل، وقيل بعد تسع سنين، والثعلبي لما ذكر القول بأن المدة: سبع سنين، قال بعده: هكذا قول أكثر المفسرين. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٤ب. فحكاية الإجماع هنا غير مستقيمة. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢١، بنحوه عن ابن جريج. و«تفسير مقاتل» ٧٧أ. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٦.

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿قَبْلُ﴾ يبنى على الضم في هذا الموضع؛ لأنها تضمنت معنيين؛ أحدهما معناها في ذاتها وهو السبق، والآخر معنى ما بعدها؛ لأن التأويل: هذا الذي رزقنا من قبله، فهو وإن لم يضف ففيه معنى الإضافة، فلما أدت عن معنيين قويت فحملت أثقل الحركات وكذلك قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ تأويله من قبل كل شيء وبعده، وهذا مذهب الفراء والمبرد، واختيار ابن الأنباري.
وقد ذكر إعرابهما سيبويه، «الكتاب» ٣/ ٢٨٦، والمبرد، «المقتضب» ٣/ ١٧٤، ١٧٥، والأخفش، «معاني القرآن» ٢/ ٦٥٨.

و﴿بَعْدُۚ﴾ ووجوه استعمالهما مركبة[(١)].

٤-٥- قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: حينئذ؛ حين تغلب الروم فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أبو بكر وأصحابه ﴿بِنَصْرِ اللَّهِۚ﴾ الروم على فارس[(٢)]. وقال مقاتل: لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتى الخبرُ المسلمين أن الروم قد غلبوا أهل فارس ففرح المؤمنون بذلك.

قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم بدر[(٣)] ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِۚ﴾ ونحو هذا قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم: بدر، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك. قال أبو سعيد الخدري: ظهر الروم على فارس يوم أحد[(٤)].

وقال آخرون: ظهر الروم على فارس يوم الحديبية؛ وهو قول عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣١٩-٣٢٢. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٧.

(٣) «تفسير مقاتل» ٧٧أ. ولا يفهم من نقل الواحدي عن مقاتل أن غلبة الروم على فارس كانت مقاربة لغزوة بدر، كلا، بل قال مقاتل: وأتى المسلمين الخبرُ بعد ذلك، والنبي ﷺ، والمؤمنون بالحديبية أن الروم قد غلبوا أهل فارس.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢١، وفيه يوم بدر؛ وهكذا ذكره السيوطي، «الدر المنثور» ٦/ ٤٨١، وعزاه لابن أبي حاتم، وأخرجه كذلك الترمذي ٥/ ٣٢٠، كتاب تفسير القرآن، رقم (٣١٩٢). فكتابة: أحد؛ بدل: بدر، في «البسيط» تحريف. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٩، عن عطاء، وقتادة. قال ابن كثير ٦/ ٣٠٣: وقد كانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء؛ كابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم.. وقال آخرون: بل كان نصرة الروم على فارس عام الحديبية؛ قاله عكرمة، والزهري، وقتادة وغيرهم.. ووجه بعضهم هذا=

وقوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد: الرومَ على فارس. وقال مجاهد: بإدالة الروم من أهل الكتاب على فارس أهل الأوثان[(١)].

قوله: ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: كما نصر الرومَ على فارس.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين خاصة[(٢)].

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ * وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٦- قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: مصدر مؤكد؛ لأن قوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ هو وعد من الله للمؤمنين، فقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة: وعد الله وعدًا[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة[(٤)] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس. ثم قال لكفار مكة:

٧- ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال عكرمة وإبراهيم: معايشهم وما يصلحهم[(٥)].

= القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حمص إلى إيلياء- وهو بيت المقدس- شكرًا لله ﷻ.. ولم يف بنذره إلا بعد الحديبية، ثم قال: والأمر في هذا سهل قريب.

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٧، عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٧. وذكره سيبويه، «الكتاب» ١/ ٣٨١. وذكره أيضًا المبرد؛ فقال: ومثل ذلك: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ لأنه لما قال: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ عُلم أن ذلك وعد منه، فصار بمنزلة: وعدهم وعدًا، ثم أضافه. «المقتضب» ٣/ ٢٣٢. ونحوه في «المسائل الحلبيات» ٣٠٣.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٥) أخرجه عنهما ابن جرير ٢١/ ٢٣.

وقال الحسن: يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم[١]. وروي عنه في هذه الآية قال: بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بيده فيخبرك بوزنه، ولا يحسن يصلي[٢].

وقال قتادة: يعلمون تجارتها وحرفتها وبيعها[٣].

قال ابن عباس: يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال[٤].

وقال الضحاك: يعلمون بنيان قصورها، وتشقيق أنهارها، وغرس أشجارها[٥].

وقال مقاتل: يعني حرفتهم، ومتى يُدرك زرعهم، وما يصلحهم في معايشهم[٦].

وقال أبو إسحاق: المعنى: يعلمون من معايش الحياة؛ لأنهم كانوا يعالجون التجارات[٧]، فأعلم الله ﷻ مقدار ما يعلمون، وقوله[٨]: ﴿وَهُمْ

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٣.

(٢) «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٤، ونسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٨. ولفظه في الدر: يقلب الدرهم على ظفره. وذكره ابن الجوزي، «زاد المسير» ٦/ ٢٨٩، ولفظه: ينقر الدرهم بظفره. وفي النسختين: ينقر الدرهم بيده. ولعل الصواب- والله أعلم-: يقلب الدرهم بيده؛ لأن تقليب الدرهم باليد يستفيد منه الحاذق معرفة الوزن دون النقر؛ الذي يمكن أن يستفاد منه معرفة النوع الرديء من الجيد.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٢، وابن جرير ٢١/ ٢٣، عن قتادة.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٢، من طريق علي بن أبي طلحة.

(٥) «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٥، ونسبه لابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٧) ذكر نحوه الفراء، «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٢.

(٨) هكذا: وقوله، في النسختين. ولعل الصواب: بقوله، كما يدل عليه السياق، والله أعلم. وأما عند الزجاج فقد جاءت بزيادة أوضحت المعنى؛ قال: .. فأعلم الله ﷻ=

عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[١]. قال مقاتل: ثم وعظهم ليعتبروا فقال:

٨- ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾[٢] أي: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ المكذبون بالبعث والقيامة في خلقي إياهم فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية[٣]. قال أبو إسحاق: وحذف فيعلموا؛ لأن في الكلام دليلًا عليه[٤].

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ قال الفراء: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: للثواب والعقاب[٥].

وقال الزجاج: إلا للحق أي: لإقامة الحق[٦]. وهو معنى قول مقاتل: لم يخلقهما عبثًا لغير شيء؛ خلقهما لأمر هو كائن[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ قال: للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه؛ وهو يوم القيامة[٨]. قال الزجاج: وهو الوقت الذي توفَّى فيه كل نفس ما كسبت[٩]. والمعنى: أولم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئًا فيعلموا أنَّ خلق السموات لأمرٍ، وأن لهما أجلًا، وهو: القيامة.

= لما نفى أنهم لا يعلمون ما الذي يجهلون، ومقدار ما يعلمون فقال: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ «معاني القرآن» ٤/ ١٧٨.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٨.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٣) تفسير ابن جرير ٢١/ ٢٤، باختصار.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٨.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٨.

(٧) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٨) «تفسير مقاتل» ٧٧أ، بنصه.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٨، وفيه: توفى فيه. وسقطت كلمة: فيه، من النسختين.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال مقاتل والكلبي: يعني كفار مكة[١] ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: بالبعث بعد الموت ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾ لا يؤمنون أنه كائن[٢].

قال أبو إسحاق: معناه: لكافرون بلقاء ربهم، تقدمت الباء؛ لأنها متصلة بكافرون، وما اتصل بخبر إنَّ جاز أن يُقدم قَبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر، كقولك: زيد كافر لبالله؛ لأنها تدخل على الابتداء والخبر فتؤكد الجملة، ولا تأتي توكيدًا وقد مضت الجملة[٣].

٩- قال مقاتل: ثم خوفهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: الأمم الخالية كان عاقبتهم العذاب في الدنيا[٤]. والمعنى: أو لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم ويعلموا أنهم أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا. ثم وصفهم فقال:

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أعطاهم من القوة ما لم يعطِ هؤلاء ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ ذكرنا تفسير: الآثار، عند قوله: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١][٥] قال الفراء: حرثوها[٦]. وهو قول مجاهد[٧].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٧أ، و«تنوير المقباس» ص٣٣٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧أ، بنصه.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٧أ.

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تقلبها للزراعة. ومعنى الإثارة: تفريق الشيء في كل جهة، يقال: أثرت الشيء واستثرته إذا هيجته. ..

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢. وقال أبو عبيدة: أي: استخرجوها، ومنه قولهم: أثار ما عندي: أي: استخرجه، وأثار القوم: أي: استخرجهم. «مجاز القرآن» ٢/ ١١٩.

(٧) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٥.

وقال ابن قتيبة: قلبوها للزراعة[١].

وقال ابن عباس: يريد الأجنة[٢] والأنهار وما غرسوا من الأشجار[٣]. يريد أن أثارهم كان لأجل هذه الأشياء.

وقال مقاتل: يعني: وملكوا الأرض[٤]؛ وهذا معنى وليس بتفسير؛ وذلك أنه يثير الأرض مالكها.

وقوله: ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ يعني: الأمم ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ يعني: كفار مكة[٥]. واختلفوا لِمَ كانت الأمم أكثر عمارة من أهل مكة؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا أكثر عمارة لأنهم كانوا أطول عمرًا؛ وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل؛ قال الكلبي: وبقوا فيها أكثر مما بقي فيها قومك[٦].

وقال مقاتل: يقول: وعاشوا في الأرض أكثر مما عاش فيها كفار مكة[٧]. وإذا كانوا أطولَ بقاءً، وأكثرَ عيشًا كانوا أكثر عمارة. وقال آخرون: لأنهم كانوا أكثر عددًا؛ فقد روي أنه لم يبق نَشَزٌ[٨] من الأرض يحتمل عمارة إلا كان لها عامر على عهد عاد، والأمم السالفة. وذكر أبو إسحاق معنًى آخر؛ فقال: يعني: أن الذين أهلكوا من الأمم كانوا أكثر حرثًا

---

(١) «غريب القرآن» ص٣٤٠.

(٢) هكذا في (أ)، (ب): (الأجنة)، وهي جمع جنة. قال الأزهري: الجنة: الحديقة، جمع جنان. «تهذيب اللغة» ١٠/ ٥٠٣ (جنن).

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٤، بلفظ: ملكوا الأرض وعمروها.

(٤) لم أجده في تفسير مقاتل، ولم أجده كذلك عند الثعلبي.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢.

(٦) «تنوير المقباس» ص٣٣٩.

(٧) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٨) النَّشَزُ، والنَّشْزُ، والوَشَز: ما ارتفع من الأرض. «تهذيب اللغة» ١١/ ٣٠٥ (نشز).

وعمارة من أهل مكة؛ لأن أهلَ مكة لم يكونوا أصحاب حرث[(١)].

قوله: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ قال ابن عباس: يريد: الحلال والحرام، والأحكام والحدود. وقال مقاتل: فيعذبهم على غير ذنب[(٢)] ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب. ودلَّ هذا الكلام على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا؛ لأن الله أعلم أنه عذبهم غيرَ ظالم لهم.

قال صاحب النظم: يأتي [الظلم][(٣)] في الكلام لثلاثة معانٍ؛ أحدها: وضع الشيء في غير موضعه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] وذلك أنه وضع الربوبية غير موضعها. والثاني: المنع والحبس، كقوله: ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الكهف: ٣٣] والثالث: أخذ الشيء قبل وقت أخذه، كقول الشاعر:

وقائلة ظلمتُ لكم سقائي   وهل يخفى على العَكِد الظليم[(٤)]

والظليم هاهنا: اللبن يُشرب قبل أن يُدرِك ويَروب؛ والمعاني الثلاثة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧ب، في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فلعل ذكر الآية سقط من النسختين. والله أعلم.

(٣) كلمة (الظلم) غير موجودة في النسختين، وزدتها لاستقامة الكلام.

(٤) «تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٨٣ (ظلم)، ولم ينسبه. وكذا في «مقاييس اللغة» ٣/ ٤٦٩. وكذا في «لسان العرب» ١٢/ ٣٧٥. سبق أن استشهد الواحدي بهذا البيت في تفسير سورة البقرة. والبيت غير منسوب في «جمهرة الأمثال» ١/ ١٣١، واستشهد بهذا البيت في ذكر المثل: أهون مظلوم سِقاء مروَّب. وكذا في «مجمع الأمثال» ٢/ ٤٨٢، و«المستقصى» للزمخشري ١/ ٤٤٤. والعَكِد: أصل اللسان. «تهذيب اللغة» ١/ ٣٠٠ (عكد). معنى البيت: أن اللسان يدرك بالشرب أن اللبن قد ظُلِم بأخذه قبل وقته.

محتملة في هذه الآية؛ فيكون معنى قوله: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بوضع عذابهم في غير موضعه؛ بأخذهم قبل وقته، وبحبس شيء من أرزاقهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بوضعها في غير موضعها من التغرير بها، وتعريضها للهلاك بالكفر، وترك النظر لها. ويظلمون أنفسهم أيضًا بمنعها الخير من الإيمان.

١٠- ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني أشركوا[١].

وقوله: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أكثر التفسير في ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أنها: النار، ضد الحُسنى؛ وهي: الجنة[٢]. وهو قول الأخفش والفراء والزجاج وابن قتيبة[٣]، قال الزجاج وغيره: إساءتهم هاهنا: كفرهم، وجزاء الكفر: النار[٤]. كما جُعل للعمل الحسنى؛ وهو: الإيمان: الثواب الحسن؛ وهو: الجنة، في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦].

قال ابن قتيبة: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ جهنم، والحسنى: الجنة[٥]. وقال غيره: سميت جهنم ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ لأنها تسوء صاحبها، من قولهم: ساءه يسوؤه.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٥، من طريق علي بن أبي طلحة. و«تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٥، عن ابن عباس، وقتادة. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٥ب، ولم ينسبه. والحسنى وردت في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] وقد ذكر الآية الواحدي بعد ذلك.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢. و«غريب القرآن» لابن قتيبة ٣٤٠. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩. قال الأخفش: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر هاهنا مثل: التقوى. «معاني القرآن» ٢/ ٦٥٦، ولم أجد فيه ما ذكر الواحدي.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩.

(٥) «غريب القرآن» ص٣٤٠.

وقيل: لأنها قبيحة المنظر، يقال ساء الشيء إذا قَبُح، يسوء، والسَّوء: المرأة القبيحة، ومنه: السيئ والسيئة، وقد ذُكرتا[١]، وقيل في تفسير ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ هاهنا أنها: العذاب في الدنيا. وهو قول مقاتل[٢].

وفي قوله: ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ﴾ قراءتان؛ الرفع والنصب[٣]، فمن نصب جعلها خبر كان، ونصبَها متقدمةً، كما قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] واسم كان على هذه القراءة يجوز أن يكون أحد شيئين؛ أحدهما: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ على تقدير: ثم كان عاقبة الذين أساؤا[٤]، ويكون أن في قوله: ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ مفعولًا له؛ أي: لأن كذبوا[٥].

وهذا معنى قول الفراء والزجاج؛ قال الفراء: ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ لتكذيبهم، ولِأن كذبوا، فإذا ألقيتَ اللام كان نصبًا[٦].

وقال الزجاج: المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النارَ لتكذيبهم بآيات

---

(١) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]: يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيء، والأنثى سيئة؛ أي: قبُح، ومنه قوله: ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] وسوَّأت على الرجل فعله؛ أي: قبحته عليه وعبته به، والسُّوأى ضد: الحسنى، والسَّوءاء: المرأة القبيحة.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع: ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ بالرفع، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ بالنصب. «السبعة في القراءات» ص٥٠٦، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٢، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ١٩٣، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٤.

(٤) اسم كان هنا غير واضح؛ لأن في العبارة نقصًا، وصوابها كما عند أبي علي في «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٢: التقدير: ثم كان السوأى عاقبةَ الذين أساؤوا.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٣.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢.

الله واستهزائهم[١].

الوجه الثاني في اسم كان على هذه القراءة هو: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ التقدير: ثم كان التكذيبُ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ ويكون: ﴿السُّوأَى﴾ على هذا مصدرًا، وفُعْلَى من أبنية المصادر، كالرُّجعى، والشُّورى، والبُّشرى[٢]، ومعنى الآية: ثم كان التكذيب آخرَ أمرهم أي: ماتوا على ذلك، كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب والشرك عقابًا لهم بذنوبهم. وهذا الوجه ذكره أبو علي، وصاحب النظم.

ومن رفع العاقبة جاز أن يكون الخبر: ﴿السُّوأَى﴾ و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ كما جاز فيمن نصب العاقبة أن يكون كلٌّ واحد منهما: الاسم، والتقدير: ثم كان عاقبةُ المسيء التكذيبَ بآيات الله، يعني أنه مات على التكذيب كما ذكرنا، أو يكون المعنى: أنه لم يظفر في شركه وكفره بشيء إلا بالتكذيب بآيات الله، و ﴿السُّوأَى﴾ على هذا في موضع نصب بأنه مصدر. وقد يجوز أن يكون: صفة لموصوف محذوف، كأنه الخُلَة ﴿السُّوأَى﴾ أو الخِلال ﴿السُّوأَى﴾[٣].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٣. والرُّجعى وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: ٨] والبشرى في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا..﴾ [يونس: ٦٤] و ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى..﴾ [هود: ٧٤] و ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧]، وأما الشورى فلم ترد في القرآن معرفة بالألف واللام، وإنما جاءت منكرة، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..﴾ [الشورى: ٣٨] والله أعلم.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٤، بنصه. وقد ضبطت: الخلة، بضم الخاء، والخلال بكسرها، ولم يبين في الحاشية المعنى، ولعل الصواب- والله أعلم-=

١١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ قال مقاتل: الله بدأ خلق الناس فخلقهم أولًا، ثم يعيدهم بعد الموت أحياءً كما كانوا ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فيجزيهم بأعمالهم في الآخرة[(١)].

وقُرئ (تُرْجَعُونَ) بالياء والتاء[(٢)]؛ فمن قرأ بالياء فلأن المتقدم ذكرُه غيبة؛ وهو قوله: (يَبْدَؤُا الخَلْقَ) والخلق هم: المخلوقون في المعنى، وجاء قوله: (ثُمَّ يُعِيدُهُ) على لفظ الخلق، وقوله: (تُرْجَعُونَ) على المعنى، ولم يرجع على لفظ الواحد كما كان ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ كذلك. ووجه التاء أنه صار من الغيبة إلى الخطاب، ونظيره: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة ٢] ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥][(٣)].

١٢- قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ قال مقاتل: ييأس. وهو قول الكلبي وقتادة[(٤)].

= أن المراد: الخَلَّة، بفتح الخاء، جمع: خِلال، بكسرها، والمراد بها: الخَصلة. «تهذيب اللغة» ٦/ ٥٦٩ (خلّ)، فيكون المعنى: الخصلة السوأى، أو الخصال السوأى. والله أعلم.

(١) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٢) قرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بالياء، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ بالتاء، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ بالتاء. «السبعة في القراءات» ص٥٠٦، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٤، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ١٩٤، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٤.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٤، بنصه.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٧ب. وذكره السيوطي عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم. «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٥. وهو قول الفراء؛ قال: ييأسون من كل خير. «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٢. وكذا أبو عبيدة، في «المجاز» ٢/ ١٢٠. وابن جرير ٢١/ ٢٦.

وقال مجاهد: يكتئب، وعنه أيضًا: يفتضح[(١)].

وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم[(٢)].

وقال أبو إسحاق: المُبْلِس: الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها، تقول: ناظرت فلانًا فأبلسَ؛ أي: انقطع وأمسك، ويئس من أن يحتج[(٣)].

وذُكر تفسير الإبلاس عند قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][(٤)].

قال الكلبي: يأس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب[(٥)].

١٣- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ أوثانهم التي عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم[(٦)] ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ قال الكلبي: تتبرأ منهم الآلهة، ويتبرءوا منها[(٧)].

١٤- ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: يُفرق بين أولياء الله وبين

---

(١) ذكرهما الثعلبي ٨/ ١٦٦أ. والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٥، وعزاهما لابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٢.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٧٩.

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: آيسون من كل خير، وهو قول مقاتل، وقال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته أو لا يكون عنده جواب: قد أبلس.. وقال الزجاج: المبلس: الشديد الحسرة اليائس الحزين. فالإبلاس في اللغة يكون بمعنى: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة، ويكون بمعنى: انقطاع الحجة، ويكون بمعنى: الحيرة بما يرد على النفس من البلية، وهذه المعاني متقاربة.

(٥) «تنوير المقباس» ص٣٣٩.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٦أ، بنصه.

(٧) «تنوير المقباس» ص٣٣٩، بنحوه.

أعدائه. وقال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار، فلا يجتمعون أبدًا(١). وقال الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقُن يوم القيامة؛ هؤلاء في أعلى عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين(٢). وكان قتادة يقول: فُرْقَةٌ والله لا اجتماع بعدها(٣).

وقال أبو علي: يصيرون فرقة بعد فرقة من قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] وهذا إخبار عن الخلق المذكور في قوله: ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ لأنه أراد المسلمين والكافرين جميعًا؛ يدل على ذلك أنه أخبر بمنزلة الفريقين فقال:

١٥- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾(٤)
قال الأخفش: يقال حَبَّره الله يُحَبِّره حَبْرًا، وهو محبور: مُكَرَّمٌ مُنَعَّمٌ(٥).

قال ابن السكيت: يُسَرُّون(٦). والحَبْرَة والحُبُور: السُّرور، وأنشد:

الحمد لله الذي أعطى الحَبْرَ(٧)

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٢) «الدر المنثور» ٦/ ٤٨٦، ونسبه لابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٩.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٧.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٠، حيث قال: وفيما بعده دليل على أن التفرق للمسلمين والكافرين، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ثم بين على أي حال يتفرقون فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

(٥) لم أجد قول الأخفش في كتابه المعاني عند هذه الآية، ولا عند قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]. ولم أجده في «تهذيب اللغة».

(٦) ذكره عنه الأزهري، «تهذيب اللغة» ٥/ ٣٤ (حبر). وذكره ابن قتيبة، «غريب القرآن» ٣٤٠، ولم ينسبه.

(٧) قول ابن السكيت مع إنشاد البيت ونسبته للعجاج في «إصلاح المنطق» ٢٥٢. =

وقال الليث: يُنَعَّمُون، والحَبْرَة: النعمة، وقد حُبِرَ الرجلُ حَبْرَة فهو: مَحْبُور، وأنشد للمرار[١]، فقال:

قَدْ لَبِسْتُ الدهر من أفنانه كلَّ فان ناعمٍ منه حَبِر[٢]

وقال المبرد: الحبرة والحبور والحبر: التنعم والفرح، ومنه المثل السائر: ما دار ملئت حَبْرة إلا وستملأُ عَبْرة[٣].

وقال أبو عبيدة: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسَرُّون ويُفرَحون[٤]. قال ابن عباس: يريد في رياض الجنة ينعمون[٥]. وهو قول مجاهد وقتادة[٦].

وقال مقاتل: يُكرمون بالتحف ونحوه[٧].

= ونقله عنه الأزهري، «تهذيب اللغة» ٥/ ٣٤ (حبر)، مقتصرًا على صدره، ولم ينسبه. وأنشده كاملًا أبو عبيدة، «مجاز القرآن» ٢/ ١٢٠، ونسبه للعجاج، وهو في ديوانه ٣٤، وعجزه:

موالي الحق إنِ المولى شكر

(١) المَرَّار العدوي، زياد بن منقذ بن عمرو، وسماه ابن قتيبة: المرَّار بن منقذ من صدي ابن مالك بن حنظلة، وأم صدي من جَلّ بن عدي فيقال له ولولده: بنو العدوية. والمرار من شعراء الدولة الأموية، كان معاصرًا للفرزدق وجرير. ت: ١٠٠هـ. «الشعر والشعراء» ص٤٦٩، و«خزانة الأدب» ٥/ ٢٥٣، و«الأعلام» ٣/ ٥٥.

(٢) كتاب «العين» ٣/ ٢١٨ (حبر)، ونقله عنه الأزهري، «تهذيب اللغة» ٥/ ٣٤، وفيهما نسبة البيت للمرار العدوي.

(٣) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٠، بلفظ: كل حَبرة تتبعها عَبرة. لم أجده في كتب الأمثال التي اطلعت عليها.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٢٠.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٧، بلفظ: يكرمون. وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٦أ.

(٦) أخرجه عنهما ابن جرير ٢١/ ٢٨، بلفظ: ينعمون. وذكره عنهما الثعلبي ٨/ ١٦٦أ.

(٧) «تفسير مقاتل» ٧٧ب، ولفظه: في البساتين يكرمون وينعمون فيها وهي: الجنة.

وقال السدي: يَفرحون ويُكرمون[١].

وقال أبو إسحاق: الحَبْرة في اللغة: كلُّ نِعمَةٍ حَسَنةٍ، والتحبير: التحسين، والحَبْر العالم؛ لأنه متخلق بأحسن الأخلاق[٢]، ويُحبرون: يُكرمون إكرامًا يبالغ فيه. وعن الأوزاعي ويحيى بن أبي كثير أنهما قالا هو: السماع في الجنة[٣]. وعلى هذا المعنى: يُنَعَّمون بالسماع.

١٦- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: أخبر أن حال المؤمنين: السماعُ في الجنة، والشغلُ بغاية النعمة. وأن حال الكافرين: العذاب الأليم، هم حاضروه أبدًا، غير مخفف عنهم.

١٧- ثم ذكر ما تُدرك به الجنة فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾[٤] قال الكلبي ومقاتل والفراء: فصلوا لله[٥].

---

(١) ذكره عنه الماوردي، «النكت والعيون» ٤/ ٣٠٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٠، وفيه: والحِبر: المداد؛ إنما سمي لأنه يُحَسَّنُ به.

(٣) أخرجه عنهما ابن جرير ٢١/ ٢٨. والثعلبي ٨/ ١٦٦أ. واقتصر عليه الزجاج ٤/ ١٨٠، ولم ينسبه.
- الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، تقدم.
- يحيى بن أبي كثير، الطائي مولاهم، أبو نصر اليماني، اسم أبيه: صالح، وقيل: غيره، أحد الأعلام الحفاظ، ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، روى عن أبي أمامة الباهلي في «صحيح مسلم»، ولكنه مرسل، وروى عنه الأوزاعي، ومعمر، ومحمد بن جابر، وغيرهم. ت: ١٣٢هـ. «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٢٧، و«تقريب التهذيب» ص١٠٦٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٠.

(٥) «تنوير المقباس» ص٣٣٩. و«تفسير مقاتل» ٧٧ب. و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٣.

روى مِقْسَمُ وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كلُّ تسبيح في القرآن فهو: صلاة. وقال مجاهد: كل سُبْحَةٍ في القرآن: صلاة[(١)].

قال المبرد: والعرب تقول: حتى أفرغ من سُبحتي؛ أي: من صلاتي. والتسبيح: اسم الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] أي: من المصلين.

قال صاحب النظم: فتكون سبحان الله على تأويل: سبحوا لله، فلما صُرف قوله: سبحوا إلى مصدره، نُصبَ ليُعلم أن معناه: الإغراء والأمر، كما قال ﷻ: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أي: فاضربوا الرقاب. هذا كلامه. وروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس؛ فقال: أرأيتَ الصلواتِ الخمس تجدها في القرآن؟ قال: نعم؛ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الغداة ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨][(٢)].

وروى أبو عياض عنه قال: جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة؛ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهر[(٣)].

١٨- قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو ابتداء الآية الثانية

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٩، وفيه: سجدة، بدل تسبيحة، فلعل الصواب: تسبيحة للآية. وضبط السبحة من «التهذيب» ٤/ ٣٣٩ (سبح).

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٣، وابن جرير ٢١/ ٢٩، وفيه: ثم قرأ: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٥، كتاب التفسير، رقم (٣٥٤١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٩، من طريق الحكم بن أبي عياض. وأخرجه من طريق آخر الثعلبي ٨/ ١٦٧أ.

في ذكر بيان المواقيت. قال ابن عباس: يريد: يحمده أهل السموات وأهل الأرض، ويصلون له ويسجدون.

وقال مقاتل: يحمده أهل السموات: الملائكة، ويحمده المؤمنون في الأرض[١].

قوله: ﴿تُظۡهِرُونَ﴾ أي: تدخلون في وقت الظهيرة[٢]؛ وهو: نصف النهار، وقد مر[٣]. يقال: أظهر مثل: أصبح وأضحى وأمسى.

١٩- قوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ قال عبد الله: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة، وهو حي، ويخرج الرجل منها حيًا، وهي ميتة[٤].

ونحو هذا قال مقاتل[٥]. وهذه الآية مما قد تقدم القول فيها[٦].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٢) في (ب): (الظهر).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨] ولم أجد في تفسير الواحدي لها إلا قوله: ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ يريد: المقيل.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٠، وأخرج نحوه أيضًا عن ابن عباس. وأخرج عن الحسن قال: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. ومثل ذلك: الطير من البيضة، والنخل من النواة. والآية عامة تشمل جميع ما ذكر؛ وإن كان الأقرب لسياق الآية أن المراد بها ضرب الأمثلة الحسية من المخلوقات على وحدانية الله ﷻ، وعلى البعث بعد الموت، ويدل لذلك قول الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾. والله أعلم.

(٥) «تفسير مقاتل» ٧٧ب. واقتصر عليه الزجاج ٤/ ١٨١، ولم ينسبه.

(٦) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ [آل عمران: ٢٧]: أكثر المفسرين على أن معناه: تخرج الحيوان من النطفة، وتخرج النطفة من الحيوان. وقال الكلبي: تخرج الفرخ من البيضة، =

قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ أي: يجعلها تنبت وذلك حياتها[(١)].

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ قال مقاتل: وهكذا تخرجون يا بني آدم من الأرض يوم القيامة بالماء كما يخرج العُشب من الأرض بالماء؛ وذلك أن الله تعالى يرسل يوم القيامة ماء الحيوان من السماء السابعة على الأرض بين النفختين كمني الرجال فتنبت عظام الخلق ولحومهم وجلودهم في قبورهم نبات العُشب[(٢)]، كما ينبتون في بطون أمهاتهم[(٣)].

= وتخرج البيضة من الطير؛ وهذا كالأول؛ لأن البيضة للطير بمنزلة النطفة لسائر الحيوانات. وقال ابن عباس في رواية عطاء والحسن: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والمؤمن حي الفؤاد، والكافر ميت الفؤاد، دليله قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. «البسيط» ١/ ٣١٣، (تح/ الحمادي).

(١) «تفسير مقاتل» ٧٧ب. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨١.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٧ب.

(٣) هذا جزء من حديث طويل موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ، أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال: كنا عند عبد الله بن مسعود ﷺ فذُكر عنده الدجال، فقال عبد الله بن مسعود: تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق فرقة تتبعه وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه.. إلى أن قال: ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون .. قال: فيرسل الله ماء من تحت العرش كمني الرجال فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء كما ينبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩] قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي: ما احتجا بأبي الزعراء. «المستدرك على الصحيحين» ٤/ ٦٤١، كتاب: الأهوال، رقم (٨٧٧٢). وهذا الحديث معروف عند أهل العلم بحديث الشفاعة الذي يرويه أبو الزعراء عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ رابع شفيع يقوم يوم القيامة، واسم أبي =

وهذا قول الكلبي والسدي(١).

وقال أبو إسحاق: كذلك يخرجون من قبورهم مبعوثين، ومعنى الكاف نصب لقوله: ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ والمعنى: أن بعثكم عليه ﷻ كخلقكم، أي: هما في قدرته متساويان(٢). يعني: أن ذكر ابتداء الخلق بقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ يعني: الإنسان من النطفة، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾.

= الزعراء: عبد الله بن هانئ؛ قال عنه البخاري: عبد الله بن هانئ، أبو الزعراء الكوفي..

روى عن ابن مسعود ﷺ، في الشفاعة: ثم يقوم نبيكم رابعهم، والمعروف عن النبي ﷺ: **أنا أول شافع**، ولا يتابَع على حديثه. «التاريخ الكبير» **٥/ ٢٢١**، رقم **(٧٢٠)**. وقال ابن عدي: يروي سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود إنْ كان قد سمع من عبد الله بن مسعود. «الكامل في ضعفاء الرجال» **٤/ ١٥٤٩**. وقد وقعت تسمية أبي الزعراء في تحقيق الألباني لأحاديث «شرح العقيدة الطحاوية» ص٤١٠، بـ: الوليد بن يحيى، ولا أدري كيف وقع ذلك، فلعله لم يقف على كلام البخاري، ولا ابن عدي، حيث أحال على الهيثمي وحده في «مجمع الزوائد» **١٠/ ٣٣٠**، والهيثمي ذكره هناك بكنيته، ونقد الهيثمي هذه الرواية لمخالفتها للحديث الصحيح: أنا أول شافع، ونسب هذا النقد الألباني للَّهيثمي، مما يدل على أنه لم يطلع على كلام البخاري في هذا الموضع. والله تعالى أعلم.

وكون السماء تمطر مطرًا ينبت منه أجساد العباد ثابت من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- في حديثٍ مرفوع؛ أخرجه مسلم في «صحيحه» **٤/ ٢٢٥٩**، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، رقم **(٢٩٤٠)**، والشاهد فيه قول النبي ﷺ: «**ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطَّلُ** أو الظِّلُ [نعمانُ الشاكُّ] **فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.**».

(١) «تنوير المقباس» ص**٣٣٩**.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨١.

وقرأ حمزة والكسائي (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء[١]؛ وحجة هذه القراءة قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣][٢] أضاف الخروج إليهم.

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ ومن دلالاته على توحيده وقدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني: آدم أبا البشر[٣] ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ قال ابن عباس: من لحم ودم. يعني: ذرية آدم ينتشرون: ينبسطون في الأرض. قاله مقاتل[٤]. وقال ابن عباس: تذهبون وتجيئون. ومعنى الآية: تعجيبهم من خلقه إياهم من تراب، ثم صيرورتهم بشرًا ينتشرون في الأرض.

٢١- قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال الكلبي: يقول: جعل لكم مِنْ خلقكم آدميًا مثلكم، ولم يجعله من الجن ولا من غيره[٥]. وقال غيره: يعني خَلْق حواء من ضِلَع من أضلاع آدم. حكاه الزجاج، وهو قول قتادة[٦]. وذكر غيره أن معنى ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أنه خلق

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بفتح التاء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضم التاء. «السبعة في القراءات» ص٥٠٦، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ١٩٥.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٥.

(٣) «تفسير مقاتل» ٧٨أ. وتفسير ابن جرير ٢١/ ٣١، وأخرجه عن قتادة. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٧ب.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٨أ.

(٥) «تنوير المقباس» ص٣٤٠، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٧ب، ولم ينسبه.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٢، ولم ينسبه. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٣١، عن قتادة. وكون حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم ﵇، مروي عن جمع من المفسرين، تفسير ابن جرير ٧/ ٥١٥، تح: محمود شاكر، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٥٢، وهي آثار موقوفة، ليس فيها شيء مرفوع للنبي ﷺ، وقد صرح ابن =

النساء من نطف الرجال[١].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ جعل بين الزوج والمرأة المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان، وما شيء أحبَّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما. وهذا معنى قول مقاتل والمفسرين[٢]. وروى عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿مَّوَدَّةً﴾ يعني: الجماع ﴿وَرَحْمَةً﴾ يعني: الولد. وهو قول الحسن[٣].

= إسحاق بأخذ هذه الأخبار عن أهل الكتاب، فقال: «أُلقي على آدم عليه السلام السِنة، فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم..». أخرجه ابن جرير ٧/ ٥١٦.

وأما كون المرأة خلقت من ضِلَع فهذا ثابت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة؛ ولفظه: استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا. البخاري، كتاب: النكاح، رقم (٥١٨٥)، «فتح الباري» ٩/ ٢٥٢، ومسلم ٢/ ١٠٩٠، كتاب: الرضاع، رقم (١٤٦٨)، وزاد: (وكسرها طلاقها). قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: قوله: (فإنهن خلقن من ضلع) كأن فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ، عن ابن عباس، أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم. «فتح الباري» ٩/ ٢٥٣.

(١) لعله يعني مقاتل؛ حيث قال: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: بعضكم من بعض. «تفسير مقاتل» ٧٨أ. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٧ب، ولم ينسبه. وذكر نحوه الماوردي عن علي بن عيسى. «النكت والعيون» ٦/ ٣٠٥.

والذي يظهر- والله تعالى أعلم- أن لا تعارض بين هذه الأقوال، فالقول الأول يدل على أن الزوج من جنس الآدمي، وهو بهذا يتفق مع القولين بعده، وأفاد القول الثاني أن أصل خلق الأنثى زوج الذكر من ضلع- على ما سبق بيانه- وأفاد القول الثالث التكاثر والتناسل عن طريق النطف. والله تعالى أعلم.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٨أ. وتفسير ابن جرير ٢١/ ٣١.

(٣) ذكره السيوطي، عن الحسن، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم. «الدر» ٦/ ٤٩٠.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من صُنعه ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عظمة الله وقدرته.

٢٢- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على توحيده وقدرته: ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: بأن الله خالقهما، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨](١).

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يعني: اختلاف اللغات كالعربية والعجمية والتركية وغيرها. وقوله: ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ مختلفة؛ لأن الخلق من بين أبيض وأسود وأحمر(٢). قال الكلبي: وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة(٣)، وألسنتهم وألوانهم مختلفة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد البر والفاجر. وعنه أيضًا: الإنس والجن(٤). وقرأ حفص: بكسر اللام(٥)؛ قال الفراء: وهو وجه جيد؛ لأنه قد قال: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤] ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠](٦).

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٨أ.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٨أ، بمعناه. من قوله: ﴿وَاخْتِلَفُ . . .﴾.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٧ب، ولم ينسبه.

(٤) «تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٥) قرأ حفص عن عاصم: ﴿لِلْعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام، جمع: عالِم، وقرأ الباقون: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ بنصب اللام. «السبعة في القراءات» (٥٠٦)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٤، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٤ .

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٣.

فَضۡلِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: يريد طلب المعيشة[(١)]. قال صاحب النظم: تأويله: ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، اعتبارًا بقوله: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ يعني: سماع اعتبار وتدبر. قال ابن عباس: يريد: لقوم يجيبون داعي الله، وجعل السماع بمعنى: الإجابة. وقال الكلبي ومقاتل: ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ مواعظ الله فيوحدون ربهم[(٢)].

٢٤- قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾ قال الأخفش: أراد أن يريكم، فحذف أن؛ لأن المعنى يدل عليه، وفي حرف عبد الله: ﴿أَن يُرِيكُمُ﴾[(٣)] وأنشد قول طرفة:

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أَحضُرَ الوغى .... البيت[(٤)]

---

(١) «تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٨ أ.

(٣) لم أجد هذه القراءة عند ابن خالويه ولا ابن جني.

(٤) البيت لطرفة من معلقته في «الديوان» ص١٠٥، وفيه: اللائمي، بدل: الزاجري، وعجزه:

وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخلدي

وأنشده كاملًا منسوبًا سيبويه ٣/ ٩٩، والثعلبي ٨/ ١٦٧ب. وأنشده ولم ينسبه، الأخفش ٢/ ٦٥٧، وابن جرير ٢١/ ٣٢، وفي حاشية ابن جرير: رواية البيت عند البصريين: أحضرُ، بالرفع؛ لأنه لما أضمر «أن» قبله ذهب عملها، وعند الكوفيين: أحضرَ، بالنصب؛ لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها. والوغى: الحرب، أراد: أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب، وتحصيل اللذات، هل تخلدني في الدنيا إذا كففتُ عن الحرب. وأنشد صدره ولم ينسبه أبو علي، «المسائل العسكرية» ص٢٠٢، وأنشد صدره ونسبه: ابن جني «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٨٥.

أراد: أن احضُرَ[١] .

وقال أبو إسحاق: المعنى: ومن آياته آيةٌ يريكم بها البرق، هذا أجود في العطف؛ لأن قبله خلق السموات، ومنامكم، فيكون اسمًا منسوقًا[٢] على اسم، ثم حُذف، ودلَّ عليه قوله: ﴿وَمِنَ﴾ كما قال الشاعر:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح[٣]

والمعنى: فمنهما تارة أموتها، أي: أموت فيها[٤]. وقال الفراء: أراد: فمنهما ساعة أموتها، وساعة أعيشها[٥]. قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون المعنى: ويريكم البرق خوفًا وطمعًا من آياته، فيكون عطفًا بجملة على جملة[٦]. وهذان القولان ذكرهما الفراء[٧].

قوله تعالى: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس: خوفًا من الصواعق، وطمعًا [من آياته فيكون][٨] بالرحمة .

وقال مقاتل وقتادة: خوفًا من الصواعق للمسافر، ولمن كان بأرض،

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٥٧. وليس فيه ذكر قراءة عبد الله. ولم أجدها عند ابن خالويه.

(٢) أي: معطوفًا.

(٣) البيت لتميم بن مقبل، «ديوانه» ص٢٤، أنشده ونسبه سيبويه ٢/ ٣٤٦. وأنشده ولم ينسبه، الفراء ٢/ ٣٢٣، وابن جرير ٢١/ ٣٣، والزجاج ٤/ ١٨٢. وفي حاشية سيبويه: الشاهد فيه: حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، والتقدير: فمنهما تارة أموت فيها.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٢.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٣.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٢.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

وطمعًا للمقيم[(١)]، وهذا مما تقدم تفسيره في سورة: الرعد[(٢)].

قال أبو إسحاق: وهما منصوبان على المفعول له؛ المعنى: يريكم للخوف والطمع، وهو خوفٌ للمسافر، وطمعٌ للحاضر[(٣)].

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره[(٤)].

وقال الفراء: يقول: تدوما قائمتين بأمره بغير عَمَدٍ[(٥)].

قال ابن عباس: يريد: بقوته وقدرته.

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال الكلبي: يعني النفخة الأخيرة[(٦)]. وقال مقاتل: يدعو إسرافيلَ من صخرة بيت المقدس حتى ينفخ في الصور عن أمر الله[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٢، عن قتادة، بلفظ: خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم. و«تفسير مقاتل» ٧٨أ، وقد ورد فيه: وخوفًا من الصواعق لمن كان بأرض.

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]: قال ابن عباس: يريد: خوفًا من الصواعق وطمعًا في المطر. وهو قول الحسن. وقال قتادة: خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم. وهذا قول أكثر أهل التأويل. قال أبو إسحاق وأبو بكر: الخوف للمسافر لما تأذى به من المطر، كما قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢] والطمع للحاضر المقيم؛ لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٢.

(٤) ذكره عن ابن مسعود: مقاتل ٧٨أ. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٤، عن قتادة.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٣. وهو قول الزجاج ٤/ ١٨٢.

(٦) «تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٧) «تفسير مقاتل» ٧٨أ. =

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ معناه التأخير وإن قدم؛ لأن التقدير: إذا أنتم تخرجون من الأرض. كذا قال مقاتل وأكثر العلماء[1].

= وقد ورد في الصور أحاديث كثيرة، بعضها في الصحيح، وبعضها في غيره، فمن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحًا باردة من قِبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه**» قال سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس**». أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٥٨، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٤٠). اللِّيت: صفحة العنق، وهما لِيتان، وأصغى: أمال. «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٢٨٤.

وأما الأحاديث الضعيفة فكثيرة؛ منها حديث الصور الطويل الذي أخرجه الطبراني، في كتابه: «الأحاديث الطوال» ص: ٣٦، المطبوع مع «المعجم الكبير» للطبراني ٢٥/ ٢٦٦، وقد ساقه بطوله ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٤٦، عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ثم قال: «هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة».

أما ما ذكره الواحدي عن مقاتل في تحديد المكان؛ من صخرة بيت المقدس، فلم أجده بهذا اللفظ في الأحاديث، وهذا التحديد يحتاج إلى دليل. والله أعلم.

(١) «تفسير مقاتل» ٧٨ب. وتفسير ابن جرير ٢١/ ٣٤، وأخرجه عن الضحاك. «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٨أ، ونسبه لأكثر العلماء، ولم يسمهم. وذكره النحاس عن أبي حاتم، «القطع والائتناف» ٢/ ٥٣٢.

قال أبو إسحاق: أي إذا دعاكم للبعث حييتم بعد الموت[١]. ولهذا جعل بعضهم تمام الوقف عند قوله: ﴿دَعْوَةً﴾؛ لأن قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ليس من صلة الدعوة، وهو من صلة ﴿تَخْرُجُونَ﴾ وهو مذهب نافع؛ قال يعقوب: هذا من الوقف الذي يحق على العالم علمه. وخالفه أبو حاتم؛ وقال: أظن الوقف: ﴿دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: وأنتم في الأرض، كما تقول: دعاكم من القبور، ودعوت فلانًا من بيته، أي: هو في بيته[٢].

وقال النحاس: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ ليس بوقف؛ لأنه لم يأت بجواب ﴿إِذَا﴾ وجواب ﴿إِذَا﴾ على قول الخليل وسيبويه: ﴿أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي: خرجتم. وكذا قال سيبويه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] تقديره عنده: قنطوا[٣]. والقول ما قال النحاس.

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال مقاتل: كلهم عبيده، وفي ملكه[٤] ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال: يعني: مقرون له بالعبودية، يعلمون أن الله ربهم وهو خلقهم. وهذا قول قتادة واختيار ابن قتيبة[٥]. والقنوت على هذا القول معناه: طاعة الإقرار[٦].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٢، وليس فيه كلمة: حييتم.

(٢) «القطع والائتناف» ٢/ ٥٣٢.

(٣) «القطع والائتناف» ٢/ ٥٣٢. وقد سئل سيبويه الخليلَ عن هذه الآية، «الكتاب» ٣/ ٦٣، وذكره المبرد في «المقتضب» ٢/ ٥٨. وإنما قدمت كتاب النحاس لنقل الواحدي عنه مذهب الخليل وسيبويه.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٨ب.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٥، عن قتادة. و«تأويل مشكل القرآن» ص٤٥٢، و«غريب القرآن» ص٣٤٠. وهو قول مقاتل ٧٨ب.

(٦) ذكر ابن الأنباري أن القنوت ينقسم في كلام العرب على أربعة أقسام: الطاعة، =

وقال الكلبي: وهذا خاص لمن كان منهم مطيعًا[١]. وعلى هذا لفظ الآية عام، ومعناها الخصوص[٢].

وقال أبو إسحاق: معنى ﴿قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون طاعة لا يجوز أن يقع معها معصية؛ لأن القنوت: القيام بالطاعة، ومعنى الطاعة هاهنا: أن من في السموات والأرض مخلوقون كما أراد الله ﷻ، لا يقدر أحد على تغيير الخِلقة، ولا مَلَك مقرب، فآثار الصَنعة والخِلقة تدل على الطاعة؛ ليس يعني بها طاعة العباد، إنما هو: طاعة الإرادة والمشيئة[٣]. وهذا معنى قول ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث، وإن عصوا في العبادة[٤]. وهذا مفسر في سورة البقرة[٥].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ قال مقاتل:

= الصلاة، طول القيام، السكوت. الزاهر في «معاني كلمات الناس» ١/ ٦٨.

(١) «تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٢) قال ابن جرير ٢١/ ٣٥: «وقال آخرون: هو على الخصوص، والمعنى: وله من في السموات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم». ثم ذكر معناه بإسناده عن ابن زيد.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٣.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٥.

(٥) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]: قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون. قال أبو عبيد: أصل القنوت في أشياء؛ منها: القيام، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة؛ لأنه إنما يدعو قائمًا.. والقنوت أيضًا: الطاعة.. قال الزجاج: المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله.. قال ابن عباس في هذه الآية: قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ راجع إلى أهل طاعته، دون الناس أجمعين. وهو من العموم الذي أريد به الخصوص، وهو اختيار الفراء.

يعني خلق بني آدم بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يعني: يبعثهم في الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا، قال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1].

واختلفوا في هذا؛ فذهب كثير من أهل التفسير والمعاني أن ﴿أَهْوَنُ﴾ هاهنا بمعنى: هين، يقول: وهو هين عليه. وهذا قول الحسن، والربيع، وقتادة، والكلبي؛ قالوا: هو هين عليه، أول خلقه وآخره، وما شيء عليه بعزيز[2].

وهذا مذهب أبي عبيدة، وذكره المبرد والزجاج[3]؛ وقالوا: يجيء أفعل بمعنى الفاعل، وأنشد[4] لمعن بن أوس[5]:

لعمرك ما أدري وإني لأَوجلُ

يعني لوجل[6].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٨ب.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٦، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع بن خُثيم. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٨أ، عن الربيع بن خثيم، والحسن، وقال: وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وذكره السيوطي عن الحسن، وعزاه لابن المنذر، «الدر المنثور» ٦/ ٤٩١. و«تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٢١، و«الكامل» ٢/ ٨٧٦. و«المقتضب» ٣/ ٢٤٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٣.

(٤) هكذا في النسختين؛ ولعل الصواب: وأنشدوا.

(٥) معن بن أوس بن نصر بن زياد المزنين شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه. مات في المدينة. «خزانة الأدب» ٧/ ٢٦١، «الأعلام» ٧/ ٢٧٣. وذكره ابن حجر في القسم الثالث؛ المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ. «الإصابة في معرفة الصحابة» ٦/ ١٧٩.

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٢١، وأنشد البيت كاملًا، ولم ينسبه، وعجزه: =

وقال الفرزدق:

بيتًا دعائمه أعزُّ وأطولُ[(١)]

وأنشد المبرد:

قُبِّحْتُم يا آل زيدٍ نفرًا   إلام قومٍ أصغرًا وأكبرًا[(٢)]

ومثله قولهم: الله أكبر؛ أي: الكبير، ورجل أوحد الناس؛ أي: أحد الناس[(٣)].

قال قتادة: وفي حرف ابن مسعود: ﴿وهو عليه هَيِّن﴾[(٤)]. وهذا معنى رواية عطاء عن ابن عباس؛ قال: يريد: هان الأول والآخر عليه[(٥)].

على أيِّنا تعدو المنية أول

وهو في «ديوان معن بن أوس» ص٣٦، وأنشده المبرد، «الكامل» ٢/ ٨٧٦، و«المقتضب» ٣/ ٢٤٦، وابن جرير ٢١/ ٣٧، ونسباه لمعن بن أوس. وأنشده ولم ينسبه الزجاج ٤/ ١٨٣.

(١) «ديوان الفرزدق» ٢/ ١٥٥، وصدره:

إن الذي سمك السماء بنى لنا

وأنشده ونسبه أبو عبيدة ٢/ ١٢١، والمبرد، في «الكامل» ٢/ ٨٧٧، وابن جرير ٢١/ ٣٧.

(٢) «الكامل» ٢/ ٨٧٧، و«المقتضب» ٣/ ٢٤٧، ولم ينسبه، وقال بعده: يريد: صغارًا وكبارًا. وفي «حاشية المقتضب»: لم يعرف قائل البيت. وهو في «خزانة الأدب» ٨/ ٢٤٦، غير منسوب.

(٣) «مجاز القرآن»، لأبي عبيدة ٢/ ١٢١. ولم ينشد البيت. والزاهر في «معاني كلمات الناس» ١/ ٢٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٢. لم أجدها عند ابن خالويه.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٦، من طريق محمد بن سعد بسنده عن ابن عباس، ولفظه: كل شيء عليه هين.

القول الثاني في هذه الآية ما ذهب إليه عكرمة ومجاهد: الإنشاء أهون عليه من الابتداء، والإعادة أهون عليه من البدأ. وهو معنى رواية الوالبي عن ابن عباس[١]. وهذا ليس على ظاهره؛ لأنه لا يجوز أن يكون شيء على الله أهون من شيء[٢]؟

ووجهه ما ذكره مقاتل، والمبرد، والفراء، والزجاج؛ قال مقاتل: يقول: البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار من الخلق الأول[٣].

وقال المبرد: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندكم؛ لأنكم قد أقررتم بأنه بدأ الخلق، وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه[٤]. ونحو هذا قال الفراء[٥]. واختار أبو إسحاق هذا الوجه؛ وقال: إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء والإنشاء[٦].

وفي الآية قول ثالث؛ وهو: أن الكناية في ﴿عَلَيْهِ﴾ تعود إلى الخلق،

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٦، عن ابن عباس، من طريق علي بن أبي طلحة، وأخرجه عن مجاهد، وعكرمة. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٨أ، عن مجاهد وعكرمة، وقال: وهي رواية الوالبي عن ابن عباس.

(٢) أخرجه بسنده الفراء، عن مجاهد، ثم قال: ولا أشتهي ذلك، والقول فيه: أنه مثل ضربه الله فقال: أتكفرون بالبعث، فابتداء خلقكم من لا شيء أشد. «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٤.

(٣) «تفسير مقاتل» ٧٨ب.

(٤) «المقتضب» ٣/ ٢٤٥، بلفظ: «تأويله: وهو عليه هين؛ لأنه لا يقال: شيء أهون عليه من شيء».

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٤.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٣.

والمعنى: أن الإعادة أهون على الخَلْقِ من الابتداء(١). وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح والسدي؛ قال ابن عباس: وهو أهون على المخلوق؛ لأنه يقول له يوم القيامة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣، النحل: ٤٠، مريم: ٣٥، يس: ٨٢، غافر: ٦٨] وأول خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة(٢).

وقال السدي: ليس يشتد على الله شيء، ولكن يعني به: المخلوق، يصاح به فيقوم سويًا؛ أهون عليه من أن يكون كما خلقه أولًا؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يعود رضيعًا ثم فطيمًا.

وقال عطاء: هو أهون على المخلوق أن يُبعث سميعًا بصيرًا، يَفهم ويفقه ويعقل، ليس مثل المولود لا يعقل حتى يكبر. قال أبو إسحاق: ومعنى هذا القول أن البعث أهون على الإنسان من إنشائه؛ لأنه يقاسي في النشأة ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث(٣).

---

(١) ذكر هذا القول ابن جرير ٢١/ ٣٦، والزجاج ٤/ ١٨٣، ولم ينسباه.

(٢) أخرجه بسنده الفراء من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٤. وذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٢، عن ابن عباس، من طريق أبي صالح. وذكره كذلك الثعلبي ٨/ ١٦٨أ.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٣. وقد اعترض على هذا القول أبو عبيدة، فقال بعد أن ذكر أن المراد في الآية: وهو هين عليه، قال: فإن احتج محتج فقال: إن الله لا يوصف بهذا، وإنما يوصف به المخلوق، فالحجة عليه قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب ١٩] وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]. «مجاز القرآن» ٢/ ١٢١.

ولم يرجح الواحدي شيئًا من هذه الأقوال، والذي يظهر من سياق الآيات أن المراد إثبات البعث والرد على المنكرين له، المستبعدين وقوعه، بعد موتهم وفنائهم، فأعلمهم الله ﷻ أن إقرارهم بالخلق الأول يستلزم الإيمان بإعادتهم، إذ هي أهون وأيسر، ويدل على ذلك تقدم الآيات في إثبات الربوبية، والتي منها=

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: أي ليس كمثله شيء[(١)].

وقال قتادة: مثله الأعلى أنه: لا إله إلا هو في السموات والأرض[(٢)]. وعلى هذا يكون المثل بمعنى الصفة؛ يعني: وله الصفة العليا وهي أنه: لا إله غيره. وذكرنا قول من أجاز أن يكون المثَل بمعنى: الصفة، عند قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ في سورة الرعد [: ٣٥][(٣)].

وقال قوم: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني: ما ضرب من المثل في الإعادة أهون على المخلوق من الابتداء؛ لأن من قدر على ابتداء شيء كان أحرى أن يقدر على إعادته. وهذا اختيار الفراء والزجاج؛ قال الزجاج: أعلمهم أن يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء، وجعله مثلًا لهم، ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قد ضربه لكم مثلًا

= قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٨، من طريق علي بن أبي طلحة. وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٨أ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٨، عن قتادة. و«تفسير مقاتل» ٧٨ب. بمعناه. واقتصر على هذا القول ابن قتيبة، «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٢، ولم ينسبه .

(٣) أطال الواحدي الكلام في تفسير هذه الآية عن وجه ارتفاع: ﴿مَّثَلُ﴾ فذكر قول سيبويه والمبرد أنه مرفوع على الابتداء بتقدير: فيما نقص عليكم مثل الجنة، واختار هذا القول الأنباري وأبو علي، ثم قال: وقال قوم: المثل هاهنا: بمعنى الصفة؛ قالوا: ومعناها: صفة الجنة التي وعد المتقون، ونسبه لعمرو بن العلاء، ثم ذكر نقد المبرد وأبي علي لهذا القول، ولم يرجح الواحدي في هذه المسألة. وممن يمنع تفسيره بالصفة سيبويه، «الكتاب» ١/ ١٤٣.

فيما يصعب ويسهل[١].

وقال غيره من أهل المعاني مصححًا لهذه الطريقة: معنى قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: ما يمثل به دليلًا صفته الذي هو طريق إلى معرفته من أن إنسانًا إذا نسخ كتابًا فإعادة نسخه عليه أهون، وكذلك إذا صاغ حُليًا، هذا في مقدور العباد مع نقصانهم، فمقدور من لا يلحقه النقص من وجهٍ أولى أن يسع الإعادة. وعلى هذا المثل الأعلى هو: المثل الذي ضربه الله لتحقيق بيان قدرته على الإعادة، ووصف هذا المثل بأنه: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه مؤدٍّ إلى معرفةِ قدرة الله وصفتِه.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال ابن عباس: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٢٨- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾ قال مقاتل: نزلت في كفار قريش؛ وذلك أنهم كانوا يقولون في إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، فقال الله: ﴿ضَرَبَ لَكُم﴾ يقول: وَصَف لكم شَبهًا من أنفسكم[٢].

قال الكلبي: مِنْ مِثل خلقكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ يعني: من عبيدكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من أموالكم وعبيدكم وأهليكم ﴿فَأَنتُمْ﴾ وشركاؤكم من مماليككم فيما رزقناكم شرع ﴿سَوَآءٌ﴾[٣].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٣. و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٤، بنحوه.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٨ب. ولم يذكره الواحدي في «أسباب النزول».

(٣) «تنوير المقباس» ص٣٤٠، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٨أ. هكذا وردت عنده: شرع سواء. وفي «تنوير المقباس»: شرك. أي: من الشراكة؛ وهو أقرب. والله أعلم. قال ابن عباس: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ في الآلهة، وفيه، تخافونهم أن =

وقوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا[1]. وهو قول مقاتل، والسدي؛ قال: يقول: مِنْ مملوككم شركاؤكم في الميراث الذي ترثونه من آبائكم، فأنتم تخافون أن يدخل معكم مملوككم في ذلك الميراث، كما تدخلون أنتم فيه[2].

قال الكلبي: تخافون لائمتهم كما يخاف الرجل لائمة أخيه وأبيه وأقاربه[3].

وقال أبو مجلز: تخافون أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضًا[4].

فهذه ثلاثة أقوال في معنى قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ مرجعها إلى معنى واحد؛ وهو: أن عَبْدَ الرجل لا يكون مثله حتى يكون بينهما توارث، وخوف لائمةٍ ومقاسمةٍ. ومعنى الآية: أن الله تعالى يقول: كيف تعدلون بي عبيدي، وأنتم لا تعدلون عبيدكم بأنفسكم. قال قتادة: يقول: ليس مِنْ أحدٍ يرضى لنفسه أن يشاركه عبده في ماله وزوجه، حتى

= يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا. ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، في التفسير، سورة: الروم، قال ابن حجر: الضمير في قوله: فيه، لله تعالى، أي: أن المثل لله وللأصنام. «فتح الباري» ٨/ ٥١٠. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٩، من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٩، من طريق عطاء الخرساني. وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٨أ.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٨ب، بنحوه. وذكر نحوه الماوردي عن السدي. «النكت والعيون» ٤/ ٣١١.

(٣) «تنوير المقباس» ص٣٤٠.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٣٩. وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٦٨أ.

يكون مثله؛ يقول: قد رضي بذلك ناسٌ لله فجعلوا معه إلهًا شريكًا[1]. هذا قول المفسرين في هذه الآية.

وقد شرح أصحاب المعاني هذه الآية أبين شرح؛ قال صاحب النظم: هذا مثل ضربه الله ﷻ للذين جعلوا له شريكًا، فقال: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه فيه سواء يخافه كما يخافه غيره من شريكٍ له لو كان معه، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فِلمَ تجعلون لي عبيدي شركاء؟ والفاء في قوله: ﴿فَأَنتُمْ﴾ بمنزلة حتى، تأويله: حتى أنتم وعبيدكم فيه سواء. انتهى كلامه.

وقال ابن قتيبة: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وذلك أقرب عليكم ﴿هَل لَّكُم مِّن﴾ شركاء من عبيدكم الذين تملكون ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ﴾ وعبيدكم ﴿سَوَاءٌ﴾ يأمرون فيه كأمركم، ويحكمون كحكمكم، وأنتم ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كما يخاف الرجلُ الحرُّ شريكه الحرَّ في المال يكون بينهما، فلا يأمر فيه بشيء دون أمره، ولا يُمضي فيه عطيةً بغير أمره، وهو مِثلُ قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا تغيبوا إخوانكم من المسلمين. وقوله ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأمثالهم من المؤمنين خيرًا، يقول: فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أقاربكم وأرقائكم، فكيف تجعلون لله مِنْ عبيده شركاء في ملكه؟ ومثلُه قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١] فجعل منكم المالك والمملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ يعني السَّادة ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ مِنْ عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء. يريد:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٢، وفيه: ونفسه، بدل: وزوجه. وأخرجه بنحوه، ابن جرير ٢١/ ٣٨.

فإذا كان هذا لا يجوز بينكم فكيف تجعلونه لله[١].

وقال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن مملوك الإنسان ليس بشريكه في ماله وزوجته، وأنه لا يخاف أن يرثه مملوكه، يقول: فقد جعلتم ما هو مُلكٌ لله مِنْ خلقه مثلَ الله وأنتم كلكم بشر ليس مماليككم بمنزلتكم في أموالكم، فالله ﷻ أجدرُ أن لا يُعدل به خلقُه. انتهى كلامه[٢].

انتصب قوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ وهو مضاف إلى الفاعل، كما تقول: عجبت من اشترائك عبدًا لا تحتاج إليه، فإذا أضيف المصدر إلى المفعول ارتفع ما بعده، تقول: عجبت من موافقتك كثرة شربِ الماء؛ لأن المعنى: من أن وافقك، والعرب تقول: عجبت من قيامكم أجمعون وأجمعين، فمن خفض أتبعه اللفظ؛ لأنه في الظاهر خفض، ومن رفع ذهب إلى التأويل، وذلك أنه في تأويل رفع؛ لأنهم الفاعلون. هذا قول الفراء[٣].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بينا في ضرب المثل من أنفسكم. قال مقاتل: هكذا نبين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله الأمثال فيوحدونه.

٢٩- ثم ذكر الله الذين ضرب لهم المثل فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾[٤] يعني: الذين أشركوا ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ في الشرك ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه بأن مع الله شريكًا. قاله مقاتل[٥]. وقال ابن عباس: يريد: بغير علم جاءهم من الله.

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٤.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٨ب.

(٥) «تفسير مقاتل» ٧٨ب.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ قال صاحب النظم: هذا استفهام، ومعناه: النفي والإنكار على معنى: فلا هادي لمن أضل الله، يدل على ذلك قوله في النَّسَق عليه: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

٣٠- قال مقاتل: ثم قال للنبي ﷺ: إن لم يوحدْ كفارُ مكة ربَّهم فوحدْ أنت ربَّك، وهو قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ فالمعنى: فأخلص دينك(١). ونحوه قال سعيد بن جبير. وقال غيره: سدد عملك(٢).

والوجه في اللغة: ما يُتوجه إليه، وعملُ الإنسان ودينُه مما يَتوجه إليه الإنسانُ لتسديده وإقامته. وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢](٣).

قوله: ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ معناه على التقديم والتأخير؛ أي: حنيفًا للدين، أي: مائلًا إلى الطاعة، مستقيمًا عليها لا ترجع عنها.

قال أبو إسحاق: والحنيف الذي يميل إلى الشيء فلا يرجع عنه(٤).

قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال عكرمة ومجاهد:

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٩أ.

(٢) ذكره الماوردي عن الكلبي. «النكت والعيون» ٤/ ٣١١.

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: معنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: بذل وجهه له في السجود، وعلى هذا أسلم بمعنى: سلم.. قال ابن الأنباري: والمسلم على هذا هو المخلص لله العبادة.. وقال قوم من أهل المعاني: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: أسلم نفسه وجميع بدنه لأمر الله، والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشيء إلا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال جماعة: الوجه قد يقع صلة في الكلام؛ فقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد هو لله. ومثله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٤، وفيه: كالحَنَف في الرِجل، وهو ميلها إلى خارجها خِلقة، لا يملك الأحنف أن يَرد حَنفه.

الإسلام. وهو قول الحسن(١).

وقال مقاتل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ الملة، وهي: الإسلام والتوحيد الذي خلقهم عليه يوم أخذ الميثاق حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأقروا له بالربوبية والمعرفة(٢). ونحو هذا قال ابن زيد(٣). واختاره الزجاج

فذكره(٤). هذا قول المفسرين في هذه الآية، ويشكل هذا بأن يقال: الفطرة ابتداء الخلق، ولو كان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم على ملة الإسلام والتوحيد ما أشرك أحد ولا كفر أحد مع قيام الدليل بأن الله خلق أقوامًا للنار(٥)، وهم لم يخلقوا على الإسلام والتوحيد وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٠، عن مجاهد من طريق الحسن، وأخرجه كذلك عن عكرمة ٢١/ ٤١.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩أ. ونحوه قال ابن قتيبة، ولفظه: أي: خلقة الله التي خلق الناس عليها؛ وهي أن فطرهم جميعًا على أن يعلموا أن لهم خالقًا ومدبرًا. «غريب القرآن» ص٣٤١.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٠.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٤. قال ابن كثير ٦/ ٣١٤: «فإن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره.. وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية».

(٥) لعل الواحدي يشير بذلك إلى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة؛ لم يعمل السوء، ولم يدركه، قال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم». أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٥٠ في القدر (٢٦٦٢).

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩] والخبر قد ورد بتفصيل الفريقين يوم أخذ الميثاق حين أخرج الله تعالى من صلب آدم ذريته، بعضها سودًا وبعضها بيضًا، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار(١).

---

(١) أخذ الميثاق على ذرية آدم عليه السلام، ثابت في حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك). متفق عليه، البخاري، كتاب الأنبياء، رقم (٣٣٣٤)، «فتح الباري» ٦/ ٣٦٣، ومسلم ٤/ ٢١٦٠، كتاب صفات المنافقين، رقم (٢٨٠٥).
ومن ذلك أيضًا حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم فأخرج من صلبه ذريةً ذراها فنثرهم نثرًا بين يديه كالذر، ثم كلمهم فقال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾. أخرجه الحاكم ١/ ٨٠، كتاب: الإيمان، رقم (٧٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر، ووافقه الذهبي. وأخرجه من الطريق نفسه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٨٩). ورجح ابن كثير ٣/ ٥٠٢، وقف هذا الحديث على ابن عباس. وحسن رفعه الألباني، «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٥٨، رقم (١٦٢٣)، لكونه واردًا في تفسير القرآن فيأخذ حكم الرفع، ولوروده من طرق أخرى مرفوعًا، وإن كان فيها ضعفٌ.
والأول غير مسلم؛ إذ إن الروايات الإسرائيلية في التفسير قد تصح إسنادًا إلى بعض الصحابة، ومصدرها الأخذ عن بني إسرائيل؛ فهل يُجزم بأخذها حكم المرفوع. والله أعلم. هذا ما يتعلق بأصل أخذ الميثاق وثبوته، أما ما ذكره الواحدي من تفصيلهم إلى فريقين، سود وبيض، فقد ورد ذكر ذلك في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي ثنا هيثم وسمعته أنا منه قال ثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذَّر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحَمَم**، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال =

وقال رسول الله ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر: «**طبعه والله يوم طبعه كافرًا**»[١].

وبيان هذا الإشكال أن يقال: المراد بالناس هاهنا: المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام يوم أخذ الميثاق؛ لأن المشرك لم يفطر على الإسلام، فلفظ الناس عام والمراد منه الخصوص. هذا وجه قول المفسرين في هذه الآية، وهو اختيار أبي الهيثم؛ قال في هذه الآية: هذه فطرة فُطر عليها المؤمن[٢].

= للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي». «المسند» ١٠/ ٤١٧، رقم (٢٧٥٥٨). وصححه الألباني؛ السلسلة الصحيحة رقم (٤٩).

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٥٠، كتاب: القدر، رقم (٢٦٦١)، ولفظه: «**إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا**». وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٩٢،كتاب «تفسير القرآن»، رقم (٣١٥٠).

(٢) ذكره عن أبي الهيثم الأزهري، «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٢٦. وما ذهب إليه الواحدي واختاره أبو الهيثم في دفع الإشكال في الجمع بين الآية والحديث غير وجيه؛ والصواب أن لفظ الناس في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ باقٍ على عمومه لم يدخله التخصيص، يشهد لذلك آية سورة الأعراف: ١٧٢ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ..﴾ فلم يُستثن من الذرية أحد، وعليه فحديث: كل مولود يولد على الفطرة، يدل على أن المولود ولد على الفطرة سليمًا، وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الأبوان كما قدَّر الله تعالى ذلك وكتبه، كما مثل النبي ﷺ ذلك بقوله في آخر الحديث: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) فبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يُجدعها الناس؛ وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة سليمًا ثم يفسده أبواه؛ وذلك أيضا بقضاء الله وقدره. «درء تعارض العقل والنقل» ٨/ ٣٦١.

وأما حديث الغلام الذي قتله الخضر فقول النبي ﷺ فيه: «**طُبع يوم طبع كافرًا**» معناه: طُبع في الكتاب أي قُدِّر وقُضي لا أنه كان كفره موجودًا قبل أن يولد فهو=

وذهب إسحاق[١] في هذه الآية، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه

= مولود على الفطرة السليمة، وعلى أنه بعد ذلك يتغير فيكفر، كما طُبع كتابه يوم طُبع. ومن ظن أن المراد به الطبع على قلبه، وهو الطبع المذكور على قلوب الكفار، فهو غالط؛ فإن ذلك لا يُقال فيه: طُبع يوم طُبع إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره. وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى أنه قال: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا». وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك. وكذلك في حديث الأسود بن سَرِيع الذي رواه أحمد وغيره قال بعث النبي ﷺ سرية، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فقال لهم النبي ﷺ: **«ما حملكم على قتل الذرية؟»** قالوا: يا رسول الله أليسوا أولاد المشركين؟ قال: **«أو ليس خياركم أولاد المشركين»**، ثم قام النبي ﷺ، خطيبًا فقال: **«ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه»**. فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين، وقوله لهم: أو ليس خياركم أولاد المشركين، يبين أنه أراد أنهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك، ولو كان أراد أن المولود حين يولد يكون إما كافرًا وإما مسلمًا على ما سبق له القدر لم يكن فيما ذكره حجة على ما قصده ﷺ من نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين. «درء تعارض العقل والنقل» ٨/ ٣٦٢.

وحديث الأسود بن سَرِيع أخرجه الإمام أحمد ٢٤/ ٣٥٤، رقم (١٥٥٨٨)، ط/ الرسالة، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا أن الحسن البصري لم يسمع من الأسود بن سَرِيع. وأخرج الحديث الحاكم ٢/ ١٣٣، رقم (٢٥٦٦)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي: تابعه يونس عن الحسن حدثنا الأسود بن سريع بهذا على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه البيهقي، السنن الكبرى ٩/ ١٣٠، قال البيهقي: قال الشافعي في رواية أبي عبد الرحمن عنه: «هي الفطرة التي فطر الله عليها الخلق فجعلهم ما لم يفصحوا بالقول لا حكم لهم في أنفسهم إنما الحكم لهم بآبائهم».

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي؛ صرح بذلك الأزهري، «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٢٨ (فطر).

أن النبي ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**» الحديث[(١)]، مذهبًا حسنًا؛ وهو أنه قال: الفطرة: الخلقة التي خلقهم عليها، إما الجنة أو النار، حين أخرج من صلب آدم كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء للنار، فيقول: كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه، يقول: بالأبوين يتبين لكم ما تحتاجون إليه في أحكامكم من المواريث وغيرها. يقول: إذا كان الأبوان مؤمنين فاحكموا لولدهما بحكم الإيمان، وإن كانا كافرين فاحكموا لولدهما بحكم الكفر، وأما خلقته التي خُلق عليها فلا علم لكم بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي: من الشقاوة والسعادة. والدليل على هذا قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تبديل لما خلقهم له من جنة أو نار[(٢)].

وقال الأزهري: والقول قول أبي إسحاق[(٣)] في تفسير الآية، ومعنى الحديث[(٤)]. وعلى هذا القول انتصب: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ على المصدر. وهو

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري، كتاب: الجنائز، رقم (١٣٥٩)، «فتح الباري» ٣/ ٢١٩، ومسلم ٤/ ٢٠٤٧، كتاب: القدر، رقم (٢٦٥٨).

(٢) ذكر قول إسحاق: الأزهري، «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٢٩ (فطر).

(٣) هكذا في النسختين: أبي إسحاق؛ والصواب: إسحاق، كما في «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٢٩.

(٤) الصواب القول الأول الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين؛ وهو أن الفطرة المراد بها: الإسلام، وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لدين الله؛ قال ابن عبد البر: «وقال آخرون: الفطرة هاهنا: الإسلام؛ قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قوله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على أن قالوا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ دين الله الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث: اقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وذكروا =

قول الأخفش قال: كأنه قال: فَطَرَ الله تلك فِطرَةً[(١)]. ونحو ذلك قال الفراء[(٢)].

معنى الآية: أن الكلام قد تم عند قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ ثم أخبر ﷻ أنه خلق الخلق على ما أراد من شقاوة وسعادة، ولا تبديل لذلك. وفيه إشارة إلى أن الكفار الذين سبق ذكرهم خُلقوا للنار، وأن النبي ﷺ والمؤمنين خلقوا للجنة؛ لأن قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ خطاب له وللمؤمنين، يدل عليه قوله بعد هذا: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ بلفظ الجمع، وإن قلنا: إن ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ يعني: دين الله التوحيد، على ما ذكر المفسرون فانتصابها يكون بالإغراء، وهو قول الزجاج، وقال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ منصوب، بمعنى: اتبع فطرة الله؛

= عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قالوا: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ دين الله الإسلام ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قالوا لدين الله». نقله عنه شيخ الإسلام، «درء تعارض العقل والنقل» ٨/ ٣٦٧.

ويدل لذلك ما أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤١، عن ابن عباس أنه سئل عن إخصاء البهائم فكرهه؛ وقال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ وعن عكرمة ومجاهد كذلك. قال شيخ الإسلام: «لا منافاة بينهما كما قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغيير لخلقه، والخِصاءُ وقطع الأُذن أيضًا تغيير لخلقه، ولهذا شبه النبي ﷺ، أحدهما بالآخر في قوله: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» فأولئك يغيرون الدين، وهؤلاء يغيرون الصورة بالجَدْع والخِصاء، هذا تغيير لما خُلقت عليه نفسه، وهذا تغيير ما خُلق عليه بدنه».

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٦٥٧.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٤، ولفظه: يريد: دينَ الله، منصوب على الفعل.

لأن معنى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اتبع الدين القيم، اتبع فطرة الله.

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قد ذكرنا معناه: لا تبديل لما خلقهم له. وقال مجاهد وإبراهيم: الدين: الإسلام، و ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدين الله(١). وعلى هذا المراد بلفظ النفي: النهي، أي: لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ قال مقاتل: يعني التوحيد هو الدين المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتوحيد الله(٢).

٣١- قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال الأخفش: نصبه على الحال؛ لأنه حين قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قد أمرَه، وأمرَ قومه حتى كأنه قال: فأقيموا وجوهكم منيبين(٣). وقال المبرد: لما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ كانت له ولأمته قاطبة؛ وهذا أجودُ كلامٍ إذا كان واحدًا حاضرًا أن تأمره بما يخصه، وتعم من وراءه من يأمره(٤) كقولهم: يا زيد اتق عمرًا، واحذروا أن تظلموه، إذا كان زيد رئيس القوم؛ هم مأمورون بما أُمر به زيدٌ. ونحو هذا قال الفراء،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٣، عن قتادة. وقال عبد الرزاق: وقال معمر: كان الحسن يقول: فطرة الله الإسلام. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٤١، عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابن زيد، وإبراهيم النخعي. وصحح إسناد ابن جرير إلى مجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية. «درء تعارض العقل والنقل» ٨/ ٣٧٤. وبوّب البخاري في «صحيحه» فقال: باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدين الله. «فتح الباري» ٨/ ٥١٢.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩أ.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٥٧

(٤) هكذا في النسختين؛ ولعل الصواب: وتعم من وراءه ممن يأتمر بأمره. ويوضح هذا المثال الذي ذكره بعد ذلك.

وصاحب النظم[١].

وقال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين؛ لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل معه فيها: الأمة؛ والدليل على ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق ١] قال: ومعناه: راجعين إلى كل ما أمر الله به، مع التقوى وأداء الفرائض[٢]، وهو قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

ثم أخبر أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص في التوحيد؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ .

٣٢- ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾[٣] ذكرنا تفسيره في آخر سورة: الأنعام[٤]. وهذه الآية متصلة بالأولى؛ لأنها من نعت المشركين. قال الفراء: وإن شئت استأنفت قولَه تعالى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[٥].

---

(١) قال الفراء في إعراب ﴿مُنِيبِينَ﴾: منصوبة على الفعل، وإن شئت على القطع، فأقم وجهك ومن معك منيبين مقبلين إليه. «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٥ .

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٤) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [١٥٩]: «قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: المشركين بعضهم يعبدون الملائكة يزعمون أنهم بنات الله، وبعضهم يعبد الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] فهذا معنى: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ أي: فرقًا وأحزابًا في الضلالة؛ فتفريقهم دينهم أنهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد..».

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٥، وتمامه: كأنك قلت: الذين تفرقوا وتشايعوا كل حزب بما في يده فرح.

قال مقاتل: كل أهل ملة[(١)] بما عندهم من الدِّين راضون به[(٢)].

وقال الزجاج: كل حزب من هذه الجماعة الذين فرقوا دينهم فرح؛ يظن أنه هو المهتدي[(٣)]. وهذا مذكور في سورة: المؤمنين[(٤)].

٣٣- قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة، الضر يعني: القحط والسَّنة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه[(٥)].

قال أبو إسحاق: أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى مَنْ عبدوه مع الله ﷻ، إنما يرجعون في دعائهم إليه وحده[(٦)].

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ قال مقاتل: إذا أعطاهم من عنده، يعني: المطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تركوا توحيد ربهم في

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٩أ. وفي النسختين: (مكة). بدل: (ملة)؛ وهو تصحيف.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩أ.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٦.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وقد أحال الواحدي في تفسيرها عل سورة الأنبياء؛ حيث قال: «والكلام في هذا قد سبق في نظيرتها في سورة الأنبياء». «البسيط» ٢/ ٦١٩. تح/ المديميغ. قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣]: «قال ابن عباس: يريد المشركين اتخذوا من دونه آلهة. هذا كلامه في رواية عطاء. والصحيح أن هذا إخبار عن جميع مخالفي شريعة محمد ﷺ يقول: اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقًا وأحزابًا. ويجوز أن يكون هذا الاختلاف راجعًا إلى اختلاف أهل كل ملة كاختلاف اليهود فيما بينهم، واختلاف النصارى؛ وهذا هو الظاهر. ويجوز أن يرجع إلى مخالفتهم دين الحق». «البسيط» ١/ ١٨٧ (تح/ المديميغ).

(٥) «تفسير مقاتل» ٧٩أ.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٦.

الرخاء، وقد وحدوه في الضراء[١].

٣٤- ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ هذه الآية مفسرة في آخر سورة: العنكبوت[٢].

وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ قال أبو إسحاق: هذا خطاب بعد الإخبار؛ لما قال: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ كان خبرًا عن غائب، وكأن المعنى: فتمتعوا أيها الفاعلون لهذا، وليس هذا بأمر لازم، بل هو أمر على جهة الوعيد، يدل عليه قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني حالكم في الآخرة[٣].

٣٥- وقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ قال ابن عباس: حجة[٤].

قال قتادة ومقاتل: كتابًا من السماء ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا﴾ يقولون؛ يعني: من الشرك[٥]؛ يعني: يأمرهم به، ونعذرهم على ذلك[٦]. وهذا استفهام معناه: الإنكار، أي: ليس الأمر على هذا.

٣٦- ثم ذكر بطرهم عند النعمة، وبأسهم عند[٧] الشدة بقوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ الآية، وهذا خلاف وصف المؤمن؛ فإنه يشكر عند

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٩أ.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت].

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٦. قال الأخفش: كأنه قال: فقد تمتعوا فسوف يعلمون.

(٤) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٩أ، عن ابن عباس، والضحاك.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٤، عن قتادة. و«تفسير مقاتل» ٧٩أ. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٩أ، عن قتادة والربيع.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٦٩أ. واقتصر عليه الفراء، ولم ينسبه. «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٥.

(٧) (عند) ساقطة من النسختين؛ وزدتها لاستقامة الكلام.

النعمة، ويرجو ربه عند الشدة، ويرغب إليه في كشفها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ يعني: شدة وبلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما عملوا من السيئات ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ جواب الشرط، وهو مما يجاب به الشرط، قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ في موضع: قنطوا[١].

٣٧- قال مقاتل: ثم وعظهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾ الآية[٢]

٣٨- وقوله: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أي: من الصلة والبر[٣]. قال مقاتل: حقُّ القرابة: الصلة[٤].

وقال قتادة: إذا كان لك ذو قرابة فلم تصله بمالك، ولم تمش إليه برجلك فهو قطيعة[٥].

وقال أبو إسحاق: وفرائض المواريث كأنها قد نَسختْ هذا؛ أعني:

---

(١) ذكر الإعراب، والمعنى: سيبويه، «الكتاب» ٣/ ٦٣، وذكره المبرد في «المقتضب» ٢/ ٥٨، وقال في ٣/ ١٧٨: فأما (إذا) التي تقع للمفاجأة فهي التي تسد مسد الخبر، والاسم بعدها مبتدأ، كقولك: جئتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك، وتأويل هذا: جئت ففاجأني زيد، وكلمتك ففاجأني أخوك، وهذه تغني عن الفاء، وتكون جوابًا للجزاء؛ نحو: إن تأتني إذا أنا أفرح، على حد قولك: فأنا أفرح، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ في موضع: يقنطوا. وذكره أيضًا الأخفش، «معاني القرآن» ٢/ ٦٥٧. وأبو علي، «الإيضاح العضدي» ١/ ٣٣٠. وابن جني، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٥٤، ٢٦١.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩ب.

(٣) تفسير ابن جرير ٢١/ ٤٥.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٩ب.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٣.

حق القرابة، وجائز أن تكون القرابة حق لازم في البر[(١)].

وقوله: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ قال ابن عباس: أطعم الطواف[(٢)].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٧. والصحيح أن الآية لا نسخ فيها، فحق ذوي القربى ثابت بالإحسان إليهم بالكلام الحسن، والقول المعروف، ووصلهم بالنفقة إذا كانوا محتاجين، ووقع الخلاف بين أهل التفسير هل الأمر في الآية للوجوب أم للندب على قولين؛ قال القرطبي ١٤/ ٣٥: «واختلف في هذه الآية؛ فقيل: إنها منسوخة بآية المواريث، وقيل: لا نسخ، بل للقريب حق لازم في البر على كل حال، وهو الصحيح، قال مجاهد وقتادة: صلة الرحم فرض من الله ﷻ، حتى قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة. وقيل: المراد بالقربى أقرباء النبي ﷺ؛ والأول أصح؛ فإن حقهم مبين في كتاب الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] وقيل: إن الأمر بإيتاء ذي القربى على جهة الندب. قال الحسن: ﴿حَقَّهُۥ﴾ المواساة في اليسر، وقول ميسور في العسر». وحكى الشوكاني قول القرطبي مقررًا له. «فتح القدير» ٤/ ٢١٩.

قال أبو المظفر السمعاني ٤/ ٢١٥: «أكثر المفسرين على أن المراد من إيتاء ذي القربى هاهنا صلة الرحم بالعطية والهدية، ثم ذكر قول قتادة. وقال القاسمي: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أي: من البر والصلة. واستدل به أبو حنيفة على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب؛ لأن ﴿ءَاتِ﴾ أمر للوجوب. والظاهر من الحق بقرينة ما قبله أنه: ماليّ، وهو استدلال متين. «تفسير القاسمي» ١٣/ ١٨١.

قال ابن كثير: «يقول تعالى آمرًا بإعطاء ذي القربى حقه أي: من البر والصلة». «تفسير ابن كثير» ٦/ ٣١٨. وهو قول البغوي ٦/ ٢٧٢. قال أبو حيان ٧/ ١٦٩، بعد ذكر رأي الحنفية: «الظاهر أن الحق ليس الزكاة وإنما يصير حقًا بجهة الإحسان والمساواة». قال ابن عطية ١١/ ٤٥٩: «هذا على جهة الندب». وهذا محمول على إذا لم تكن قرابته محتاجة، إذا كانت قرابته محتاجة فقيرة وهو غني مقتدر فيجب عليه أن يصل قرابته بماله. والله أعلم.

(٢) ذكره عنه القرطبي ١٤/ ٣٥، بلفظ: أطعم السائل الطواف.

وقال مقاتل: حقه أن يُتصدق عليه[١].

وقوله: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: حق الضيف عليك أن تحسن إليه[٢].

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ يقول: إعطاء الحق أفضل من الإمساك ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾[٣] يطيعون بما يعلمون ثوابه. ثم نعتهم فقال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٤].

٣٩- قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية، روى قتادة عن ابن عباس في هذه الآية قال: هي هدية الرجل يهدي الشيء يريد أن يثاب أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله، لا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه فيه[٥]. وعن مجاهد قال: هي الهدايا[٦].

وروى ابن أبي روَّاد عنه قال: هو الربا الحلال؛ يهدي الرجل الشيء ليُهدَى له أفضل منه، فهو حلال ليس فيه إثم ولا أجر[٧]. وقوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن

---

(١) «تفسير مقاتل» ٧٩ب.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩ب. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٧.

(٣) «تفسير مقاتل» ٧٩ب.

(٤) «تفسير مقاتل» ٧٩ب، من قوله: ثم نعتهم.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٣، وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٨٤، عن ابن عباس من طريق قتادة. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٦، من طريق محمد بن سعد بإسناده عن ابن عباس. وهو قول مقاتل ٧٩ب.

(٦) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٦.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٤، عن الضحاك بن مزاحم، من طريق عبد العزيز بن أبي رواد.

- عبد العزيز بن أبي رواد، شيخ الحرم، واسم أبيه: ميمون، حدث عن سالم بن عبد الله، والضحاك بن مزاحم، وعكرمة، ونافع، وغيرهم، وحدث عنه: يحيى القطان، وعبد الرزاق، وابن المبارك، وغيرهم، صدوق عابد، وربما وهم، ورمي بالإرجاء، ت: ١٥٩هـ. «سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٨٤، و«تقريب التهذيب» ص٦١٢.

﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] نزلت في النبي ﷺ خاصة، نُهي أن يُهدِي هدية فيُهدَى له أفضل منها، وحَرُم ذلك عليه خاصة[١].

وقال السدي: الربا في هذا الموضع: الهدية يهديها الرجل لأخيه، طلبَ المكافأة، فإن ذلك لا يربو عند الله، ولا يؤجر عليه صاحبه. وقال سعيد بن جبير: هذا في الرجل يُعطِي ليثابَ عليه[٢]. هذا قول المفسرين في هذه الآية.

وشرحها أهل المعاني؛ فقال أبو إسحاق: يعني به: دفعُ الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك ليس بحرام، ولكنه لا ثواب فيه؛ لأن الذي يهبه يستدعي به ما هو أكثر منه[٣].

وقال أبو علي الفارسي: ﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ يحتمل تقديرين؛ يجوز أن تكون للجزاء[٤]، ويجوز أن تكون موصولة؛ فإن قدرتها جزاء كانت في موضع نصب بـ: ﴿آتَيْتُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في موضع جزم بأنه جواب للجزاء، ويقوي هذا الوجه: قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ألا ترى أنه لو كان مبتدأً لعاد عليه ذكرٌ، وإن جعلتها موصولة كان موضع ﴿مَآ﴾ رفعًا بالابتداء، و﴿آتَيْتُم﴾ صلة، والعائد

---

(١) تفسير ابن جرير ٢١/ ٤٦، ولم ينسبه. وقد كُتب في «تفسير ابن جرير» بعد قول الضحاك مفصولًا عنه، فلعله من قول الضحاك، وفصْله عنه خطأٌ، وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٤٩٥، من كلام الضحاك، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم. وذكره عن الضحاك الثعلبي ٨/ ١٦٩أ. ذكر ابن كثير ٨/ ٢٦٤، في آية المدثر أربعة أقوال، استظهر منها القول الذي اقتصر عليه الواحدي.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٦.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٧، بمعناه.

(٤) أي: اسم شرط جازم.

إلى الموصول: الذكر المحذوف من ﴿آتَيْتُم﴾[(١)] وقوله: ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ في موضع رفع بأنه خبر الابتداء، والفاء دخلت في الخبر على حد ما دخلت في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقوله: ﴿ءَاتَيْتُم﴾ أكثر القراء قرأ: ﴿آتَيْتُم﴾ بالمد[(٢)]، [(٣)] إلى قول: من مد كأنه قيل: ما جئتم من ربًا، ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له كما قال[(٤)]: أتيت الخطأَ، وأتيت الصوابَ، وأتيت قبيحًا، قال الشاعر:

أتيتُ الذي يأتي السفيه لِغرتي إلى أن علا وَخْطٌ من الشيبِ مَفْرِقي

فإتيانه الذي يأتي السفيه إنما هو فعل منه له[(٥)].

وقوله: ﴿مِّن رِّبًا﴾ على ضربين؛ أحدهما: متوعد عليه محرم بقوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] والآخرُ غير محرم: وهو أن يُهدِي

---

(١) يعني بالذكر المحذوف هنا: الضمير الواقع مفعولًا في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْتُم﴾ والتقدير: الذي آتيتموه، وسر تسميته بالذكر المحذوف- فيما يظهر- أن المقدر هنا كالمذكور سواء بسواء.

(٢) قرأ ابن كثير: ﴿أَتَيْتُم﴾ مقصورة، والباقون: ﴿آتَيْتُم﴾ بالمد، في قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِن رِّبًا﴾ وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ فلم يختلفوا في مدها. «السبعة في القراءات» ص٥٠٧، «والحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٦، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ١٩٦، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٤.

(٣) يوجد هنا سقط في النسختين؛ ولا يتم المعنى بدونه، وتمام الكلام كما هو عند أبي علي في «الحجة» ٥/ ٤٤٦: «وأما قصر ابن كثير فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مد..».

(٤) في «الحجة» ٥/ ٤٤٦: كما تقول.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٦، وأنشد البيت كاملًا، ولم ينسبه. الغِرُّ: الصغير الذي لم يجرب الأمور، يقال: كان ذلك في غرارتي وحداثتي. «تهذيب اللغة» ١٦/ ٧١ (غرر). والمفرق: وسط الرأس. «لسان العرب» ١٠/ ٣٠١ (فرق).

شيئًا، أو يهبه فيستثيب أكثر منه. وسمي بهذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة: ربًا؛ لَمَّا كان الغرض فيه الاستزادة على ما أَعطى، فسمي باسم الزيادة، لمكان الزيادة المقصودة في المكافأة، والربا هو: الزيادة، فبذلك سُمِّي المحرم ربًا، لزيادة ما يأخذ على ما دَفع(١).

وقوله: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ فاعل (يَرْبُوَا) الربا المذكور في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ وقُدِّر المضاف فحذفه، كأنه: في اجتلاب أموال الناس، أو اجتذابه، ونحو ذلك(٢).

وقرأ نافع: (لِتُربوا) بالتاء وضمها(٣)، أي: لتصيروا ذوي زيادة من

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٧، بتصرف. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٧، بمعناه، وهذا من الاستطراد لبيان معنى الآية، لأن الربا المحرم لا يدخل في هذه الآية، وليس هو المراد منها، بدليل ما نقله الواحدي عن السلف في ذلك، فلم يُنقل عنهم- والله أعلم- أن الربا المحرم معني بهذه الآية، إذ لو أريد ذلك لكان في القطع بتحريمه من خلال هذه الآية نظر؛ فالآية ليس فيها تحريمٌ، بل فيها إخبار عن فقد الأجر والثواب لمن فعل هذا الفعل، وهذا كما سبق في قول ابن عباس: ليس فيه أجر ولا وزر. والله أعلم.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٧، ولفظه: «وقدر المضاف وحذف كأنه: اجتلاب أموال الناس، واجتذابها، ونحو ذلك».

(٣) قرأ نافع: ﴿لِتُربوْا﴾ بضم التاء، ساكنة الواو، وقرأ الباقون: ﴿لِيَربوَا﴾ بالياء، مفتوحة الواو. «السبعة في القراءات» ص٥٠٧، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٧. و«إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ١٩٦، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٤. وقد ضبط محقق كتاب «الحجة» قراءة نافع هكذا: ﴿لِتربُوَ﴾ وقال بعدها: بالتاء ساكنة الواو. وهذا خطأ من وجهين؛ الأول: قراءة نافع بالتاء مضمومة، وليست مفتوحة كما ضبطها المحقق في ص ٤٤٨، الثاني: الواو في قراءة نافع: ساكنة، وليست مفتوحة، مع أن المحقق قد أحال في الحاشية على كتاب «السبعة».

أموال الناس بما آتيتم، أي: تستدعونها وتجلبونها، وكأنه من: أربى إذا صار ذا زيادة، مثل: أقطف وأجدب[(١)].

وقوله: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لأنكم إنما قصدتم إلى زيادة العِوض، ولم تقصدوا وجه البر والقربة، ولو قصدتم به وجه الله لكان كقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ وفي (مَا) هذه الوجهان ذكرناهما في (مَا) في أول الآية؛ فإن جعلتها: الموصولة فهي في موضع رفع، و(ءَاتَيْتُم) صلة، والراجع إلى الموصول محذوف، على تقدير: آتيتموه.

قال: (وَمَا ءَاتَيْتُم) ثم قال: (فَأُولَئِكَ) فانتقل من الخطاب إلى الغيبة[(٢)]، كما جاء في ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢][(٣)]. والفاء دخلت على: (فَأُولَئِكَ) لذكر الفعل في الصلة، والجملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ﴾ ويقدر راجعًا محذوفًا، التقدير: فأنتم المضعفون به. أي: ذوو الضعف بما آتيتم من زكاة، فحذفت العائد على حد ما حذفته من قولك: السمن منوان بدرهم[(٤)].

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٨، وفيه: أقطف وأجرب، بدل: أجدب. وكلاهما صحيح؛ يعني: صار ذا جدب، أو صار ذا جرب. في «تهذيب اللغة» ١٦/ ٢٨٢ (قطف): أقطف الرجل؛ إذا كانت دابته قَطُوفًا، والقِطاف مصدر القَطوف من الدواب؛ وهو المقارب الخَطو، البطيء.

(٢) «المسائل الحلبيات» ص٨٥.

(٣) ذكر هذا ابن قتيبة، «تأويل مشكل القرآن» ص٢٨٩.

(٤) ساق هذا المثال للتدليل على حذف العائد المجرور، وتقديره: السمن منوان منه بدرهم، فحذف منه لدلالة السياق عليه، كما قدر في الآية: فأنتم المضعفون به. والله أعلم. والمَنَّ: معيار قديم يكال به أو يوزن. «لسان العرب» ١٣/ ٤١٨ (منن)، و«المعجم الوسيط» ٢/ ٨٨٨.

هذا كله كلام أبي علي ذكره في مواضع متفرقة، فرددت كلًا إلى موضعه.

قال أبو إسحاق: وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ أي: فأهلها يضاعف لهم الثواب؛ يُعطون بالحسنة عشر أمثالها. وقيل ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مقوٍ؛ أي: صاحب قوة، وموسر، أي: صاحب يسار، وكذلك: مُضعف، ذو أضعاف من الحسنات[(١)].

قال مقاتل: ثم ذكر ما أصاب الناس من ترك التوحيد في قوله تعالى:

٤١- ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني: قحط المطر وقلة النبات[(٢)].

قال أبو علي: الفساد جاء في القرآن على ضربين؛ فساد معاقب عليه، وهو كثير[(٣)]. وفساد على غير ذلك؛ بمعنى: الجدْب[(٤)]، وهو المراد في هذه الآية، وهذا كما قلنا في: الحسنة والسيئة؛ وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥][(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/١٨٨.

(٢) «تفسير مقاتل» ٧٩ب.

(٣) مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]. وقد ورد الفساد بهذا المعنى في أكثر من خمسة وأربعين موضعًا في القرآن الكريم. انظر الآيات في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٥١٨ (فسد).

(٤) من أمثلته قول الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وهو بهذا المعنى قليل لم أجده إلا في أربعة مواضع؛ البقرة: ٢٥١، الأنبياء: ٢٢، المؤمنون: ٧١، وآية الروم هذه. والله أعلم.

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: «قال أهل اللغة: السيئة كل ما يسوء صاحبه، والحسنة ما يحسن عليه أثره. ثم ذكر قول أبي علي الذي ذكره هنا، ثم قال: والمعنى: أنه تعالى أخبر أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة، وبالرخاء تارة».

وقوله: ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: يعني: حيث لا يجري نهر، وهو لأهل العمود والبحر، ونقصُ الثمار في الريف؛ يعني: القرى تجري[١] فيها الأنهار[٢].

قال ابن عباس في رواية عكرمة: أما البحر فما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر، وأما البر: فالبرية التي ليس عندها نهر[٣].

وقال السدي: الفساد: القحط. والبر: كلُّ قرية من قرى العرب نائيةٍ عن البحر، مثل: المدينة ومكة. [قال: والعرب تسمي الأمصار: بحرًا][٤] وأما البحر: فكلُّ قريةٍ مثلُ: البصرة والكوفة والشام[٥].

وقال عكرمة: أما إني لا أقول: بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء، قال: والعرب تسمي الأمصار: بحرًا[٦].

وقال فضيل بن مرزوق: قلت لعطية في قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ

---

(١) (تجري): مكررة مرتين في (ب).

(٢) كتاب «الشعر» لأبي علي ٢/٤٥٧، بتصرف. قال مقاتل ٧٩ب: ثم أخبرهم أن قحط المطر في البر ونقص الثمار في الريف حيث تجري فيها الأنهار إنما أصابهم بترك التوحيد، فقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات حيث لا تجري فيها الأنهار لأهل العمود، ثم ظهر الفساد يعني: قحط المطر، ونقص الثمار في البحر، يعني: الريف، يعني: القرى التي تجري فيها الأنهار.

قال الليث: يقال لأهل الأخبية الذين لا ينزلون غيرها: هم أهل عَمُود، وأهل عماد. كتاب «العين» ٢/٥٧ (عمد) ونقله الأزهري، «تهذيب اللغة» ٢/٢٥١.

(٣) ذكره السيوطي، «الدر المنثور» ٦/٤٩٦، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٥) ذكره السيوطي، «الدر المنثور» ٦/٤٩٧، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه ابن جرير ٢١/٤٩.

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ هذا البر، فالبحر أي فساد فيه؟ قال: يقال إذا قلَّ المطر قلَّ الغوص[(١)]. يعني: أن البحر إذا أمطر تفتح الأصداف أفواهها، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ[(٢)]. وعلى هذا المراد بالبحر: بحر الماء لا القرى. والقول هو الأول[(٣)].

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من المعاصي[(٤)]. يعني: كفار مكة ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ الله بالجوع في السنين السبع[(٥)] ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاء

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان[(٦)]. هذا الذي ذكرنا هو الصحيح في تفسير هذه الآية. وذُكر في تفسيرها أقوالٌ لا تليق

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/٤٩. فضيل بن مرزوق الأغر، الرَّقاشي، الكوفي، أبو عبدالرحمن، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، حدث عن عدي بن ثابت، وعطية العوفي، وشقيق بن عقبة، وغيرهم، وحدث عنه وكيع، وأبو نُعيم، وعلي بن الجعد، وغيرهم. روى له مسلم في المتابعات، ت: ١٦٠هـ. «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٤٢، و«تقريب التهذيب» ٧٨٦.

(٢) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٩ب، عن ابن عباس.

(٣) يعني أن المراد بالبحر: القرى التي على شاطئ البحر، وهذا القول وإن كان له وجه، لكن إجراء الآية على ظاهرها حيث لا يمنع من ذلك شيء أولى. ولعل الذي حمل الواحدي على ترجيح هذا القول تفسيره الفساد في الآية بالجدب والقحط، وهو غير مُتصور في البحر. وسيأتي توضيح القول الصحيح إن شاء الله تعالى.

(٤) ذكره السيوطي، «الدر المنثور» ٦/ ٤٩٧، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) المراد بذلك ما ورد في الحديث الصحيح في دعاء النبي ﷺ على أهل مكة بسنين كسني يوسف، ، وقد سبق ذكره وتخريجه في تفسير الآية: ٩٣، من سورة النمل.

(٦) «تفسير مقاتل» ٧٩ب، بنصه.

بالآية؛ منها قول قتادة: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ فقال: هو الشرك امتلأت الأرض ظلمًا وضلالة، قبل أن يبعث الله نبيه[(١)].

قال مجاهد: قَتْلُ ابنِ آدم أخاه في البر، وأخذُ الملِك السفنَ غصبًا في البحر[(٢)].

قال الحسن: أفسدهما الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجع مَنْ بعدهم[(٣)]. وهذه الأقوال مرذولة فاسدة ليست تحسن في تفسير هذه الآية[(٤)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٠٤، وابن جرير ٢١/ ٤٩.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٩.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٩، ٥٠. وأخرج عن ابن زيد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: الذنوب.

(٤) كان الأولى بالواحدي أن يبين ضعف هذه الأقوال دون الحاجة لوصفها بهذا الوصف.

فعلى القول الذي صححه الواحدي يكون المراد بالفساد: ما أصاب الناس من القحط والجدب. وعلى القول الثاني الذي رده الواحدي، المراد بالفساد: ظهور الشرك والمعاصي في كل مكان، من البر والبحر، وانتشار الظلم، وحصول النقص في الخيرات، والحروب، والكوارث، ونحو ذلك كلُه ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بذنوب الناس انتشر الشر والظلم والفسق والفجور في البر والبحر. وقد اقتصر على هذا القول ابن جرير ٢١/ ٥٠، قال: «فتأويل الكلام إذًا إذ كان الأمر كما وصفت: ظهرت معاصي الله في كل مكان، من بر وبحر ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما». وقد تأول ابن جرير هذا القول من أقوال قتادة، ومجاهد، والحسن، التي وصفها الواحدي بأنها: أقوال مرذولة!؛ والصواب أنها أقوال مناسبة لسياق الآية، ولظاهرها كما يدل عليه تمثيل مجاهد للفساد في البحر: بأخذ السفن غصبًا، وهذا هو مقتضى الحكمة، والقول الذي=

٤٢- قال مقاتل: ثم خوفهم فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[١]، وقوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بكفرهم. وإخباره عنهم بالشرك إخبار عن إهلاكهم؛ ودل عليه قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ ومعلوم أن عاقبتهم كان إلى الهلاك.

= اختاره الواحدي محمول على التمثيل للفساد بالجدب والقحط، لا على أنه هو المقصود وحده حتى يتأول البحر بالقرى المحيطة به، وينبني على القول الذي اختاره الواحدي أن الذنوب والمعاصي كلما زادت قل المطر وانتشر الجدب والقحط، وهذا غير مسلم؛ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه الكريم أنه لا يمنع الناسَ الرزقَ بسبب كفرهم، بل قد يمدهم بالرزق والنعم استدراجًا، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] وأخبر تعالى أنه لو يؤاخذ الناس بذنوبهم لهلكوا ولم يبق منهم أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥] حتى الدواب تهلك تبعًا لهلاك بني آدم، بسبب ذنوب بني آدم، ولا يُعترض على هذا بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] فالآية في زيادة الخير والرزق لمن حقق الإيمان والتقوى، بل إن من حكمة الله تضييق الرزق على الأنبياء وأتباعهم، تعظيمًا لأجرهم في الآخرة كما لا يخفى، وخلاصة ذلك أن اعتراض الواحدي ورده لهذه الأقوال لم يبين دليله عليه، مع أن القول الذي رده ظاهر جدًا من سياق الآية، وعليه فيحمل الفساد على ما يظهر في البر والبحر من الكفر والظلم والطغيان، وما يلحق الناس بسبب ذلك من نقص المطر وحصول القحط والجدب، والعذاب بالزلازل والخسف والغرق، والحروب، والسلب والنهب، والخوف وغيره من أنواع الفساد الذي ينتشر بسبب ذنوب الناس؛ من الشرك وغيره، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. والله تعالى أعلم.

(١) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.

٤٣- قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قال أبو إسحاق: أقم قَصدك، واجعل جهتَك اتباع الدين القيم(١). قال مقاتل: وهو الإسلام المستقيم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: يوم القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم(٢)؛ لأن الله قد قضى بمجيئه، فإذا جاءكم لا مردَّ له.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يتفرقون بعد الحساب، إلى الجنة والنار. قاله مقاتل(٣). وهذا كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وقد مر(٤). قال الفراء: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدعون، أي: يتفرقون، تقول العرب: صدَعتُ غنمي صِدْعَتين، أي: فَرقْتُها فِرقتين(٥).

٤٤- قوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ قال ابن عباس: يجازى بكفره. قال مقاتل: عليه إثم كفره(٦) ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون لأنفسهم منازلهم(٧).

وقال الكلبي: يفرشون(٨).

وقال مجاهد: يسوون المضاجع في القبر(٩). يقال: مهدت لنفسي

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٨.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٠أ. والزجاج، «معاني القرآن» ٤/ ١٨٨.

(٤) الآية ١٤، من هذه السورة.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٥، وليس فيه: يتصدعون.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.

(٧) قال الزجاج ٤/ ١٨٨: أي: لأنفسهم يوطئون.

(٨) «تنوير المقباس» ص٣٤٢.

(٩) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٥٢.

خيرًا؛ أي: هيأته ووطأته.

٤٥- قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اللام متعلقة بقوله: ﴿يَمْهَدُونَ﴾ أي: يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم.

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ قال ابن عباس: بالمطر[1] ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال: يريد الغيث والخِصْب. قال صاحب النظم: هو معطوف على تأويل: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ على نظم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ ليبشركم وليذيقكم من رحمته، ولتجري الفلك في البحر بتلك الرياح بأمره، ولتبتغوا في البحر من فضله، يعني: الرزق بالتجارة. قال مقاتل: كل هذا بالرياح ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة فتوحدونه.

٤٧- ثم خوف كفار مكة، وعزَّى نبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[2] أي: بالدلالات الواضحات على صدقهم. وقال ابن عباس: بالفرائض والحلال والحرام.

وقال مقاتل: أخبروهم بالعذاب أنه نازل بهم إن لم يؤمنوا[3].

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ كفروا بآياتهم[4].

وقال الكلبي: جرمهم هاهنا: الكفر[5].

---

(١) «تنوير المقباس» ص٣٤٢، وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٥٣، عن مجاهد.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.

(٤) الضمير يعود على البينات التي جاء بها الرسل، كما يدل عليه سياق الآية.

(٥) «تنوير المقباس» (٣٤٢)، وهو قول مقاتل ٨٠أ.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الحسن: نصر المؤمنين: إنجاؤهم مع الرسل من عذاب الأمم. وهو قول الكلبي ومقاتل(١). ومعنى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ واجبًا، يعني: وجوبًا هو أوجبه على نفسه من حيث أخبر به، وإذا أخبر بشيء حق ذلك الشيء ووُجِد على ما أخبر به. وقد أخبر أنه ينجي المؤمنين من عذاب المكذبين. ولا يجب على الله شيء ابتداءً بخلاف ما قالت القدرية. وفي هذا تبشير النبي ﷺ بالظَفَر في العاقبة، والنصر على مَنْ كذبه.

٤٨- قال مقاتل: ثم أخبر عن صُنعه ليعرفوا توحيده فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾(٢) يزعجه من حيث هو ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ الله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال مقاتل: إن شاء بسطه مسيرة يوم، أو بعض يوم، أو مسيرة أيام(٣) ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي: قطعًا(٤)، بعد أن بسطه الله يجعله قطعًا متفرقًا يسير بها الريح. وتفسير الكِسْف، قد ذكرناه في أواخر سورة بني إسرائيل(٥).

---

(١) «تنوير المقباس» ص٣٤٢، و«تفسير مقاتل» ٨٠أ.
(٢) «تفسير مقاتل» ٨٠أ.
(٣) «تفسير مقاتل» ٨٠أ، والمراد بذلك المطر النازل من السحاب تختلف كثرته وقلته، من مسيرة يوم، أو أيام، وهذا مقصود مقاتل، حيث قال: أو مسيرة أيام يمطرون. والظاهر من الآية بسطه في السماء قبل نزوله، بدليل ما ذكر في الآية بعد ذلك من تقطيع السحاب، ثم نزول المطر. والله أعلم.
(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٥٤، عن قتادة. و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٩، ولم ينسبه.
(٥) عند قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [٩٢] قال الواحدي: =

وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مفسر في سورة: النور[(١)] ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بنزول المطر عليهم[(٢)].

٤٩- ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ اختلفوا في تفسير ﴿قَبْلِ﴾ فذكر أبو إسحاق وابن الأنباري فيه قولين؛ **أحدهما**: أن الأُولى: داخلة في الإنزال، والثانية: على المطر، والمعنى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ إنزال المطر، من قبل المطر، فلما دخلت الثانية على غير ما دخلت عليه الأولى صلح الجمع بينهما، كما تقول: أجيئك من قبل أن تجلس، مِنْ قبل أن تبلغ إلى المجلس، فلا تُنكر الإعادة إذا اختلف الشيئان. هذا كلام أبي بكر[(٣)]، وهو قول قطرب[(٤)].

القول الثاني: أن تكرير ﴿قَبْلِ﴾ إطناب بمعنى: التوكيد[(٥)]. والمعنى: وإن كانوا من قبل إنزال المطر ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ قال أبو إسحاق: والقول ما

= «قوله تعالى: ﴿كِسَفًا﴾ فيه وجهان من القراءة؛ جزم السين وفتحها، قال أبو زيد: يقال كسفت الثوب أكْسِفُه كَسْفًا، إذا قطعته قِطَعًا.. قال الفراء: وسمعت أعرابيًا يقول لبزاز: أعطني كِسْفة، يريد: قطعة كقولك: خِرْقَه، روى عمرو عن أبيه: يقال لِخِرَق القميص قبل أن يُؤَلَّفَ: الكِسَف، واحدها كِسْفَة».

(١) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا.. ﴾ [٤٣].

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٠ب.

(٣) المراد به: ابن الأنباري؛ ولم أقف على قوله.

(٤) نسبه لقطرب الزجاج ٤/ ١٨٩، والثعلبي ٨/ ١٧٠أ. وحكاه ابن جرير ٢١/ ٥٤، ولم ينسبه. أي: لما اختلف المضاف إلى الضمير لفظًا صح تكراره، والمعنى واحد، فالأول من قبل إنزال المطر، والثاني من قبل المطر، والمطر لا يكون إلا تنزيلًا.

(٥) هذا قول الأخفش. «معاني القرآن» ٢/ ٦٥٨، واختاره ابن جرير ٢١/ ٥٤ .

قال[١]؛ لأن تنزيل المطر بمعنى: المطر؛ لأن المطر لا يكون إلا تنزيلًا، كما أن الرياح لا تُعرف إلا بمرورها[٢]؛ يعني أن قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ﴾ بمعنى: من قبل المطر عن الإنزال حتى يقال: إن قبل الأولى للإنزال، والثانية للمطر، كما قال قطرب[٣].

وقوله: ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: آيسين قانطين من المطر. قاله ابن عباس ومقاتل[٤]. والتقدير: وما كانوا إلا مبلسين. وقد تقدم لهذا نظائر.

٥٠- قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: بعد إنزال المطر، فانظر إلى حُسنِ تأثيره في الأرض. وتقرأ (آثَارِ) على الجمع[٥]؛ فمن أفرد فلأنه مضاف إلى مفرد. ومن جمع جاز؛ لأن رحمة الله يجوز أن يراد بها:

---

(١) هكذا في النسختين: (قال). والصواب: ما قالوا، كما هو واضح من سياق الكلام عند الزجاج، حيث قال: «وقال الأخفش وغيره من البصريين: تكرير قبل، على جهة التوكيد، والمعنى: وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمبلسين، والقول كما قالوا؛ لأن تنزيل المطر..».

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٩.

(٣) ويمكن حمل الضمير في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ على لفظ الاستبشار المفهوم من قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أو على الحال الموصوف في الآية السابقة إجمالًا المتضمن وصف السحاب وكيفية تكونه وسوقه وبسطه في السماء قبل خروج الودق منه وأثنائه، وهذا- كما يظهر- أحسن وأولى بالسياق من القول بالإطناب. والله أعلم.

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٠ب. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٥٤، عن قتادة. و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٢، ولم ينسبه.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿إِلَى أَثَرِ﴾ واحدة بغير ألف، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿ءَاثَرِ﴾ جماعة. «السبعة في القراءات» ص٥٠٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٨، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٥.

الكثرة، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨][(١)].
قال مقاتل: ﴿ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: النبت، وهو أثر المطر[(٢)]. والمطر: رحمة الله ونعمته على خلقه.

وقوله: ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: كيف يجعلها تنبت بعد أن لم يكن فيها نبت.

(إِنَّ ذَٰلِكَ) الذي فعل ما ترون؛ وهو الله تعالى: ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الآخرة، فلا تكذبوا بالبعث[(٣)] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من البعث والموت.

ثم عاب كافر النعمة، والجاهل بأن الله تعالى يفعل ما يشاء فقال:

٥١- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ قال ابن عباس: يريد عذابًا، يعني: ريحًا هي العذاب كما قال مقاتل: ريحًا باردة مضرة[(٤)]. والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها: العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب الرياح: «**اللَّهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**»[(٥)].

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٨، بنصه.
(٢) «تفسير مقاتل» ٨٠ب.
(٣) «تفسير مقاتل» ٨٠ب.
(٤) «تفسير الثعلبي» ٨/ ١٧٠ب. ولم ينسبه. و«تفسير مقاتل» ٨٠ب. بنحوه.
(٥) أخرجه أبو يعلي، في «مسنده» ٤/ ٣٤١، رقم (٢٤٥٦)، من طريق حسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس، يرفعه، ومن الطريق نفسه أخرجه الطبراني، في «المعجم الكبير» ١١/ ١٧٠، رقم (١١٥٣٣)، قال الهيثمي: فيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير. «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٣٥. وهذا الحديث له طريق آخر؛ قال الشافعي: أخبرني من لا أتهم، أنبأنا العلاء بن راشد، عن عكرمة عن ابن عباس.. الحديث. قال الأصم: سمعت الربيع ابن سليمان يقول: كان الشافعي إذا قال: أخبرني من لا أتهم؛ يريد به: إبراهيم بن أبي يحيى السلمي. «تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف» ٣/ ٥٩، قال ابن حجر: =

قوله تعالى: (فَرَأَوْهُ) يعني: النبت والزرع الذي كان من أثر الريح رحمةِ الله ﴿مُصْفَرًّا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: متغيرًا من البرد بعد الخضرة[١].

وقوله: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ قال: معناه: لَيَظَلُّنَّ، معنى الكلام: الشرط والجزاء[٢]، قال الخليل: معناه: لَيَظَلُّنَّ، فأوقع الماضي موقع المستقبل[٣]، كقول الحطيئة:

شَهِدَ الحطيئةُ حين يلقى ربَّه

أي: يشهد[٤].

وقوله: ﴿بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة. وهذا بيان عن حال الجاهل عند المحنة من كفره ما سلف من النعمة .

قال أبو إسحاق: يعني فهم يستبشرون بالغيث، ويكفرون إذا انقطع

= إبراهيم بن يحيى هذا ضعيف. «الشافي الكاف بحاشية الكشاف» ٣/ ٤٦٨. وقال الألباني عن إسناد الشافعي: فيه العلاء بن راشد مجهول، يروي عنه إبراهيم بن أبي يحيى، وهو الأسلمي: متهم. «مشكاة المصابيح» ١/ ٤٨٣، رقم (١٥١٩).

(١) «تفسير مقاتل» ٨٠ب.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٩.

(٣) «الكتاب» ٣/ ١٠٨؛ قال سيبويه: «وسألته عن قوله ﷻ: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحًا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ فقال: هي في معنى: ليفعلُنَّ، كأنه قال: ليظلُنَّ، كما تقول: والله لا فعلت ذلك أبدًا تريد معنى: لا أفعل». وما ذكره الواحدي بنصه في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨.

(٤) أنشده كاملًا ونسبه ابن جني، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨، وعجزه:

أن الوليد أحقُّ بالعذر

والوليد، هو: الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وهو في «ديوان الحطيئة» ١٩٩.

عنهم الغيث، وجف النبت[(١)].

قال الكلبي: يقول الله تعالى: لو فعلت ذلك بهم لفعلوا[(٢)]؛ يعني: أنهم يفرحون عند الخصب، فلو أرسلت عذابًا على زرعهم كفروا سالف نعمتي، وكفروا ما كانوا يستبشرون به، وليس كذا حال المؤمن؛ لأنه لا يستشعر الخيبة والكفران عند الشدة والمحنة.

٥٢- ٥٣- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ هذه الآية، والآية التي بعدها مفسرتان في سورة: النمل[(٣)].

٥٤- قال مقاتل: ثم أخبر عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث في خلق نفسه فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[(٤)] قال قتادة والكلبي: يعني من نطفة[(٥)].

قال الزجاج: تأويله أنه خلقكم من النُّطفِ في حال ضعف[(٦)].

قال أبو علي: المعنى: خلقكم من ذي ضعف، أي: من ماء ذي ضعف، كما قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠][(٧)]. ومعنى ضَعفِ ذلك الماء: أنه قليل.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٨٩.

(٢) «تنوير المقباس» ٣٤٣.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ .. ﴾ [٨٠، ٨١].

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٠ب.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٥٦، عن قتادة. و«تفسير مقاتل» ٨٠ب. و«تنوير المقباس» ص٣٤٣، وذكره ابن قتيبة، «غريب القرآن» ص٣٤٣، ولم ينسبه.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٩٠.

(٧) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٥٠.

وقرئ ﴿ضَعْفٍ﴾ بفتح الضاد[1]، وهما لغتان[2]؛ قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. والاختيار: الضم؛ لما روي أن ابن عمر قرأ على النبي ﷺ بالفتح، فردَّ عليه بالضم[3].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة: ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ و ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ و ﴿ضِعْفًا﴾ بفتح الضاد فيهن كلهن، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي بضم الضاد فيهن كلهن، وقرأ حفص عن نفسه، لا عن عاصم: بضم الضاد. «السبعة في القراءات» ص٥٠٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٥٠. قال ابن الجزري: وقد صح عن حفص الفتح والضم جميعًا. «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٥.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٥٠.

(٣) لم أجده عند الفراء، لكن نسبه له الثعلبي ٨/ ١٧٠ب. واختار هذه القراءة للرواية الزجاج ٤/ ١٩١.

والحديث أخرجه الإمام أحمد ٧/ ١٥٣، تح: أحمد شاكر، والترمذي ٥/ ١٧٤، كتاب «القراءات» رقم (٢٩٣٦)، وأبو داود ٤/ ٢٨٣، كتاب «الحروف والقراءات»، رقم (٣٩٧٨)، والحاكم ٢/ ٢٧٠، كتاب التفسير، رقم (٢٩٧٤)، وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٧٠ب، كلهم من طريق فُضيل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي، قال: قرأت على ابن عمر ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ فقال ﴿من ضُعْفٍ﴾ قرأتُها على رسول الله ﷺ، كما قرأتَها عليَّ، فأَخذ علي كما أخذتُ عليك. وضَعَّف هذا الحديث الشيخ: أحمد شاكر، لضعف عطية العوفي، راويه عن ابن عمر، «مسند الإمام أحمد» ٧/ ١٥٣، (تح: أحمد شاكر)، والحديث لا يُعرف بهذا اللفظ إلا من طريقه كما قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث فُضيل بن مرزوق عن عطية العوفي. وقال الحاكم: تفرد به عطية العوفي، ولم يحتجا به، وقد احتج مسلم بالفضيل بن مرزوق. وعطية هذا قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مدلسًا. «تقريب التهذيب» ص٦٨٠، رقم (٤٦٤٩). وحَسَّن الحديث الألباني، «صحيح سنن الترمذي» ٣/ ١٤، رقم (٢٣٣٩)، وأحال على كتابه: «الروض النضير». وكتاب «الروض النضير» غير مطبوع فلعل تحسين الألباني له لورود هذا الحديث من طريق آخر؛ قال الطبراني: حدثنا هارون بن موسى =

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ يعني: قواكم في حال الشبيبة، وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ﴾ يعني: ضعف الطفولة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: عند الكبر أدركه الضعف والهرم. والشيبة: مصدر كالشَّيب، قال المبرد: يعني: من حملة الشيب، فخرج من حملة الشيب مخرج الواحد، ويعني به: الجمع[(١)]، وكذلك القوة

= الأخفش المقري الدمشقي، حدثنا سلام بن سليمان المدائني، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، عن نافع عن ابن عمر، قال: قرأت على رسول الله ﷺ.. الحديث. «المعجم الصغير» للطبراني ٢/ ٣٩٧، رقم (١١٠٠). وسلام بن سليمان: ضعيف. «تقريب التهذيب» (٤٢٥)، رقم (٢٧١٩). ولذا قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الطريق من رواية ابن مردويه، قال: في إسناده سلام بن سليمان. «الكافي الشاف» بحاشية الزمخشري ٣/ ٤٧٠. وقد ذكر محققو مسند الإمام أحمد رواية الطبراني؛ ولم يقووا بها هذا الحديث بل قالوا: قلنا: سلام متروك. «مسند الإمام أحمد» ٩/ ١٨٦، رقم (٥٢٢٧). ط/ مؤسسة الرسالة.

وذكر ابن عدي سلام بن سليمان هذا؛ وقال: هو عندي منكر الحديث، ثم ساق له أحاديث استنكرها عليه منها هذا الحديث؛ ثم قال: وهذه الأحاديث عن أبي عمرو عن نافع عن ابن عمر لا يرويها عن أبي عمرو إلا سلام هذا. «الكامل في ضعفاء الرجال» ٣/ ١١٥٦.

والصواب- والله أعلم- ضعف هذا الحديث، وأنه لا يرتقي لدرجة الحسن. وأقصى ما يفيده الحديث على فرض صحته أن النبي ﷺ، أنكر على ابن عمر قراءته ﴿ضَعۡفٖ﴾ بغير القراءة التي أقرأه إياها؛ كما ذكر الواحدي عن الفراء أن الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم؛ وعلى ذلك لا يؤخذ من هذا الحديث تفضيل قراءة الضم على قراءة الفتح. والله تعالى أعلم.

(١) قول المبرد: من حملة الشيب، الظاهر منه أنه جعل لفظ: الشيبة أحد أفراد الشيب على اعتبار أن لفظ الشيب مصدر فيه عموم وشمول وإحاطة على حد قوله: فهي تحيط بالشيء، وعليه فلفظ: شيبة مفرد كما هو ظاهر من لفظه أريد به الجمع. والله أعلم.

والضعف، وجاز هذا؛ لأنها مصادر فهي تحيط بالشيء، تقول: قوي قوة، وشاب شيبة، وضعف ضعفًا؛ لأنها هيآت تقع على النوع.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: من ضعف وقوة وشيبة وشباب ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

٥٥- وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد يوم القيامة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ إلا ساعة واحدة[١].

وقال قتادة: ما لبثوا في الدنيا غير ساعة[٢]. والقول هو الأول؛ لأن الآية الثانية دلت عليه[٣]. قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ قال الزجاج: مثل هذا الكذب كذبهم؛ لأنهم أقسموا على غير تحقيق[٤].

وقال الكلبي: كذبوا في قولهم: ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ كما كذبوا في الدنيا[٥].

وقال مقاتل: يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث في الدنيا، كما كذبوا أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة[٦].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٨١أ. وتفسير ابن جرير ٢١/ ٥٧. وهو قول الزجاج ٤/ ١٩١. والثعلبي ٨/ ١٧٠ب.

(٢) ذكره عنه السيوطي، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعبد بن حميد. «الدر المنثور» ٦/ ٥٠٢.

(٣) وهي قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٩٢.

(٥) «تنوير المقباس» ص٣٤٣.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨١أ.

وقال ابن قتيبة: أي: كَذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل، ويقال: أُفِك فلانٌ؛ إذا عُدِل به عن الصدق وعن الخير(١). وهذا إخبار عن حال المجرم من إقدامه على الإفك، عاقبة أمره كإقدامه في ابتدائه.

وذكر مقاتل وغيره في سبب كذبهم: أنهم استقلوا قدر لبثهم في الدنيا في القبور لَمَّا عاينوا الآخرة(٢). والصحيح في معنى الآية: أنهم كذبوا من غير عذر، بل حلفوا كاذبين كذبًا صريحًا؛ لأنهم لو استقصروا مدة لبثهم وخُيل إليهم أنهم لم يلبثوا إلا ساعة كانوا معذورين في كذبهم، وليس الأمر على ذلك، ولكن الله تعالى أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع من المؤمنين أنهم كاذبون في ذلك، ويستدلون بكذبهم هناك على كذبهم في الدنيا بالشرك والكفر، وكان ذلك من قضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يُصرفون، يعني: كما صُرفوا عن الصدق في حلفهم حتى حلفوا كاذبين، صرفوا في الدنيا عن الإيمان، ولو أراد: كذلك كانوا يكذبون؛ لقال: يَأفكون، فلما قال: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ دلَّ على إثبات القَدَر. ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم بقوله:

٥٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: لبثتم في القبور في خبر الكتاب إلى يوم القيامة(٣)، وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] وقيل: المعنى فيما كتب الله لكم من اللُبث.

(١) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٣.
(٢) «تفسير مقاتل» ٨١أ.
(٣) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٣، بنصه.

وقال الزجاج: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ[١].

وقال صاحب النظم: في حكم الله الذي حكم به في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾. وأما المفسرون فإنهم يقولون: هذا على التقديم؛ على تقدير: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وهو قول الكلبي وقتادة[٢]. وهذا يحتمل تأويلين؛ أحدهما: الذين يعلمون كتاب الله فلهم فيه علم. والثاني: الذين حكم لهم في كتاب الله بالعلم، وأخبر في الكتاب عن علمهم.

قوله تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، وتكذبون به. ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن؛ يدل على هذا المعنى قوله تعالى:

٥٧- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد: لا يُقبل من الذين أشركوا عذر، ولا عتاب، ولا توبة ذلك اليوم. وقرئ ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالياء[٣]؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي، وقد

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٩٢.

(٢) ذكره السيوطي عن قتادة، وعزاه لابن أبي حاتم، وعبد بن حميد. «الدر المنثور» ٦/ ٥٠٢. وقد وقع خطأ في كتابة قول قتادة في تفسير ابن جرير ٢١/ ٥٧، حيث كتب: هذا من مقاديم الكلام، وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله. والصواب ما ذكره السيوطي في الدر، ونسبه أيضًا لابن جرير. وقال بقول قتادة: مقاتل ٨١أ. ونسبه لقتادة ومقاتل الثعلبي ٨/ ١٧١أ.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر: ﴿لَّا تَنفَعُ﴾ بالتاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالياء. «السبعة في القراءات» ص٥٠٩، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٥٠، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣٤٦.

فصل الفعل بين الفاعل وفعله[١]. وإذا انضم إلى أن التأنيث ليس بحقيقي، قوي التذكير[٢].

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة.

٥٨- وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ بينا ووصفنا[٣] للمشركين ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ احتجاجًا عليهم، وتنبيهًا لهم ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿ نَفَعُ﴾ قال ابن عباس: يريد كما أرسل الأولون قبلك، يعني بآية؛ كالعصا واليد، وغير ذلك من آيات الأنبياء ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ﴾ ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل. وهذا إخبار عن عنادهم وتكذيبهم، وأنهم لا يعقلون عن شركهم وكفرهم بالآيات الواضحة إن أُتوا بها. ثم ذكر سبب ذلك فقال:

٥٩- ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتوحيد الله، وكل من لم يؤمن بالله ويعلم توحيده فذلك لأجل طبع الله على قلبه.

٦٠- ولما أخبر عن الطبع على قلوبهم أمر نبيه ﷺ بالصبر إلى وقت النصر فقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بنصر دينك، وإظهارك على عدوك حقٌ[٤] ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ قال أبو إسحاق: أي: لا يستفزونك عن دينك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: هم ضالون شاكون[٥].

---

(١) هكذا في النسختين: وقد فصل الفعل بين الفاعل وفعله، وفي كتاب أبي علي، «الحجة» ٥/ ٤٥٠: وقد وقع الفصل ين الفاعل وفعله. وهذا هو الصواب فالمفعول ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فصل بين الفاعل ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ والفعل ﴿يَنفَعُ﴾.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٥٠.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨١أ.

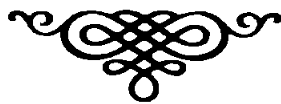
(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٩٢.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ١٩٢، وفيه: يستفزَّنَّك.

وقال الأزهري: استخف فلانٌ فلانًا إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[(١)] ولا يستخفن رأيك وحلمك. وهذا هو المعنى. وهو الذي يليق بالصبر؛ أمره الله تعالى بالصبر وأن يثبت إلى أن يأتي وقت نصره، وإهلاك من ناوأه. وقال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ما جئت به.

وقال مقاتل: لا يوقنون بنزول العذاب عليهم في الدنيا؛ وهم الذين عذبهم الله ببدر[(٢)].

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب.



التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة يس

تحقيق

د. محمد بن عبدالله بن سابح الطيار

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- ﴿الٓمٓ﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة[١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيره هناك[٢]، وفي سورة يونس[٣].

٣- [قوله][٤]: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ القراءة بالنصب على الحال، المعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية[٥] والرحمة قاله الزجاج[٦]. وهو معنى قول الكسائي والفراء.

---

(١) آية (١)، وما بعدها. وقد ذكر المؤلف رحمه الله هناك أقوالًا كثيرة في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور، ولعل الراجح منها- والله أعلم- هو ما ذهب إليه المحققون من أن هذه الحروف إنما ذكرت بيانًا لإعجاز القرآن. قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٨: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكر فيها بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية.

(٢) آية (٢) سورة البقرة.

(٣) آية (١).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في «أ»: البداية وهو خطأ.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٣.

وقرأ حمزة: هدى ورحمةٌ، بالرفع على إضمار هو، وعلى معنى: تلك هدى ورحمة هذا قول أبي إسحاق، وهو معنى قول الفراء[١]: رفعها حمزة على الاستئناف؛ لأنها مستأنفة في آية منفصلة من الآية التي قبلها[٢].

وقال أبو علي: وجه النصب أنه انتصب على الاسم المبهم، وهو من كلام واحد، والرفع على إضمار المبتدأ، أي هو هدى ورحمة[٣].

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: بيان من الضلالة والرحمة من العذاب[٤]. ﴿للمحسنين﴾[٥] للموحدين من أمة محمد ﷺ.

٤- وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال صاحب النظم: يحتمل أن يكون هذا متصلًا بما قبله على أن يكون نعتًا للمحسنين، ويحتمل أن يكون منقطعًا مبتدئًا، ويكون:

٥- قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ خبر له، وعلى القول الأول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ مما قبله وخبره في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ثان معطوف على ما قبله وخبره في قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وتفسير هذه الآيات [ماض][٦] فيما تقدم[٧].

٦- وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث الداري وكان يشتري كتبًا فيها أخبار

---

(١) و(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٣٦.
(٣) «الحجة» ٥/ ٤٥٢.
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٨١/أ، ولم أقف على من نسبه للكلبي.
(٥) ساقط من (أ)، وفي (ب): (للمؤمنين)، وهو خطأ.
(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (ب).
(٧) عند الآية رقم (٥) من سورة البقرة.

الأعاجم ويحدث بها أهل مكة، ويقول: محمد يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم حديث[١] فارس والروم وملوك الحيرة[٢].

قال مقاتل: لهو الحديث: باطل الحديث، يعني باع القرآن بالحديث الباطل حديث رستم وأسفنديار، فزعم أن القرآن مثل حديث الأولين[٣]. وهذا القول هو [قول][٤] الفراء وابن قتيبة[٥]، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال: ومن يشتري[٦] هو النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة فاشتري أحاديث الأولين، وجاء بها إلى مكة، واجتمع إليه المشركون يقرأها عليهم، ويقول: أنا اقرأ عليكم كما يقرأ عليكم محمد أساطير الأولين. هذا قول معمر[٧][٨].

---

(١) في (ب): (أحاديث).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨١/أ، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٢٩، «زاد المسير» ٦/ ٣١٦. والحيرة: بالكسر ثم السكون مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له: النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها.

انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٢/ ٣٢٨.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨١ أ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٦ ونسبه لابن عباس، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤٤.

(٦) في (أ): زيادة (قال)، وهو خطأ.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٤/ ٥٢، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٦ غير منسوب لأحد.

(٨) هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن، صاحب الزهري كهلًا، وأقدم شيوخه موتًا قتادة.ولد سنة خمس أو ست وتسعين، ارتحل في طلب الحديث إلى اليمن، فلقي بها همام بن منبه =

وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث: الغناء، وهو رواية سعيد بن جبير ومقسم عن ابن عباس[(١)]، وأبي الصهباء[(٢)] عن ابن مسعود[(٣)]، وهو قول مجاهد وعكرمة[(٤)].

وروى ابن أبي [...][(٥)] عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ قال: اشتراء الجارية تغنيه ليلًا ونهارًا[(٦)].

= صاحب أبي هريرة.حدث عن قتادة والزهري وعمرو بن دينار وهمام بن منبه وغيرهم كثير. وعنه أيوب وأبو إسحاق وعمرو بن دينار وغيرهم، مات سنة ١٥٣هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٥، «شذرات الذهب» ١/ ٢٣٥، «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٤٦.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٦١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٤٩٠، «زاد المسير» ٦/ ٣١٦، البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٢٣.

(٢) هو: صهيب أبو الصهباء البكري البصري، ويقال: المدني، مولى ابن عباس، روى عن مولاه ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وابن مسعود.وعنه سعيد بن جبير وطاوس بن كيسان وجماعة. قال عنه أبو زرعة: مدني ثقة.وذكره ابن حبان في الثقات. روى له مسلم وأبو داود والنسائي، وقد ضعفه النسائي.
انظر: «تهذيب الكمال» ١٣/ ٢٤١، «الكاشف» ١/ ٥٠٥، «التاريخ الكبير» ٤/ ٣١٦.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٦١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٤٩٠، زاد المسير ٦/ ٣١٦. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب التفسير: تفسير سورة لقمان ٢/ ٤١١، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٢٣.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٥، «تفسير الطبري» ٢١/ ٦١ وما بعدها، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨١ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٢٨، «زاد المسير» ٦/ ٣١٦.

(٥) ما بين المعقوفين بقدر كلمة غير واضحة.

(٦) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٢٣ عن ابن عباس قال: هو الغناء وأشباهه. وكذا في «معرفة السنن والآثار» ١٤/ ٣٢٧ رقم ٢٠١٥٧.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية، قال: اشترى المغني والمغنية بالمال الكثير والاستماع إليه وإلى مثله من الباطل[١]. وهو قول مكحول[٢].

وروي ذلك مرفوعًا، روى القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام**»، وفي مثل هذا نزلت الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾[٣] وهذا القول اختيار أبي إسحاق قال: أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث هاهنا الغناء؛ لأنه يلهي عن ذكر الله[٤].

قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن[٥]. وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء ولفظ

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٠٣، «تفسير الطبري» ٢١/ ٦٢. وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٠، وعزاه لآدم وابن جرير والبيهقي في «سننه».

(٢) ذكر قول مكحول البغوي في «تفسيره» بهامش «تفسير الخازن» ٥/ ٢١٤، والخازن في «تفسيره» ٥/ ٢١٤، قال مكحول: من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيمًا عليه حتى يموت لم أصل عليه، وإن الله يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية.

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٦٤، والترمذي ٥/ ٢٦ وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه في في التجارات، باب ما لا يحل بيعه، رقم (٢١٦٨)، والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٦٠، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٢١٢، ٢٥٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٧، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ١٩٤، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٢٧٧ وما بعدها.

ويقصد بأهل المعاني: من كتبوا في معاني القرآن من جهة اللغة والنحو، كالفراء والزجاج وابن الأنباري والأخفش. قال في «البرهان» ١/ ١٩٢: قال ابن الصلاح: =

الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار، وهو كثير في القرآن، ويدل على هذا ما قال قتادة في هذه الآية: أما والله لعله ألا يكون[١] أنفق مالًا، وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق[٢]. وهذه الآية- على هذا التفسير- تدل على تحريم الغناء، وفيه تفصيل يحتاج إلى ذكره هاهنا.

قال الشافعي رحمه الله: وإن كان يديم الغناء، ويغشاه المغنون معلنًا فهذا سفه يرد به معنى الشهادة، وإن كان ذلك بقل لم يرد، فأما استماع الحداء ونشيد الأعراب والرجز فلا بأس به[٣]، هذا كلامه.

قال أصحابنا: نشيد الأعراب يجوز استماعه، وإن أنشد في الألحان في الحداء وغيره، وأما الغناء المحض فالقليل منه لا يعد سفهًا، والمداومة عليه من جملة السفه لاسيما مع الإعلان، وأما الأوتار والمزامير والمعازف كلها حرام، وكذلك طبل اللهو، أما الراع فمكروه استماعه مع تخفيف فيه؛ لما روي عن نافع عن[٤] ابن عمر سمع صوت زمارة راع، فجعل أصبعيه في أذنيه، وعدا عن الطريق، وجعل يقول: يا نافع: أتسمع؟ فأقول: نعم، فلما قلت: لا، راجع الطريق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٥].

= وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني، فالمراد به مصنفو الكتب في «معاني القرآن» كالزجاج ومن قبله.

(١) في (ب): (إلا أن يكون).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٥، «تفسير الطبري» ٢١/ ٦١، «المحرر الوجيز» ١١/ ٤٨٤.

(٣) «الأم» ٦/ ٢١٤.

(٤) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: أن.

(٥) ذكره صاحب «كنز العمال» ١٥/ ٢٢٧، رقم الحديث (٤٠٦٩٢) وقال: أخرجه ابن=

فلما اقتصر رسول الله ﷺ على وضع الأصبع في الأذن ولم يصرح بالنهي عنه، دل على ما ذكرنا. وأما غناء الفساق فذلك أشد ما في الباب. وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه، وهو: ما روي أن النبي ﷺ قال: **«من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»**[(١)].

وأما الدف فمباح، ضرب بين يدي رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة فهم أبو بكر بالزجر، فقال رسول الله ﷺ: **«دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح»** فكن يضربن ويقلن:

نحن بنات النجار حبذا محمد من جار[(٢)]

وأما الحركة التي تعتري الإنسان عند السماع، فما حصل منه والإنسان فيه كالمغلوب فذلك لا يعد سفهًا. فقد روي أن زيد بن حارثة لما نزل اسمه في القرآن حجل[(٣)(٤)]. وأما حالة الاختيار فذلك غير حميد. فمعناه:

= عساكر. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٠٧، وعزاه لابن أبي الدنيا، والبيهقي عن نافع.

(١) ذكره صاحب «كنز العمال» ٣/ ٦٦٢، وقال: أخرجه ابن عساكر عن أنس.

(٢) ذكر هذا الأثر الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٢١٩، وفي «السيرة النبوية» ٢/ ٢٧٤، وقال عنه: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرجه الحاكم في «مستدركه» كما يروى. وذكره الحلبي في «السيرة الحلبية» ٢/ ٢٤٦، وأورده كذلك الشامي في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ٣/ ٢٧٤.

(٣) حجل، قال الأزهري: الإنسان إذا رفع رجلًا وتريث في مشيه على رجل فقد حجل. قلت: ومثل هذه الحالة تكون من الإنسان حينما يفرح. انظر: «اللسان» ١١/ ١٤٤.

(٤) هذا الأثر ذكره ابن منظور في «اللسان» ١١/ ١٤٤.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقال مقاتل: يعني لكي يشترك بحديث الباطل عن دين الله[1] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه. وقال أبو إسحاق: من قرأ: ﴿لِيُضِلَّ﴾، بضم الياء، ليضل غيره إذا أضل غيره فقد ضل هو أيضًا ومن قرأ ﴿لِيَضِلَّ﴾ فمعناه: ليصير أمره إلى الضلال، وهو إن لم يقدر أن يضل فإنه يصير أمره إلى أن يضل[2].

ومعنى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جاهل فيما يفعله عن علم.

وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالرفع عطف على يشتري، وبالنصب على ليضل[3]. واختلفوا في الكناية، فقال مجاهد: الكناية للسبيل[4] [ويتخذ سبيل الله هزوًا. قال مقاتل: آيات القرآن هزوًا[5]. وذكر الفراء والزجاج وأبو علي القولين فقالوا: قد جرى ذكر الآيات في قوله: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيجوز الضمير للآيات، ويجوز أن يكون للسبيل][6]، والسبيل يؤنث قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٨][7] وما بعد هذا من الآيات مفسر في مواضع مما تقدم.

١٠- وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ مفسر في ابتداء سورة

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٨١ ب قال: يعني لكي يستزل بحديث الباطل عن سبيل الله الإسلام.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٤.

(٣) انظر: «القراءات وعلل النحويين فيها» ٢/ ٥٢٣، «الحجة» ٥/ ٤٥٣.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٦٤.

(٥) أنظر: «تفسير مقاتل» ٨١ ب، قال: ويتخذ آيات القرآن استهزاء به.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٧، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ١٩٤، «الحجة» لأبي علي ٥/ ٤٥٣.

الرعد[١]. وقوله: ﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ مفسر في سورة النحل[٢].

١٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسود من أهل مصر، خياطًا[٣].

وقال مجاهد: كان لقمان الحديث[٤] رجلًا أسود عظيم المشافر[٥][٦]. وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبيًّا[٧].

وروي ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: **«لم يكن لقمان نبيًّا، ولكن كان عبدًا كثير التفكر، حسن اليقين، أحب الله فأحبه»**[٨].

وقال عكرمة والسدى: كان نبيًّا[٩]. وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[١٠]. وهؤلاء فسروا الحكمة في هذه الآية بالنبوة.

وقال مجاهد في تفسير الحكمة هاهنا: الفقه والعقل وإصابة في القول

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الاية: ٢].

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية: ١٥].

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٣١.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: (الحكيم).

(٥) المشافر: جمع مشفر وهي الشفاه الغليظة.

(٦) ذكر قول مجاهد: «الثعلبي في تفسيره» ٣/ ١٧٢ أ، قال: كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين متشقق القدمين. وذكره القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٥٩.

(٧) حكى الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٧٢ أ الإجماع على أن لقمان كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا. إلا عكرمة فإنه قال: كان نبيًا، تفرد بهذا القول.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٢ ب، عن ابن عمر، وذكره القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٥٩، عن ابن عمر أيضًا.

(٩) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٦٨، «بحر العلوم» ٣/ ٢٠.

(١٠) لم أجد فيما عندي من مراجع من نسب القول بنبوة لقمان إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

في غير نبوة[(١)].

وقال قتادة: الفقه في الإسلام ولم يكن يوحى إليه[(٢)].

وقال مقاتل: أعطيناه العلم في غير نبوة[(٣)].

وقال الكلبي: العلم والفهم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ قال المبرد: أي اشكر لله، وكان هذا تأويل الحكمة، كقولك: قد تقدمت إلى أن رأيت عمرًا، أي أنت عمرًا[(٥)]، ومثله قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧]، وكذلك ما كان مثله.

قال سيبويه: معناه أي: اعبد الله، وكذلك ما كان مثله، قال: ويجوز أن يكون أن التي هي والفعل مصدر، تقول: كتبت إليك أن قم، فتصل أن بلا كما تصل، بفعل وهذا جائز وليس بالوجه عند سيبويه[(٦)].

وذكر أبو إسحاق القول الأول فقال: يجوز أن يكون أن مفسرة فيكون المعنى أي: اشكر لله[(٧)].

وقال صاحب النظم: هذا على تأويل أن من أوتي الحكمة شكر لله، فكأنه لما قال: ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، أعلم أنه قد أمره بالشكر له،

(١) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٢١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١ / ٦٧. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٥١١، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٨١ ب.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) لم أقف على قول المبرد.

(٦) «الكتاب» ٣/ ١٥٣، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٦١.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٥.

بقوله[١]: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ٦] قال ابن عباس: أن اشكر لله يريد على ما أعطاك الله من الحكمة[٢].

وقال مقاتل: فقلنا له أن اشكر لله فيما أعطاك من الحكمة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ يريد من يطع الله، فإنما يعمل لنفسه. قاله ابن عباس[٤]. وقال مقاتل: ومن يشكر لله في نعمه فيوحد الله، فإنما يعمل الخير لنفسه[٥]. ومن كفر النعم، فلم يوحد ربه، فإن الله لغني[٦] عن عباده وخلقه. قال عطاء عن ابن عباس: حميد إلى خلقه[٧].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ قال أبو إسحاق: موضع إذ نصب بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: ولقد آتيناه الحكمة إذ قال لابنه؛ لأن هذه الموعظة حكمة[٨]. ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ قال ابن عباس: في الله[٩]. قال مقاتل: كان ابنه وامرأته كفارًا فما زال بهم حتى أسلموا[١٠].

قوله: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ ذكرنا القراءات ووجوهها في ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ عند: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]. وقرأ ابن كثير: يا بني، مخففة

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: كقوله.

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدي من مراجع.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٨١ ب.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٦٢ ولم ينسبه لأحد.

(٥) «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

(٦) في (ب): (لغنى).

(٧) لم أقف عليه فيما بين يدي من مراجع.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٦.

(٩) لم أعثر عليه.

(١٠) «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

ساكنة الياء، وكذلك: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في رواية الحواس. ووجه ذلك أن الأصل: يا بنيي بثلاث ياءات، ثم تحذف ياء الإضافة كما يقال: يا غلام أقبل، وذكرنا ذلك في سورة هود[1] فلما حذف ياء الإضافة بقيت ياء مشددة، فخففها في الوقف كما تخفف سر وضر، وكقولك عمران[2]:

قد كنت جارك حولا لا يروعني   فيه روائع من إنس ولا جان[3]

فخفف النون للوقف وأطلقها [كما شددها للوقف وأطلقها في][4] نحو سببا ويمهل، فلما حذفت الياء المدغم فيها للوقف بقيت الياء الساكنة، وهي ياء التصغير [هذا إذ وقفها، وإن وصلها هذا][5] إذا وقف، فإن وصلها ساكنة فقد أجرى الوصل مجرى الوقف، وهو قياس «من إنس ولا جان» فإنه خفف وأدرجه بحرف الإطلاق وهذا يعلمه جاء في الكلام، وغير هذا الوجه في القراءة أولى، ولو كان هذا في فاصلة كان أحسن؛ لأن الفاصلة في حكم القافية. فإن قيل: ياء التصغير لا يوقف عليها ولا تلحق آخر الكلمة، قيل: إنها ليست في حكم الآخرة وإن كان اللفظ على ذلك من حيث كان الحرف المحذوف للتخفيف في الوقف في حكم المثبت؛ لأن

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية ٤٢].

(٢) هكذا في النسخ، والصواب: كقول عمران.

(٣) البيت من الكامل، وهو لعمران بن حطان الحروري يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ﷺ كما قاله المبرد في «الكامل» ٣/ ٨٩٨، وهو في «الحجة» ٤/ ٣٣٦، ٥/ ٤٥٤، وفي «اللسان» ١٣/ ٩٦ (جنن)، «المحتسب» ٢/ ٧٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط في (ب).

(٥) هكذا جاءت العبارة في جميع النسخ! والذي يظهر أن ما بين المعقوفين خطأ، إذ وجوده في النص يجعل الأسلوب ركيكًا ومضطربًا.

الحذف ليس بلازم له ويدل على ذلك قول الشاعر:

ارهن بنيك عندهم أرهن بني[١]

فالياء[٢] من بني مخففة للوقف، والتقدير بني يا هذا، فلما وقف عليه أسكن وخفف، والياء المحذوفة في نية[٣] الثبات، وحكمه يدلك على ذلك أنه كان على خلاف هذا الرد[٤] النون في بنين، فلما لم يرد النون في بنين علمت أنها في حكم الثبات[٥]. وقد ذكرنا مثل هذا في أول الكتاب عند قوله في اسم الله.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد ليس من الذنوب شيء أعظم من الشرك بالله[٦].

قال أبو إسحاق: يعني أن الله هو المحي المميت الرازق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به أحدًا غيره فذلك أعظم الظلم؛ لأنه جعل النعمة لغير ربها، وأصل الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه[٧].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ نزلت في سعد بن أبي

---

(١) شطر بيت من الرجز، لم أقف على تمامه وقائله. وقد ذكر ابن جني في «المحتسب» ١/١٠٨ أنه جاهلي، «الخصائص» ٣/٣٢٧، «اللسان» ١٣/١٨٨ غير منسوب لأحد.

(٢) في (أ): (فالهاء)، وهو خطأ.

(٣) في (ب): (بنية)، وهو خطأ.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: لرد، بدون ألف قبلها. انظر: «الحجة» ٤/٣٣٨.

(٥) إلى هنا من قوله عمران قد كنت جارك.. منقول من «الحجة» ٤/٣٣٦ وما بعدها، بتصرف يسير جدًا.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/١٩٦.

وقاص لما أسلم، وذكرنا القصة في أول سورة العنكبوت.

وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ذكرنا تفسير الوهن عند قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾[(١)] قال ابن عباس والكلبي والسدي: ضعفا على ضعف[(٢)]. قال أبو إسحاق: أي لزمها لحملها إياه أن[(٣)] تضعف مرة بعد مرة[(٤)]. وانتصب هاهنا وهنا على المصدر، ودل قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ على أن المعنى وهنت بحملها إياه وهنا على وهن. وهذا غير متصل بالكلام الأول في الآية. قال صاحب النظم: قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ مبتدأ يقتضي جوابًا فلم [يأت به][(٥)] وابتدأ في وصف الإنسان فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ونظم [به وصفًا][(٦)] آخر فقال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ فإنما عدد الله ﷻ ذلك ليبين وجوب حق الوالدة بما لزمها من التعب والنصب في الولادة، فلما فرغ من ذلك رجع إلى خبر الابتداء فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ على تأويل ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك.

قوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ الفصال: الفطام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع. والتقدير: وفصاله في انقضاء عامين. قاله

---

(١) قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(٢) لم أقف على من نسبه إلى ابن عباس أو الكلبي أو السدي، وإن كان أكثر المفسرين ذكروا هذا القول إلا أن الطبري نسبه للضحاك ٢١/ ٦٧، ونسبه الماوردي للحسن وعطاء ٤/ ٣٣٤.

(٣) (أن) ساقطة من (ب).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٦.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

الأخفش[١].

وجعله من باب حذف المضاف، والمعنى لانقضاء عامين. وهو أنه إذا تم للولد حولان فطم، وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] الآية.

فقوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ مبتدأ، وخبره في الظرف على تقدير: وفصاله يقع في انقضاء عامين. والمعنى ذكر مشقة الوالدة بإرضاع الولد بعد الوضع عامين.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال ابن عباس: يريد أطعني وأطع والديك[٢].

قال مقاتل: أن اشكر لي إذ[٣] هديتك للإسلام، ولوالديك بما أولياك من النعم[٤].

وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ تفسير لمعنى الوصية، وجاز ذلك؛ لأن الوصية قوله، فكأنه قال: قلنا للإنسان أن اشكر لي ولوالديك. قال صاحب النظم [وقال صاحب][٥] المعني: ووصينا الإنسان أن اشكر لي ولوالديك، أي: وصيناه شكرنا وشكر والديه. وقوله: ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: إلى المرجع والمنقلب فأجزيك بعملك[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٧٨.

(٢) لم أعثر عليه فيما لدي من مراجع.

(٣) في (ب): (أن).

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٢ أ.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة، ولعلها وهم من النساخ.

(٦) لم أعثر فيما لدي من مراجع على من نسب هذا التفسير لابن عباس، وفي «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٦٦ قال: ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأجزيك بعملك.

١٥- ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ مفسر في سورة العنكبوت[(١)] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال ابن عباس: يريد اصحبهما في الدنيا بالمعروف[(٢)]. وقال مقاتل: يعني بإحسان[(٣)].

وقال أبو إسحاق: أي مصاحبًا معروفًا، يقول: صاحبته مصاحبًا ومصاحبة، ومعنى المعروف: ما يستحسن من الأفعال[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قال السدي: يعني محمدًا ﷺ[(٥)]. ونحوه قال مقاتل: يعني دين من أقبل إلى طاعتي، وهو النبي ﷺ[(٦)].

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر ﷺ، وذلك أنه حين أسلم أتاه[(٧)] عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان، وطلحة بن [...][(٨)] والزبير فقالوا لأبي بكر ﷺ: آمنت وصدقت محمدًا؟ فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى لسعد: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: أبا بكر ﷺ[(٩)].

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

(٢) لم أقف عليه فيما عندي من مراجع.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٧.

(٥) لم أقف فيما بين يدي من مراجع على من نسبه للسدي، وذكر مقاتل ٨٢ أ.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٢ أ.

(٧) في (ب): «أباه»، وهو خطأ.

(٨) في جميع النسخ ترك بياض بمقدار كلمة، وعند المفسرين: وطلحة، بدون ابن.

(٩) انظر: «أسباب النزول» ص٣٦٣، والقرطبي ١٤/ ٦٦، والبغوي ٣/ ٤٩٢.

وهذه تدل على وجوب مصاحبة الوالدين بالمعروف وإن كانا كافرين مع ملازمة الإيمان، ومن مصاحبتهما بالمعروف نفقتهما عند فقرهما، وهي واجبة على الابن المسلم وإن[١] كانا كافرين كما تجب إذا كانا مسلمين.

قال عطاء عن ابن عباس: نزلت الآيتان في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه أسلم في أول ما ظهر رسول الله ﷺ بمكة، وأسلم أخواه عامر وعويمر، فلم يبق منهم مشرك إلا عتبة، فمشت بنو زهرة إلى أم سعد، فقالوا لها: إن بنيك سفهوا ديننا وغمصوا على آبائنا- ولم يكن أحد بمكة [فذلك][٢] أبر بأمه من سعد- فقالت لهم: إن سعدًا ما عصاني قط، فسأرده إلى ما تحبون، وأما عامر فلم يزل[٣] لي عاصيًا، وأما عويمر فهو صبي صغير السن، فلما أتاها سعد قالت له أمه: يا سعد، إن الأشراف من قومك مشوا إلي يذكرون أنك سفهت أخلاقهم وطغيت على آلهتهم، فوعدتهم أن أردك إلى ما يحبون. فقال لها سعد: قد علمت بري بك وأني لم أعصك، وأنا لا أعصيك إلا أن تأمريني بمعصية الله، فإن أمرتيني بمعصية الله فلم أطعك، فأنزل الله ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الآيتين[٤].

---

(١) في (ب): (ولو).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهو خطأ.

(٣) في (أ): (زال)، وهو خطأ.

(٤) لم أقف على هذه القصة بطولها، وإن كان أكثر المفسرين ذكروا أنها نزلت في سعد ابن أبي وقاص وأمه. انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٠، «تفسير ابن كثير» ٥/ ٣٠٩، «زاد المسير» ٦/ ٢٥٧. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢١ وعزاه لأبي يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر.
والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص ٤/ ١٨٧٧، والترمذي في «سننه» كتاب التفسير: سورة العنكبوت ٥/ ٢٢، حديث رقم (٣٢٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

١٦- قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ الآية. قال السدي: ابن[(١)] لقمان لأبيه: يا أبتاه، لو كانت حبة من خردل الآية في البحر أكان الله يعلمها؟ فقال له يا بني: إنها إن تك[(٢)].

وقال مقاتل: قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت، إن عملت[(٣)] بالخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمه الله؟ فرد عليه لقمان: يا بني، إنها إن تك مثقال حبة من خردل[(٤)].

[قال أبو إسحاق: المعنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل][(٥)]. قال: ويجوز أن يكون المعنى إن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله. قال: ويجوز أن يكون الكناية للقصة على أن القصة كذا كما تقول: إنها هند قائمة، وإنها زيد قائمة[(٦)]. وهذا من الضمير على شريطة التفسير، وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] وفي مواضع.

---

(١) هكذا في جميع النسخ! والذي يظهر أن هناك كلمة ساقطة وهي: قال.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٦٦ ولم ينسبه لأحد، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٧.

(٣) في (ب): (علمت).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ أ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٧-١٩٨، إلا أن نقل المؤلف رحمه الله لم يكن دقيقًا، فأبو إسحاق يقول: فعلى معنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة، وعلى معنى أن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت الله بها، ويجوز إنها إن تك بالتاء مثقال حبة من خردل، على معنى أن القصة كما تقول: إنها هند قائمة، ولو قلت: إنها زائد قائم لجاز.

قلت: أما قول المؤلف: إنها زيد قائمة فهذا وجه لا يجوز في اللغة العربية بحال.

وقوله: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾[١] قرئ: مثقال بالرفع والنصب، فمن نصب باسم كان لينبغي أن يكون مضمرًا على تقدير: إن تكن الخطيئة أو المظلمة أو السيئة مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة، فهو بمنزلة إن تك حبة من خردل، أو يقال: المراد بمثقال حبة من خردل هو السيئة والحسنة، [فأنث][٢] تك على المعنى كما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأنث وإن كان المثل مذكرًا، فإنه يراد به الحسنات، فحمل[٣] على المعنى، وكذلك المثقال[٤][٥]. و ﴿تَكُ﴾ هاهنا بمعنى تقع، ولا خبر له.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس في رواية: يعني: الصخرة التي تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار[٦].

ونحو هذا قال مقاتل، قال: وهي صخرة خضراء مجوفة[٧].

---

(١) في (أ) زيادة واو (وإن تك)، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٣) في (ب): (تحمل).

(٤) في (ب): (للثقال).

(٥) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٥٦.

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٤٦، وقال: ذكره السدي بإسناده ذلك المطروح عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة. وذكر الماوردي في «تفسيره» ٤/ ٣٣٧ وعزاه للربيع بن أنس والسدي. وذكره القرطبي ١٦/ ٦٨ ولكنه والماوردي لم يذكرا آخر القول، وهو أنها التي يكتب فيها أعمال الفجار. وذكر القول بأكمله منسوبًا لابن عباس: الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٧٣ أ.

(٧) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٦٦.

وقال عبد الله بن الحارث: هي صخرة خضراء على ظهر الحوت[١].

قال الكلبي: هي الصخر التي الأرض عليها[٢]. ونحو هذا قال السدي: هذه ليست في السموات ولا في الأرض، إنما هي تحت سبعة أرضين عليها ملك قائم[٣][٤].

وقال قتادة: فتكن في صخرة، أي: جبل[٥] ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إن قيل: هذه الصخرة لا يخلو من أن تكون في الأرض، وإذا حصل بكونه في الأرض أغنى ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عن قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾. قيل: قد صرح السدي بأن هذه الصخرة ليست في الأرض، على أن هذا النحو من التأكيد والتكرير لا ينكر، وعلى هذا قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يقول يعلمها الله[٦]. وهذا قول السدي[٧]. وهو معنى وليس بتفسير. قال أبو إسحاق: وهذا مثل لأعمال

---

(١) ذكره «تفسير القرطبي» ١٤/ ٦٨ ولم ينسبه لأحد، وذكره الثعلبي منسوبًا للسدي ٥/ ١٧٣ أ، وذكره الماوردي ٦/ ٣٣٧ ونسبه لعبد الله بن الحارث.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٥-١٠٦.

(٣) ذكره القرطبي ١٤/٠ ٦٨، و الثعلبي ٥/ ١٧٣ أ، ونسبه للسدي.

(٤) كل هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- في معنى الصخرة- والله أعلم- من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب. قال ابن عطية في «تفسيره» ٤/ ٣٥٠ بعد أن ذكر بعض تلك الأقوال: وهذا كله ضعيف لا يثبته سند، وإنما معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم، أي أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء وفي الأرض.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٣٨، «مجمع البيان» ٨/ ٤٩٩.

(٦) لم أعثر عليه فيما لدي من مراجع.

(٧) «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٣.

البلاد[١] إن الله ﷻ يأت بأعمالهم يوم القيامة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال شرًّا يره[٢]. قال أبو علي: هذا يثبت أن المظالم لا تخفى عليه، وأن الله تعالى يأت بها، ولن يدع أن يثيب أو يعاقب عليها إن لم تكن قد كفر عنها أو أحبط[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل والزجاج: لطيف باستخراجها، خبير بمكانها[٤].

١٧- قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يريد الإيمان بالله والتوحيد[٥]. وقال غيرهما: وأمر بطاعة الله واتباع أمره.

﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ قال ابن عباس: يريد عن الشرك لنفسه[٦].

قال مقاتل: يعني الشرك الذي لا يعرف[٧].

---

(١) هكذا في النسخ! والصحيح: العباد، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٨.

(٣) انظر: «الحجة» ٤/ ٤٥٦، وهذا من المواضع التي نقل فيها المؤلف- رحمه الله- عن أبي علي ولكنه لم ينقل نقلًا صحيحًا، بل نقل واختصر وقدم وأخر، ولم يبين ذلك رحمه الله، فعبارة أبي علي بعيدة عن عبارة المؤلف، وعبارة أبي علي الأخيرة: إن لم يكن كفر أو أحبط.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٧، «تفسير مقاتل» ٨٢ ب. ولم أقف على من نسبه لابن عباس.

(٥) لم أقف على من نسب هذا القول لابن عباس. وفي «تفسير مقاتل» ٨٢ ب قال: التوحيد.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

وقال الكلبي: يقول أنكر الظلم وأظهر العدل[١]. وقال غيره: المنكر معاصي الله ومخالفة أمره[٢].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ فيهما من الأذى، يريد واصبر على ما أصابك من الأذى في طاعة الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا قول ابن عباس ومقاتل[٣].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ قال ابن عباس: يريد من حقيقة الإيمان[٤].

وقال مقاتل: إن ذلك الصبر على الأذى فيهما من حق الأمور التي أمر الله بها[٥].

وقال الكلبي: إن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور[٦]. فعلى قول ابن عباس ومقاتل: ذلك، إشارة إلى الصبر. وعلى القول [قول][٧] الكلبي إشارة إلى الأمر والنهي. والصحيح أن ذلك إشارة إلى جميع ما ذكره قبله من الأمر والنهي والصبر. وذكرنا بيان هذه المسألة عند قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. وهذه الآية دليل على وجوب

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أعثر على من نسبه لابن عباس. وانظر: «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٦٦، وذكره «الماوردي» ٤/ ٣٣٨ ولم ينسبه لأحد، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢٣، وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٠ عن علي ابن أبي طالب ﷺ.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٦٩.

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٦٦.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المكروه وإن أصابه فيهما وفي هذا دليل أن خوف المكروه لا ينبغي أن يمنع من الأمر بالمعروف، إلا أن يخاف مكروهًا لا يطيقه ولا يحتمله.

١٨- وقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ وقرئ: تصاعر[١]. قال أبو الحسن: [لا تصاعر لغة أهل الحجاز، ولا تصعر لغة بني تميم، والمعنى فيه لا تتكبر على الناس، ولا تعرض عنهم تكبرًا عليهم.

قال أبو عبيدة: (أصل هذا من الصعر الذي يأخذ الإبل في رءوسها وأعناقها). فكأنه يقول: لا تعرض عنهم ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء، الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه، ومثل ذلك قوله:

يهدي إلى حياة ثاني الجيد][٢][٣].

وقال أبو علي: (يشبه أن يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى، كما قال سيبويه في ضعف وضاعف)[٤].

قال أبو إسحاق: أما تصعر فعلى وجه المبالغة، وتصاعر على تفاعل كأنك تعارضه بوجهك[٥].

---

(١) انظر: «النشر» ٢/ ١٨٨.

(٢) انظر الكلام بنصه في: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٥/ ٤٥٥ من قوله: قال أبو الحسن. وانظر قول أبي عبيدة في: «مجاز القرآن» ٢/ ١٢٧.ولعل المؤلف- رحمه الله- وهم عندما قال: قال أبو الحسن..، فالقول لأبي علي بنصه.

(٣) جزء من بيت لم أعثر له على تتمته ولا على قائله، وقد ذكره أبو علي في «الحجة» غير منسوب لأحد.

(٤) انظر «الحجة»: ٥/ ٤٥٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٨، ونص كلام أبي إسحاق: فأما تصعر فعلى وجه المبالغة، ويصاعر جاء على معنى يفاعل، كأنك تعارضهم بوجهك.

وقال المفضل[١]: يقال للذي يفعل ذلك ومن صعر خده وصاعر[٢].

وأنشد للمتلمس:

وكنا إذا الجبار صاعر خده أقمنا له من درأه فيقوما

قال ابن عباس: يريد ولا تتعظم على خلق الله[٣].

وقال مقاتل: لا تعرض بوجهك تكبرًا عن فقراء المسلمين إذا كلموك[٤].

وروى ابن أبي نجيح ومنصور عن مجاهد قال: هو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس، كالرجل بينه وبين أخيه إحنة فيراه فيعرض عنه[٥].

وقال أبو الجوزاء في هذه الآية: إذا ذكر الرجل عندك تلوي شدقك كأنك تحقره[٦]. وهذا معنى ما روي عن إبراهيم أنه قال: هو التشديق[٧].

---

(١) هو: أبو محمد المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الكوفي، إمام مقرئ نحوي، أخذ القراءة عرضًا عن عاصم والأعمش والعطاردي وسماك بن حرب، أخذها عنه الكسائي وجبلة بن مالك وأبو زيد الأنصاري، وغيرهم، توفي سنة ١٦٨هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ١٢١، «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٠٨، «غاية النهاية» ٢/ ٣٠٧.

(٢) لم أقف على قول المفضل، إلا أن الماوردي في «النكت» ٤/ ٣٣٩، قال: الصعر هو الميل. عن المفضل.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٣ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٣/ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٥.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٣٩، «تفسير ابن كثير» ٥/ ٣٨٥.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٣ ب، الطبري ٢١/ ٧٥، ابن كثير ٥/ ٣٨٥.

وقال يزيد [بن الأصم][(١)]: هو الرجل يكلم الرجل، فيلوي وجهه عنه محقرة له[(٢)].

وقال قتادة: هو الإعراض عن الناس، يكلمك أخوك وأنت معرض عنه تتكبر[(٣)].

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مفسر في سورة سبحان[(٤)].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ مفسر في سورة النساء[(٥)].

١٩- قوله: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ قال الليث: يقال قصد فلان في مشيه، إذا مشي مستويًا[(٦)].

وقال المفضل: القصد: ما بين الإسراف والتقصير[(٧)].

قال مقاتل: لا تختل في مشيك[(٨)].

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٥، «تفسير ابن كثير» ٥/ ٣٨٥.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٥.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

(٥) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].
قال المؤلف- رحمه الله- هناك: المختال ذو الخيلاء والكبر، قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم في نفسه، الذي لا يقوم بحقوق الله ومعنى الفخر في اللغة: هو البذخ والتطاول، والفخور الذي يعدد مناقبه كبرًا وتطاولًا.

(٦) لم أقف عليه. وانظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٣٥٥، «اللسان» ٣/ ٣٥٣.

(٧) لم أقف عليه للمفضل. وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٨/ ٣٥٢ عن الليث، وانظر: «اللسان» ٣/ ٣٥٤ (قصد).

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب. وذكره الماوردي ٤/ ٣٤٠، وعزاه لسعيد بن جبير.

وقال الكلبي: تواضع لله فلا تختل[١]. وعلى هذا أمر بالقصد في المشي، والمراد به النهي عن الخيلاء.

وقال آخرون: المراد به النهي عن الإسراع في المشي[٢]. فدل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال: «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»[٣].

وقوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ قال أبو إسحاق: معنى اغضض: انقص، ومن ذلك: غضضت، وفلان يغض من فلان، أي يقصر به[٤]. وذكرنا تفسير الغض فيما تقدم[٥]. والصوت: مصدر صات يصوت [صوتًا][٦] فهو صائت، وصوت تصويتًا فهو مصوت، وهو عام غير مختص، يقال: سمعت صوت الرجل، وصوت الحمار، وصوت كل شيء[٧]. قال ذو الرمة- وهو من أبيات الكتاب-:

---

(١) لم أقف عليه منسوبًا للكلبي. وذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٠، ونسبه لسعيد بن جبير.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٦ ونسبه لقتادة وابن زيد، و «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٠ وقال: حكاه النقاش.

(٣) الحديث منكر جدًّا قاله العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة) ١/ ٧٠ رقم (٥٥)، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ص١٣٠ وإسناده ضعيف.

(٤) هكذا في النسخ! وهو في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٩: .. وفلان يغض بصره من فلان أي ينتقصه.

(٥) عند قوله تعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]. قال هناك: يقال غض بصره يغضه غضًا، ومثله أغضًا قال ابن عباس: أي لا ينظروا إلى ما لا يحل لهم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٢٢٣ (صوت)، «اللسان» ٢/ ٥٧ (صوت)، «تاج العروس» ٤/ ٥٩٧ (صوت).

كان أصوات من إيغالهن[١] بنا أواخر الميس أصوات الفراريج[٢]

ويقال: رجل صات، أي[٣]: شديد الصوت بمعنى صائت، كما يقال: رجل مال كثير المال، ونال كثير النوال[٤]. قال الكلبي: يقول أكفف من صوتك لا تكن سليطًا على الناس[٥].

وقال مقاتل: اخفض من صوتك، يعني: من كلامك، يأمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق[٦]. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد إذا ناجيت ربك فخفض [صوتك][٧][٨].

وخفض الصوت المأمور به هاهنا بالدعاء، وذكر قوله[٩]: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] والقول هو الأول العام. قال المبرد: (والمحمود

---

(١) في (ب): (لمن)، وهو خطأ.

(٢) البيت من البسيط، وهو لذي الرمة في «ديوانه» ص٩٩٦، «الإنصاف» ص٤٣٣، «خزانة الأدب» ٤/١٠٨، ٤١٣، ٤١٩، «الخصائص» ٢/٤٠٤، «الكتاب» ١/١٧٩، ٢/١٦٦، ٢٨٠.

وإيغالهن: أي إبعادهن، يقال: أوغل في الأرض، إذا أبعد فيها.والأواخر: جمع آخرة الرحل، وهي العود في آخره يستند إليه الراكب. والميس: شجر يتخذ منه الرحال والأقتاب. والفراريج: جمع فروج، وهي صغار الدجاج.

(٣) (أي) ساقط من (أ).

(٤) انظر: «تاج العروس» ٠٤/٥٩٧ (صوت).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/٤٤٤.

(٩) هكذا هي في النسخ! ولعل الصواب: وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾، فهذا هو منهج المؤلف -رحمه الله- في الإحالة.

من المشي والصوت ومن جملة الأشياء ما كان قصدا)[١].

قال مقاتل: ثم ضرب للصوت الرفيع مثلا، فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[٢]. قال: وأنت تقول: له وجه منكر، إذا كان قبيحًا.

وقال ابن قتيبة: أنكر الأصوات أقبحها[٣].

واختلفوا لم جعل أقبح الأصوات؟ صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق[٤]. وقال قتادة: لشدة صوتها[٥]. وهو المختار.

قال المبرد: تأويله الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر[٦].

وقال ابن قتيبة: عرفه أن قبح رفع الصوت في المخاطب وفي الملاحاة كقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية[٧].

ووحد الصوت وهو مضاف إلى الجماعة؛ لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة، وإذا كانت منفردة الألفاظ. وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [النمل: ٨٩]، وفي مواضع.

٢٠- قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٤.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٨٤ ب ونسبه لمجاهد والضحاك، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٠، والمؤلف في «الوسيط» (٣٤٤٤) ونسباه لقتادة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة ٩/ ٣١٠٠، قال: أوله زفير وآخره شهيق.

(٦) انظر قول المبرد في: «الوسيط» ٣/ ٤٤٤، «زاد المسير» ٦/ ٣٢٣.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٤.

يريد المطر، ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: الأنعام لتركبوها[١].

وقال مقاتل: (يعني: الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح، وما في الأرض: يعني: الجبال والأنهار والبحار والأشجار والنبت عام)[٢] بعام. قال أبو إسحاق: ومعنى تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها[٣].

وقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسع وأكمل من قولهم: سبغت النعمة إذا تمت، ويقال: شعر سابغ، ودرع سابغة.

وقوله: (نعمة) وقرئ: نعمه جمعًا، ومعنى القراءتين واحد؛ لأن المفرد أيضًا يدل على الكثرة كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وهذا يدل على أنه يراد به الكثرة.

وقوله: ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لا يدل على ترجيح إحدى القراءتين، ألا ترى أن النعم توصف بالباطنة والظاهرة كما توصف النعمة بذلك[٤].

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد شهادة ألا إله إلا الله ظاهرة باللسان باطنة في القلب[٥].

وروى عكرمة عنه قال: الظاهرة: القرآن والإسلام، والباطنة: ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة[٦].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.
(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٩.
(٤) انظر: «الحجة» ص٤٥٧.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٧٨. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٥٢٦ عن مجاهد، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٦) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٠١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢٥ وعزاه للبيهقي في «الشعب»، وأورده الماوردي ٤/ ٣٤٢ ونسبه لمقاتل.

وقال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق والرزق والإسلام، والباطنة: ما ستر من الذنوب فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب فيها[١]. وهذا معنى ما روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ في هذه الآية[٢].

قال الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، والباطنة: المعرفة[٣].

وقال محمد بن كعب: الظاهرة: محمد ﷺ، والباطنة: المعرفة[٤].

وقال المحاسبي[٥]: الظاهرة: نعيم الدنيا، والباطنة: نعيم العقبى.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ﴾ مفسر إلى آخر الآية في سورة الحج[٦].

٢١- قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟﴾ مفسرة في سورة البقرة[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ ب.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢٥، وقال: أخرجه ابن مردويه والبيهقي والديلمي وابن النجار عن ابن عباس.

(٣) انظر: «مجمع البيان» للطبرسي ٨/ ٥٠١، «زاد المسير» ٦/ ٣٢٤.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هو: أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي الزاهد. يروي عن يزيد بن هارون قليلًا وعن طبقته، روى عنه ابن مسروق الطوسي وإسماعيل بن إسحاق السراج وغيرهما، له كتب في الزهد وأصول الديانة، مات سنة ٢٤٣هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٨/ ٢١١، «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ١١٠، «طبقات الشافعية» لابن السبكي ٢/ ٢٧٨.
وكلامه في «تفسير القرطبي» ١٤/ ٧٣. وذكره بدون عزو: «الماوردي» ٤/ ٣٤٢، «الطبرسي» ٨/ ٥٠١.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ آية ٣.

(٧) عند قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وذكر هناك سبب نزولها، وأنها نزلت في اليهود.

٢٢- ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ مفسر في تلك السورة أيضًا[(١)].

٢٤- قوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ يعني أيام حياتهم إلى انقضاء آجالهم. قاله ابن عباس ومقاتل[(٢)].

٢٧- وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾ قرئ رفعًا ونصبًا، فمن نصبه عطفه على ما، ومن رفع استأنف كأنه قال: والبحر هذه حاله[(٣)].

﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي: ينصب فيه ويزيده سبعة أبحر. ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ولا نفد علمه. قال السدي: لو كان ما في الأرض من شجر فبريت أقلامًا، وكان البحر مدادًا ومعه سبعة أبحر مدادًا مثله، فكتب بتلك الأقلام، نفد ذلك المداد قبل أن ينفد علم الله[(٤)].

وقال الحسن: لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، لأملى الله من

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
قال: استمسك بالشيء إذا تمسك به، والعروة: جمع عرى، وهي نحو عروة الدلو، وإنما سميت؛ لأنه يتعلق بها، والعروة: شجر يبقى على الجدب؛ لأن الإبل تتعلق به إلى وقت الخصب، والعروة الوثقى قال عطاء عن ابن عباس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن ما جاء به محمد حق وصدق.وقال مجاهد: هي الإيمان.

(٢) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وانظر: «تفسير مقاتل» ٨٢ب.

(٣) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٥٧-٤٥٩، «القراءات وعلل النحويين فيها» ٢/ ٥٢٧.

(٤) لم أقف عليه منسوبًا للسدي، وقد ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٢٦، غير منسوب لأحد، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢٨ وعزاه لعبد الرزاق وأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن أبي الجوزاء.

كلامه حتى ينفد البحر وتتكسر الأقلام[١]. وقال مقاتل: يقول لو أن كل شجرة على وجه الأرض بريت أقلامًا، وكانت البحور مدادًا وكتبت تلك من البحور، لنفدت تلك الأقلام وتلك البحور ولم ينفد علم الله[٢].

فالمفسرون قالوا في كلمات الله: إنها علم الله، والمعنى: الكلمات التي هي عبارات عن معلوم الله، ولما كان معلومه لا يتناهى له، فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عن معلومه لا تتناهى[٣].

قال أبو علي: والمراد بذلك- والله أعلم- ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود[٤].

قال قتادة: إن المشركين قالوا في القرآن: يوشك أن ينفد، يوشك أن ينقطع، فنزلت هذه الآية. يقول: لو كان شجر الأرض أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر، إذا لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه وخلقه وعلمه[٥].

---

(١) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٥٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣أ.

(٣) هذا تفسير الأشاعرة، وفيه خلط بين صفتي العلم والكلام، وأهل السنة والجماعة يقررون صفة العلم ويثبتونها، وكذلك صفة الكلام، حيث أن علم الله متعلق بالأشياء قبل كونها، وأنه غير متجدد.أما الكلام فصفة غير صفة العلم، فالله جل وعلا متكلم بمشيئته وقدرته كيف شاء متى شاء بما شاء، وهي صفة قديمة النوع حادثة الآحاد.
انظر: «رد الإمام الدارمي على بشر المريسي» ص١٠٦، ورده على الجهمية ص٦٨، «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ١٧٥.

(٤) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٥٨.

(٥) انظر: عبد الرزاق ٢/ ١٠٦، «تفسير الطبري» ٢١/ ٨١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٤. وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٢٨، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير=

قال أبو عبيدة: هذا مختصر، تقديره: فكتب هذه الأقلام والبحور ما نفد كلام الله[(١)].

والمعنى[(٢)]: فكتب ما في مقدور الله لنفد ذلك قبل أن ينفد المقدور، ونحو هذا من الجمل قد تحذف لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨]، ثم قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ [النمل: ٣٢]، والمعنى: فذهب، فألقى الكتاب، فقرأته، وقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾. ونظير هذه الآية قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية.

٢٨- قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ قال مقاتل: (نزلت في كفار قريش، قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطوارًا، نطفة علقة مضغة عظامًا لحمًا، ثم يزعم أنا نبعث خلقًا جديدًا جميعًا في ساعة واحدة، فقال الله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ أيها الناس جميعًا في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، ما بعثكم جميعًا إلا كبعث نفس واحدة)[(٣)].

قال أبو إسحاق: أي قدرة الله على بعث الخلق أجمعين، وعلى خلق الخلق أجمعين، كقدرته على خلق نفس واحدة، وبعث نفس واحدة[(٤)].

= وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» وأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن قتادة.

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ١٢٨، وعبارة أبي عبيدة جاءت هكذا: ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير، سبيله: فكتب كتاب الله بهذه الأقلام وبهذه البحور، ما نفد كتاب الله.

(٢) في (ب): زيادة (ما نفد)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٠.

والآية من باب حذف المضاف في قول جميع المفسرين، وأهل المعاني كلهم ذكروا ذلك[١].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٢]. قال ابن عباس: سميع لقولكم، بصير بكم[٣].

قال مقاتل: سميع لما قالوا من الخلق والبعث، بصير به[٤].

٣١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: يريد أن ذلك من نعمة الله عليكم[٥]. قال الكلبي: منة الله[٦]. وقال مقاتل: برحمة الله[٧].

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ من صنعه وعجائبه في البحر، وابتغاؤكم الرزق. وقال الكلبي: ليريكم من عجائبه بتيسيرها[٨].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قال مقاتل: يعني المؤمن، يقول: لكل صبار على أمر الله عند البلاء في البحر، شكور لله في نعمه حين أنجاه من أهوال البحر[٩].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٦ ب، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٢٩١، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٠٠.

(٢) في (أ): (عليم)، وهو خطأ.

(٣) ذكره الماوردي ٤/ ٣٤٥، ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ أ.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٣٣٧. وذكره الماوردي ٤/ ٣٤٧، ولم ينسبه لأحد.

(٦) ذكره «الماوردي» ٤/ ٣٤٧، غير منسوب لأحد.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ ب.

(٨) ذكره الماوردي ٤/ ٣٤٧ ونسبه ليحيى بن سلام، وكذا «القرطبي» ١٤/ ٧٩.

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ ب.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد صبر عن معاصي الله[١].

٣٢- وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني الكفار، يقول: إذا علاهم ﴿مَوْجٌ﴾ وهو ما ارتفع من الأرض.

﴿كَالظُّلَلِ﴾ قال مقاتل: كالجبال[٢]. وقال الكلبي: كالسحاب، يزيد في عظمها وارتفاعها يكون كالجبال والسحاب التي تظل من تحتها[٣]. وقال ابن عباس: يريد مثل السعائف[٤][٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ أي من هول ما هم فيه، نجاهم حين أفضوا وانتهوا إلى البر. قال صاحب النظم: المراد من قوله: فلما نجاهم: الاستقبال، وإن كان لفظه لفظ الماضي، بدليل قوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾. ولما لا يقتضي جوابًا بالفاء، وأراد فمنهم مقتصد ومنهم جائر، ودل على هذا المضمر قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾، فأومأ بهذا إلى هذا، نقيض قوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾. ونقيض الاقتصاد: الجور، والجور هاهنا: الجحد بآيات الله، وإذا كان معنى الجور هاهنا الجحد، وجب أن يكون الاقتصاد الذي هو عند الإقرار بآيات الله، وهذا كله معنى قول مقاتل، فإنه يقول في قوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عدل في الوفاء

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٦٧، وبه قال يحيى بن سلام. انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٧.

(٣) ذكره «الماوردي» ٤/ ٣٤٧ ونسبه لقتادة، وكذا الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٦.

(٤) في (ب): (السقايل)، وهو خطأ.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس، ولم أقف على معنى السعائف بهذه الصيغة، وقد ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٠ (سعف) قال: .. السعف: ورق جريد النخل الذي يسف منه الزبلان والجلال والمراوح وما أشبهها، ويجوز السعف.

في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني المؤمن، ثم ذكر المشرك الذي ترك التوحيد في البر بعد أن دعاه مخلصًا في البحر[١]، بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ﴾ لله نعمه حين ترك التوحيد في البر.

وقال الكلبي في قوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هم المؤمنون[٢]. وقال ابن عباس: مقتصد موف بما عاهد عليه الله في البحر[٣]. وقال مجاهد: مقتصد في القول، وهو كافر مضمر للكفر[٤]. والوجه هو الأول، وقوله: ﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ قالوا: كلهم: كل غدار بعهد الله[٥]. وقال أهل اللغة: الختر أسوأ الغدر وأقبحه[٦]، وأنشدوا[٧] للأعشي[٨]:

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير ختار

يقال: [ختر][٩] ويختِر ويختُر بالكسر والضم [لغتان][١٠] خترًا وختورًا.

---

(١) «تفسير مقاتل» ٨٣ ب.

(٢) ذكره «الماوردي» ٤/ ٣٤٨، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٤٢٣، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٦ عن الحسن.

(٣) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٧. وذكره «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٨، ونسبه للنقاش.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٨٥، «الماوردي» ٤/ ٣٤٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٧.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٨٥ «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٨، ونسبه للجمهور.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٢٩٤ مادة (ختر)، «الصحاح» ٢/ ٦٤٢ (ختر)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٤٤، باب الخاء والتاء وما يثلثهما.

(٧) في (ب): (وأنشد).

(٨) البيت من البسيط، انظره في «ديوانه» ص٢٢٩، «لسان العرب» ١٠/ ٢٦، «جمهرة اللغة» ص٣٧١.

(٩) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(١٠) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

ثم خاطب كفار مكة فقال:

٣٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قال ابن عباس: كل امرئ تهمه نفسه[1].

وقال مقاتل: يعني لا تغني والدة عن ولدها شيئًا من المنفعة يعني الكفار[2]. وهذه الآية كقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] وقد مر تفسيره، والكلام في الراجع إلى اليوم في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي بالبعث .

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام .﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ أي حلم[3] الله وإمهاله .﴿ٱلْغَرُورُ﴾ يعني الشيطان. قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما[4].

قال مقاتل: هو إبليس[5]. والغرور: الذي من شأنه أن يغر ويخدع.

٣٤- وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾. قال مجاهد ومقاتل: نزلت في رجل من أهل البادية اسمه: الوارث بن عمرو المجازي[6] أتى النبي ﷺ فقال: إن أرضنا أجدبت فمتى

---

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٤٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ ب.

(٣) في (ب): (يحلم).

(٤) قال به غيرهما قتادة والضحاك.انظر: «الطبري» ٢١/ ٨٧، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٢٩٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٤٩، «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٣ ب.

(٦) اختلف في اسم السائل؛ ففي «أسباب النزول» ط١. ص ١٩٩ قال: نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفص من أهل البادية وفي «الدر =

الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت؟ وقد علمت ماذا عملت اليوم فما أعمل غدًا؟ ومتى الساعة؟ فأنزل الله في مسألة المجازي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[١].

وروي عن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل، ولكن خمس لا يعلمهن إلا الله**»، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٢].

روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**، ثم ذكر ما في الآية»[٣].

وقال ابن عباس في هذه الآية: الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا

= المنثور» ٦/ ٥٣٠: الوارث، من بني مازن بن حفص بن قيس بن عيلان. وفي «البحر المحيط» ٧/ ١٩٤: الحارث بن عمارة المحاربي، وفي «تفسير الطبري» ٢١/ ٥٥ عن مجاهد: «رجل» غير مسمى.

(١) انظر: «تفسيرالطبري» ٢١/ ٨٧، «ابن كثير» ٥/ ٤٠١، «زاد المسير» ٦/ ٣٣٠. وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٣٠، وعزاه للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد، ولابن المنذر عن عكرمة. و «تفسير مقاتل» ٨٣ ب، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص٤٠٢، تحقيق السيد أحمد صقر.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، «تفسير سورة لقمان»: باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ٤/ ١٧٩٣، حديث رقم (٤٤٩٩).
ومسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ ١/ ٣٧ حديث رقم (١).
وهو جزء من حديث طويل مشهور، حينما جاء جبريل ﵇ بصورة رجل إلى الرسول ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان إلى آخر الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، وهو رواية أخرى للحديث السابق، وكذلك الإمام مسلم في «صحيحه»، وهو رواية أخرى للحديث السابق.

نبي مصطفى، فمن ادعى أنه يعلم شيئًا من هذه فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه[١]. قال مقاتل: فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «أين السائل عن الساعة؟» فقال المجازي ها أنا، فقرأ عليه النبي ﷺ هذه الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. قال الفراء: (اجتزأ بتأنيث أرض من أن يظهر في أي تأنيثًا آخر)[٣].

قال الأخفش: (وتقول: مررت بجارية أي جارية، وأية جارية)[٤] وجئتك بملاة أي ملاة وأية ملاة، كل جائز.



---

(١) قول ابن عباس هذا، جزء من حديث طويل يرويه ﷺ عن النبي ﷺ، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ١/ ٣١٨ عن ابن عباس. وقال: جلس رسول الله ﷺ مجلسًا له، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعًا كفيه على ركبتي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، حدثني ما الإسلام.. إلى آخر الحديث.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٠.

(٤) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٨٣، وذكر الأخفش في «معاني القرآن» ٢/ ٤٧٨، كلامًا نحوه. أما آخر كلام الأخفش فلم أقف عليه.

(٣٢) سورة السجدة

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٣- (الم) مضى تفسيره في مواضع. وقال ابن عباس: ألف الله، واللام [لام][(١)] جبريل، والميم محمد ﷺ[(٢)].

قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ذكر أبو إسحاق فيه ثلاثة أوجه أحدها: أنه خبر ابتداء، على إضمار الذي نتلوا[(٣)] تنزيل الكتاب. قال: ويجوز أن يكون خبر عن آلم أي آلم من تنزيل الكتاب. قال: ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبره الابتداء. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[(٤)] قال مقاتل: يعني لا شك فيه أنه تنزيل[(٥)].

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ﴾ قال الزجاج: معناه بل أيقولون[(٦)]. وذكرنا تفسير (بل) إذا لم يتقدمه استفهام، عند قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا﴾ [البقرة: ١٠٨] وفي مواضع.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
(٢) لم أقف على قوله، وقد سبق معنا في أول سورة لقمان ذكر القول الراجح في تفسير مثل هذه الحروف.
(٣) في (ب): (نتلوه).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٣.
(٥) «تفسير مقاتل» ٨٤ أ.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٣.

وقوله: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قال ابن عباس: تقوله[١].

وقال مقاتل: افتراه محمد من تلقاء نفسه فكذبهم الله[٢]. فقال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال الكلبي: يعني العرب[٣]. قال قتادة: كانوا أمة أمية[٤]، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ[٥].

قال أبو إسحاق: (هذا كقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي لم يشاهدوا هم ولا آباؤهم نبيا، قال: والحجة ثابتة عليهم بإنذار من تقدم من الرسل وإن لم يأتهم نذير[٦].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال مقاتل وابن عباس: لكي يرشدوا من الضلالة[٧].

٤- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٨] مفسر في سورة الأعراف[٩] ويونس[١٠].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ أ.

(٣) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٤٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٣٣، غير منسوب لأحد.

(٤) في (أ): (آمنة)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٠، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥٠٩.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٤.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ أ. وقد أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٤٩، غير منسوب لأحد.

(٨) قوله: (وما بينهما) ساقط من (أ)، وهو خطأ.

(٩) عند قوله تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ آية: ٥٤.

(١٠) عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ آية: ٣.

وقوله: ﴿مَا لَكُم﴾ يعني كفار مكة ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يريد غيره[١]. ﴿مِن وَلِيّ﴾ قريب ينفعكم في الآخرة، ويرد سخطه عنكم. قاله ابن عباس ومقاتل[٢]. ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ من الملائكة وغيرهم يشفع لكم. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتعظون.

٥- قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان للمفسرين وأصحاب المعاني: أحدهما: قول ابن عباس في رواية عطاء قال: ينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض][٣] ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ يريد يرجع إليه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من أيام الدنيا. وهذا القول اختيار صاحب النظم، وقد شرحه وبينه، فقال: قوله ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يعني به[٤] أمر الدنيا إلى آخره، يدبره الله ﷻ مدة أيام الدنيا، ثم يعرج إليه ذلك الأمر والتدبير بعد انقضاء الدنيا وفنائها، ومعنى يعرج يرتفع، ومعنى يرتفع يصير، كقولك: ارتفع أمرنا إلى الأمير، أي صار إليه[٥].

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة، مقداره ألف سنة، هذا كلامه. وأما قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فسنذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه إن شاء الله. القول الثاني: أن معنى

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تفسير ابن عباس» ص٣٤٧ بهامش المصحف، «تفسير مقاتل» ٨٤ أ.

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٤) في (ب): زيادة (إلا)، وهو خطأ.

(٥) في كلام المؤلف -رحمه الله- هنا نظر، فإنه يؤول صفة العلو والفوقية التي يؤولها الأشاعرة، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة ويقولون: إن الله سبحانه عال بذاته فوق مخلوقاته بائن منهم، وهو معهم بعلمه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٣٨١، «شرح حديث النزول» ص٣٨٨.

الآية تنزل الوحي والقضاء مع جبريل من السماء إلى الأرض، ثم يصعد جبريل إلى السماء في يوم واحد من أيام الدنيا - وقدره مسيرة ألف سنة - خمسمائة نزول وخمسمائة صعود؛ لأنه ينزل مسيرة خمسمائة عام ويصعد مثله، فذلك ألف سنة، كل ذلك في يوم واحد من أيام الدنيا. وهذا قول مقاتل والسدى وقتادة(١).

وذكره مقاتل فقال: يقضي الأمر في السماء وينزله مع الملائكة إلى الأرض، فيوقفه ثم يصعد إلى السماء، فيكون نزولها به ورجوعها في يوم واحد مقداره ألف سنة مما تعدون، يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعددنا ألف سنة؛ لأن بعد ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم، إذا(٢) قطعته الملائكة بادية وعائدة في يوم واحد فقد قطعت مسيرة ألف سنة في يوم.

فعلى القول الأول (يعرج) خبر (الأمر)، والهاء في إليه كناية عن الله، والمراد باليوم يوم القيامة.

وعلى القول الثاني (يعرج) خبر عن الملك ولم يجر له ذكر، والهاء في (إليه) كناية عن السماء على لغة من يذكِّرُه.

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ أي مقدار المسير فيه، يعني مسير الملك، والأول أليق بظاهر اللفظ، وهذه الآية مما ترك ابن عباس الكلام فيه، فقد روي أن عبد الله بن فيروز سأله عن هذه الآية وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال ابن عباس: أيامًا سماها الله، وما أدر ما هي،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ٩١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٠.

(٢) في (ب): (إذ)، وهو خطأ.

وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم، ثم سأل سعيد[١] بن المسيب عن هذه الآية فلم يدر ما يقول فيها حتى أخبر بما قال ابن عباس، فقال للسائل: هذا ابن عباس فقد اتقى أن يقول فيها، وهو أعلم مني[٢].

٦- وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال مقاتل: يعني الذي صنع ما ذكر من هذه الأشياء[٣]. ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ قال ابن عباس: عالم ما غاب عن خلقي، وعالم ما حصره خلقي[٤]. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بأوليائه وأهل طاعته.

٧- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ وقرئ (خَلَقه) بفتح اللام على الفعل، فمن قرأ (خَلْقه) بسكون اللام، ففيه وجهان: أحدهما[٥]: أن التقدير الذي أحسن خلق كل شيء. وهو قول قتادة[٦]،

---

(١) في (أ): (ابن سعيد)، وهو خطأ.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٨، «المستدرك» للحاكم ٤/ ٦١٠، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، إلا أن الحاكم لم يذكر آخر الحديث وهو سؤال ابن المسيب. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٥٣٧، وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في «المصاحف» والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ أ.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٥٠، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥١٢، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٤٣٢، غير منسوب لأحد، ولم أقف على من نسبه لابن عباس.

(٥) في (أ): (أحدها).

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٩، «زاد المسير» ٦/ ٣٣٤. وذكره الماوردي ٤/ ٣٥٥، الطبرسي ٨/ ٥١٢ عن ابن عباس.

واختيار الأخفش[(١)] وصاحب «النظم». وذكره أبو إسحاق وأبو علي[(٢)].

قال الأخفش في قوله: (خَلْقَه) على البدل، يعني أنه أبدل خلقه من كل شيء[(٣)].

وقال صاحب النظم: من سكن اللام فيه تقديم وتأخير على تأويل: أحسن خلق كل شيء، إلا أنه ﷻ لما قدم كل شيء، والمراد خلق كل شيء، أبدل منه دلالة عليه بالكناية عنه. وقال أبو علي: فجعل (خلقه) بدلًا من (كل)، فيصير التقدير الذي أحسن خلق كل شيء[(٤)].

وأما معنى ﴿أَحۡسَنَ﴾ فقال[(٥)] ابن عباس في رواية عطاء: أتقن ما خلق. وهو لفظ مجاهد[(٦)]. ومعنى الإحسان هاهنا الإتقان والإحكام. وروي عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أما أن است القرد ليست بحسنة ولكن أحكم خلقه[(٧)].

وقال مقاتل: علم كيف يخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد[(٨)]. قال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد[(٩)]. ومعنى الإحسان على هذا القول

---

(١) لم أقف على اختيار الأخفش له.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٤، «الحجة» ٥/ ٤٦٠- ٤٦١.

(٣) لم أقف على قول الأخفش.

(٤) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٦١.

(٥) في (ب): (وقال).

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ص٣٥، «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٥، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٢.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٣، «القرطبي» ١٤/ ٩٠، «البحر المحيط» ٨/ ٤٣٣.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٩) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٥، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٢، «زاد المسير» ٦/ ٣٣٤.

العلم، قال: فلان يحسن كذا، إذا كان يعلمه.

وقال صاحب «النظم»: معنى الخلق التقدير، ومعنى ذلك أنه ﷻ لما طول رجل البهيمة، والطائر طول عنقه؛ لئلا يتعذر عليه ما لا بد به من قوته، [ولو][1] تفاوت ذلك لم يكن له معاش، وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدر لما يصلح له معاشه. وقال أبو إسحاق: تأويل الإحسان في هذا أنه خلقه على إرادته، فخلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق القرد على ما أحب، وخلقه إياه على ذلك من أبلغ الحكمة[2].

الوجه الثاني في هذه القراءة: أن قوله: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ انتصب على المصدر الذي دل عليه أحسن، والمعنى الذي خلق كل خلقه. قاله الزجاج[3].

وشرحه أبو علي فقال: خلقه ينتصب على أنه مصدر دل عليه ما تقدم من قوله: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ لأن قوله أحسن كل شيء [يدل على خلقه كل شيء][4][5]. والضمير في خلقه كناية عن اسم الله تعالى، والذي يدل على ذلك أنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر، وما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو: صنع الله. ووعد الله، وكتاب الله، فكما أضيف هذه المصادر إلى الفاعل كذلك يكون خلقه

---

(١) في جميع النسخ: (وهو)، وهذا خطأ. والتصويب من «الوسيط» للمؤلف ٣/ ٤٥٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٤. قال الزجاج: (الذي خلق كل شيء خلقه)، فكلمة شيء ساقطة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «الحجة» ٥/ ٤٦١.

مضافًا إلى ضمير الفاعل، وهذا الذي ذكرنا مذهب سيبويه[(١)]. وعلى هذا التقدير معنى الآية الذي خلق كل شيء. ومن قرأ خلق بفتح اللام، كان صفة للنكرة المتقدمة، وموضع الجملة يحتمل وجهين:

أحدهما: إن جعلتها صفة لكل كانت في موضع نصب، وإن جعلتها وصفًا لشيء كانت في موضع جر، ومثل وصف النكرة بالجملة قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فقوله: ﴿أنزلناه﴾ وصف لكتاب، وموضع الجمل رفع، والدليل على ذلك رفع مبارك بعده فتعلم بارتفاع المفرد أن الجملة قبله في موضع رفع[(٢)]. ومعنى الإحسان على هذه القراءة يحتمل العلم ويحتمل الإحكام. قال الكلبي: أحكم كل شيء عمله، فلم يعنه عليه أحد[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ قال مقاتل: يعني آدم، كان أوله طينًا فلما نفخ فيه الروح صار لحمًا[(٤)].

٨- وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: ولده وذريته[(٥)]. ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ تقدم تفسيرها[(٦)]. ﴿من ماءٍ مَهين﴾ قال ابن عباس

---

(١) «الكتاب» ١/ ٣٨٠-٣٨١، وانظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥١١.

(٢) انظر: الكلام بنصه في: «الحجة» ٥/ ٤٦٢.

(٣) ذكر نحوه «الماوردي» ٤/ ٣٥٥، ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٥، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٦، «البحر المحيط» ٨/ ٤٣٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٢.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢]، قال: السلالة: فعالة من السل، وهو استخراج الشيء من الشيء، يقال: سللت الشعر من العجين فانسل، وسللت السيف من غمده فانسل، ومن هذا يقال للنطفة: سلالة، وللولد: سليل وسلالة.

والكلبي ومجاهد ومقاتل: من ماء ضعيف، وهو النطفة، كل هؤلاء قالوا: المهين: الضعيف[١].

قال الزجاج: هو فعيل من المهانة، وهي القلة[٢]. وذكر ذلك في قوله: ﴿كلَّ حلافٍ مهين﴾ [القلم ١٠].

وقال الليث: رجل مهين حقير، وقد مهن مهانة[٣].

قال أبو زيد: رجل مهين للضعيف من قوم مهناء[٤].

٩- قال مقاتل: ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ يعني: سوى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، ثم رجع إلى ذرية آدم فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ يعني بعد أن كنتم [نطفًا][٥] السمع والأبصار والأفئدة[٦]. وهذه نعم فلم يشكروا ربهم، فذلك قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يعني بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعمة في حسن خلقه فتوحدونه[٧] هذا كلامه[٨]. وبعض المفسرين يجعل[٩] قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ من صفة قوله: ﴿جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾[١٠].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٥، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٥٦، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٢، «تفسير مجاهد» ص٥٠٩، «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٢) انظر: قول الزجاج في: «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٠٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٣٠ (مهن). وانظر: «اللسان» ٣/ ٣٢٤، «الصحاح» ٦/ ٢٢٠٩.

(٤) «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٣٠، (مهن). وانظر: «اللسان» ١٣/ ٣٢٤، (الصحاح» ٦/ ٢٢٠٩.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). (٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٧) في (ب): (فيوحدونه).

(٨) «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٩) في (ب): (يجعل هذا)، وهو خطأ.

(١٠) انظر: «مشكل إعراب القرآن» للقيسي ٢/ ١٨٦، «البيان في غريب إعراب القرآن»=

ثم نزل في منكري البعث.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد أئذا صرنا[١] ترابًا ورفاتًا[٢].

وقال مجاهد ومقاتل: (هلكنا في الأرض وصرنا ترابًا)[٣].

وقال السدي: بليت أجسادنا في التراب[٤]. وقال أبو عبيدة: (همدنا)[٥] في الأرض[٦].

وقال أبو إسحاق: صرنا ترابًا[٧] فلم يبين شيئًا من خلقنا[٨].

وقال ابن قتيبة: (بطلنا)[٩] [الأرض][١٠]. وأصل هذا من الضلال بمعنى الغيبوبة، يقال: ضل اللبن في الماء إذا غاب، وأضل الميت في القبر إذا غيبته في التراب[١١].

= ٢/ ٢٥٨ «تفسير الفخر الرازي» ٢٥/ ١٧٤.

(١) في (أ): (وصرنا).

(٢) لم أقف على من نسبه لابن عباس. وقد ذكره الطبري ٢١/ ٩٧، النحاس في «معاني القرآن» ٥/ ٣٠٢، «الماوردي» ٤/ ٣٥٦ عن مجاهد وقتادة.

(٣) انظر: المصادر السابقة، «تفسير مجاهد» ص٥١٠، «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٤) لم أقف على من نسبه للسدي، وقد ذكره الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٣٣١.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ١٣١.

(٦) في (ب): (همدنا في التراب الأرض)، وهو خطأ.

(٧) في (ب): (التراب).

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٥.

(٩) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٦، «تأويل مشكل القرآن» ص ٤٥٧.

(١٠) هذه الكلمة في جميع النسخ، والذي يظهر أنها خطأ، إذ لا معنى لها هنا حسب فهمي، والله أعلم.

(١١) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٤٦٢ وما بعدها: (ضل)، «اللسان» ١١/ ٣٩٠ (ضلل)، «الاعتماد في نظائر الظاء والضاد» ص٢٥.

قال المخبِّل[(١)]:

أضلت بنو قيس[(٢)] بن سعد عميدها
وفارسها في الدهر قيس بن عاصم[(٣)]

يعني: دفنته.

وقال النابغة:

فتاه مضلوه بعين جليةٍ[(٤)]

يريد مضليه: دافنيه.

وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، أنكروا أن يعاد خلقهم جديدًا بعد الموت. قال ابن عباس: أنكروا قدرة سيدهم جل جلاله[(٥)].

---

(١) هو: أبو يزيد بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، من بني أنف الناقة من تميم. ذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول شعراء الجاهلية، وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام، مات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٤٣، «شرح اختيار المفضل» ١/ ٥٣٣، «معجم الشعراء» ص١٧٧.

(٢) في (ب): (بنو).

(٣) البيت من الطويل للمخبل في «ديوانه» ص٣١٨، «تهذيب اللغة» ١١/ ٤٦٥، «اللسان» ١١/ ٣٩٥.

(٤) صدر بيت من الطويل، وعجزه:

وغودر بالجولان حزم ونائل

وهو في الديوان وفي المصادر التي ورد فيها: فآب، وفي نسخ المخطوط: فتاه.
انظر: «ديوانه» ص١٢١، «تهذيب اللغة» ١١/ ٤٦٥، «اللسان» ١١/ ٣٩٥، «الدر المصون» ٥/ ٣٩٦. يريد بقوله: بعين جلية، أي بخبر صادق أنه مات، انظر: «اللسان» ١١/ ٣٩٥.

(٥) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس. وقد ذكر نحوه الطبري ٢١/ ٩٧ عن قتادة، =

قال أبو علي: موضع إذا نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وذلك أن هذا الكلام يدل على: تعاد، والتقدير: أتعاد [أئذا ضللنا](١) في الأرض، وقد تقدم ذكر ذلك(٢).

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ يعني بالبعث [كافرون](٣) لا يؤمنون به. قاله ابن عباس ومقاتل(٤).

١١- وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ قال أبو إسحاق: تأويله أنه يقبض أرواحكم أجمعين، فلا ينقص واحد منكم، كما تقول: قد استوفى فلان، وتوفيت مالي عنده، تأويله أنه لم يبق لي عليه شيء(٥).

قوله: ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد وكل بقبض أرواحكم(٦). ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. قال مقاتل: يريد بعد الموت تصيرون إليه أحياء، فيجزيكم بأعمالكم(٧).

١٢- قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ إذ تكون للماضي، وهذا إخبار عما هو آت بعد، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى

= والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥١٣، والثعالبي في «جواهر الحسان في تفسير القرآن» ٣/ ٢١٣ غير منسوب لأحد.

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٦٢، والكلام فيها: موضع إذا نصب بما دل عليه قوله: ؟أئنا لفي خلق جديد؟ وكأن هذا الكلام يدل على: تعاد، والتقدير: تعاد إذا ضللنا..

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس. وانظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٥.

(٦) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٥٠، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٤.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

﴿ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. قال مقاتل: يعني كفار مكة[(١)].

قوله: ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ أي مطأطئوها. وقال [ابن عباس][(٢)]: من الندامة[(٣)]. وذلك أن النادم من شأنه أن يطأطئ رأسه متفكرًا متحيرًا، فالإضافة في قوله: ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ في تقدير الانفصال؛ لأنه لم يأت بعد لا[(٤)] للماضي، وقد مضى مثل هذا كثير كقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحج: ٩] و﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. وذكرنا استقصاء هذه الآية عند قوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سورة النساء [: ٩٧].

وقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نجهل، وسمعنا ما كنا ننكر ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ نقول: لا إله إلا الله. ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يريد: أيقنوا ذلك اليوم ما كانوا ينكروا[(٥)]. قاله ابن عباس[(٦)].

قال أبو إسحاق: وهذا متروك الجواب، والجواب: لرأيت ما يعتبر به غاية الاعتبار[(٧)].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[(٨)] قال ابن

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.
(٢) مكرر في (أ).
(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره الطبري ٢١/ ٩٨ عن ابن زيد، والماوردي ٤/ ٣٥٩ عن يحيى بن سلام، والقرطبي ١٤/ ٩٥ بدون نسبة.
(٤) الكلام هنا غير واضح، ويظهر- والله أعلم- أن قوله: (بعد لا) زيادة لا معنى لها.
(٥) هكذا في النسخ! والصواب: ينكرون.
(٦) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٥١. وذكره الماوردي ٤/ ٣٥٩ عن يحيى بن سلام، وأبو حيان في «البحر» ٨/ ٤٣٥ عن النقاش.
(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٦.
(٨) في النسخ: (ولقد آتينا)، وهو خطأ.

عباس ومقاتل: رشدها وبيانها[١]. وهذا كقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد هذا قضائي وقدري في ملكي وربوبيتي[٢].

وقال مقاتل: يعني من كفار الإنس والجن جميعًا[٣]. والقول الذي وجب من الله، قوله لإبليس يوم عصاه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] والآية صريح[٤] في تكذيب القدرية[٥]؛ لأن الله تعالى قد أخبر بهذه الآية أن من لم يؤمن فإنما ذلك لأنه لم يشأ أن يؤتيه هداه.

١٤- وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار، قالت لهم الخزنة: فذوقوا العذاب[٦]. ويجوز أن يكون المعنى: ويقال لهم: فذوقوا، فيكون القائل هو الله تعالى.

قال أبو علي: المعنى فذوقوا العذاب بما نسيتم، فحذف واستغني

---

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٥١، «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٢) «الوسيط» ٣/ ٤٥١.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

(٤) هكذا في النسخ، وهو خطأ. والصواب: صريحة.

(٥) القدرية: فرقة سموا بذلك لقولهم في القدر، فهم يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه استقلالًا، فأثبتوا- بسبب قولهم- خالقًا مع الله، ولذا فهم مجوس هذه الأمة كما سماهم بذلك الرسول ﷺ، لأن لمجوس يثبتون خالقين: خالقًا للنور وخالقًا للظلمة، وهم ينفون العلم السابق والمشيئة السابقة.
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني بهامش «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ١/ ٦٥.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٤ ب.

عن ذكره للعلم به وكثرة تردده، في نحو: [ذوقوا العذاب][(١)] و ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [السجدة: ١٤] و﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السجدة: ٢٠، سبأ: ٤٢] . ومثل ذلك في الشعر [قوله][(٢)]:

كأنَّ لها في الأرض نسيًا تقصه على أمها وإن تحدثك تبلت[(٣)]

أي: تقطع الحديث[(٤)].

قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد تركتم لقاء يومكم، يريد حيث لم تعملوا لله بما يحب [ويرضى][(٥)(٦)]. وقال مقاتل: بما تركتم الإيمان بيومكم هذا[(٧)].

وقال السدي: بما تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا[(٨)].

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ومن الرحمة. قاله مقاتل والسدي[(٩)]. وتأويل النسيان هاهنا الترك في قول المفسرين وأهل

---

(١) ما بين المعقوفين ليس من كلام أبي علي.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) البيت من الطويل، وهو للشنفرى في «ديوانه» ص٣٣، «تهذيب اللغة» ١٣/ ٨١، ١٤/ ٢٩٣- ٢٩٤، «الخصائص» ١/ ٢٨، «اللسان» ٢/ ١١، ١٥/ ٣٢٤، وفي «شرح المفضليات» ص٢٠١، يقول: كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئًا ضاع منها، فالنسي: هو الفقد، وأمها: قصدها، تبلت: تنقطع في كلامها لا تطيله.

(٤) «الحجة» ١/ ٣٥- ٣٦.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير مقاتل» ٨٥ أ.

(٨) «الوسيط» ٣/ ٤٥٢، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٠.

(٩) «تفسير مقاتل» ٨٥ أ. وذكره الماوردي ٤/ ٣٦٠، ونسبه لمجاهد، ولم أقف عليه عن السدي.

المعاني[١].

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ قال مقاتل: الذي لا ينقطع[٢].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

ثم ذكر المؤمنين فقال:

١٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: وعظوا بآيات القرآن[٣] ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين. ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قالوا: سبحان الله وبحمده، وسبحان ربي الأعلى. وذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن السجود كفعل كفار مكة.

١٦- قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ قال الليث: يقال: جفا الشيء يجفو جفاء ممدودًا، إذا سال السرج[٤]، يجفو عن الظهر إذا لم يلزمه وكالجنب يجفوا عن الفراش وأنشد:

إن جنبي عن الفراش لنائي[٥] كتجافي الأسر فوق الظراب[٦][٧]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٩٩، «تفسير كتاب الله العزيز» لهود بن محكم ٣/ ٣٤٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٠، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٦.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٥ أ.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٥ أ، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٤) هكذا في النسخ! وهو خطأ والصواب كما في «تهذيب اللغة»: كالسراج.

(٥) هكذا في نسخة (أ)، وفي (ب): (نائي)، وهو في «تهذيب اللغة»: لناب.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٢٠٦، (جفا).

(٧) البيت من الخفيف، وهو لمعد يكرب في «اللسان» ١/ ٥٦٩، ٤/ ٣٦٠، «التنبيه والإيضاح» ١/ ١١٢، ٢/ ١٣٢، «كتاب العين» ٦/ ١٩٠، ٧/ ١٨٨. ولعمرو بن الحارث أخي معد يكرب في: «معجم الشعراء» ص٤٦٧. والسرر: داء يأخذ البعير=

ومن هذا يقال: جفت عيني فلان عن الغمض، إذا نبت عنه لم ينم، ومنه قوله:

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار[١]

قال أبو عبيدة والزجاج وابن قتيبة: تتجافي ترتفع[٢].

وقال الفراء: تقلق[٣].

وقوله: ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ المضجع: الموضع الذي يضطجع عليه، وجمعه المضاجع، وقل ما يستعمل ضجع يضجع من باب الثلاثي، إنما يستعمل مضجع واضطجع .

قال ابن عباس في تفسير المضاجع: هي الأوطية[٤] .

واختلفوا في الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من هم؟

فقال الحسن ومجاهد وأبو العالية: هم المجتهدون بالليل[٥]. وهو بمعنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

= في كركرته، والكركرة هي رحى زور البعير- فتسيل ماء، فإذا برك على موضع خشن تجافى عنه لشدة الوجع. والضارب: الجبال الصغار. انظر: «معجم الشعراء» ص٤٦٧.

(١) البيت من الوافر، وهو لبشار بن برد في «ديوانه» ٣/ ٢٤٩، «الكامل للمبرد» ٢/ ٧٦٠، «لسان العرب» ١٥/ ٣٢٠.

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٢، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٧، «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٦.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣١.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «الطبري» ٢١/ ١٠١، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٣.

وروي ذلك مرفوعًا في حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: **«هو قيام العبد بالليل»**[(١)].

وقال آخرون: هم الذين كانوا لا ينامون حتى يصلون العشاء الآخرة، وهو قول أنس بن مالك ومجاهد وعطاء[(٢)].

قال أنس: نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

وقال مجاهد: نزلت في ناس من الأنصار، كانوا لا ينامون حتى يصلون العشاء الآخرة.

وقال عطاء: هي العتمة، يعني يصلونها ولا ينامون عنها[(٣)].

وقال آخرون: هم الذين يصلون بين صلاة المغرب إلى صلاة العشاء[(٤)] الآخرة، فأنزل الله هذه الآية[(٥)]. روى قتادة عنه قال: نزلت فينا معاشر الأنصار، كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ[(٦)].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس: خوفًا من

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٣٢. وذكره «السيوطي في الدر» ٦/ ٥٤٧، وعزاه لأحمد وابن جرير وابن مردويه وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٠١، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٣.

(٣) انظر أقوال الثلاثة في: المصادر السابقة.

(٤) في (أ): (عشاء).

(٥) قال بهذا القول أنس وقتادة وعكرمة. انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٠١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٣.

(٦) أورده «السيوطي في الدر» ٦/ ٥٤٦ وعزاه لابن مردويه عن أنس، وأورده الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥١٨.

النار، وطمعًا في الجنة[١].

وقال مقاتل: خوفًا من عذابه، ورجاء في جنته[٢].

قال أبو إسحاق: (وانتصاب[٣] خوفًا وطمعًا؛ لأنه مفعول له، وحقيقته أنه في موضع مصدر؛ لأن ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في هذا الموضع يدل على أنهم يخافون ويرجون، فهو في تأويل: يخافون خوفًا ويطمعون طمعًا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال الكلبي: في الواجب عليهم والتطوع[٥].

١٧- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [أو][٦] لا يعلم أحد ما خبئ لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم، وتفسير هذه الآية ما رواه الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتكم عليه، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[٧]».

---

(١) أورده «تفسير الطبري» ٢١/ ١٠٣ ونسبه لقتادة، وذكره غير منسوب: «الماوردي» ٤/ ٣٦٣، «تفسير الطبرسي» ٨/ ٥١٨، ولم أقف عليه منسوبًا لابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٥ أ.

(٣) في (ب): (وانتصب).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٧.

(٥) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٥٣. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٣٩، ولم ينسبه لأحد.

(٦) (أو) يظهر أنها زائدة، وقد تكون خطأ من النساخ؛ لأنها لا تفيد شيئًا.

(٧) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾=

قال ابن عباس في هذه الآية: هذا مما لا تفسير له، الأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره[(١)].

وقال أبو إسحاق: هذه الآية دليل على أنه يجازي عليه أخفي لهم[(٢)]. وهذا الذي ذكره أبو إسحاق جيد موافق لما ذكره القرظي[(٣)] في هذه، قالوا: إنهم [أخفي][(٤)] أخفوا لله عملًا فأخفى لهم ثوابًا، فقدموا على الله فقرت تلك الأعين.

وقال الحسن: أخفوا أعمالًا في الدنيا فأثابهم الله بعملهم[(٥)].

وروى ابن عباس في هذه الآية أنه دخل على بعضهم وذكر له هذه الآية فقال: العبد يعمل سرًا أسره إلى الله لم يعلم به الناس، فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين[(٦)].

وقرأ العامة: أخفى، على الفعل الماضي فعل ذلك، اختاره أبو عبيدة قال: لأن الله تعالى قد فرغ منه هو كائن. وقرأ حمزة: أخفى بإسكان الياء، أي ما أخفى لهم أنار حجته، قراءة عبد الله: نخفي بالنون[(٧)].

قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ قال أبو إسحاق: انتصب جزاء؛

= رقم (٤٥٠١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم (٢٨٢٤).

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٥٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥١٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٠٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٧، وكلام أبي إسحاق هكذا: نجعل لفظ ما يجازي به (أخفي).

(٣) لم أقف على قول القرظي.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ب)، ولا معنى لها.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٤، «زاد المسير» ٦/ ٣٣٩، «القرطبي» ١٤/ ١٠٤.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «القراءات وعلل النحويين فيها» ٢/ ٥٣٠، «الحجة» ٥/ ٤٦٣.

لأنه مفعول له[١].

١٨- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ قال السدي: نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة[٢] بن أبي معيط، وذلك أنه جرى بينهما تنازع وسباب، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لسانًا[٣]. فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق تقول الكذب، فأنزل الله هذه الآية تصديقًا لما قاله علي[٤]. وقال ابن عباس في رواية عطاء: الفاسق عقبة بن أبي معيط.

واختار الزجاج هذا[٥]. والباقون قالوا: هو الوليد بن عقبة[٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ قال الفراء: (ولم يقل: يستويان؛ لأن

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٨.

(٢) هو: الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أمه أروى بنت كريز أم عثمان ابن عفان ﷺ، فهو أخو عثمان لأمه كنيته أبو وهب، أسلم يوم الفتح، ولاه عثمان الكوفة ثم عزله، وكان شاعرًا كريمًا ﷺ، توفي في خلافة معاوية.
انظر: «الإصابة» ٦/ ٣٢١، «أسد الغابة» ٥/ ٩٠، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤١٢.

(٣) في (ب): (لسانك)، وهو خطأ.

(٤) أورده المؤلف في «أسباب النزول» له ص٢٠٠ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والسيوطي في «لباب النقول في أسباب النزول» ص١٧٠، وعزاه للواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه «الطبري» ٢١/ ١٠٧ عن عطاء بن يسار. قال السيوطي في «لباب النقول»: وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله، وأخرج بن عدي والخطيب في «تاريخه» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٨.

(٦) وبه قال: عطاء أيضًا وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومقاتل. انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٠٧، «زاد المسير» ٦/ ٣٤٠.

الاثنين إذا كان[١] غير مصمود[٢] لهما، ذهبا مذهب الجمع. تقول في الكلام: ما جعل الله المسلم كالكافر، فلا تسوين بينهما وبينهم، وكل صواب)[٣]. وقال أبو إسحاق: من لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الجماعة فجاء لا يستوون على معنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون. قال: ويجوز أن يكون لا يستوون للاثنين؛ لأن معنى الاثنين جماعة[٤].

١٩- ثم أخبر عن منازل الفريقين فقال: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ أي: الموضع الذي يأوي إليه المؤمنون، وأضاف الجنات إليه؛ لأن ذلك الموضع الذي يأوي إليه المؤمنون يتضمن جنات وبساتين.

قال أبو إسحاق: فشهد الله ﷻ لعلي بالإيمان، وأنه في الجنة بهذه الآية[٥]. وقوله: ﴿نُزُلًۢا﴾ النزل: ما تهيأ ويقام للنازل والضيف[٦]. وقد مر تفسيره[٧]. وانتصب نزلًا على الحال من الجنات كأنه قيل: لهم الجنات معدة، ويجوز أن يكون مفعولًا له.

٢٠- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ الآية، مفسرة في سورة الحج.

---

(١) في (أ): (كانا).

(٢) أي: غير مقصودين، تقول: صمده وصمد إليه أي: قصده. انظر: «اللسان» ٣/ ٢٥٨.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٨.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ٢١١، (نزل).

(٧) عند قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

٢١- وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ الآية. العذاب الأكبر: هو عذاب يوم القيامة، والعذاب الأدنى هو ما يعذبون به قبل يوم القيمة .واختلفوا فيه:

قال[١]: هو الجوع الذي ابتلوا به بمكة سبع سنين حتى أكلوا الجيف. وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، وابن مسعود في رواية أبي عبيد، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٢].

وقال أبي بن كعب: هو مصائب الدنيا. وهو قول إبراهيم، قال: أشياء يصابون بها في الدنيا ويبتلون في أموالهم لعلهم يقبلون إلى الله. وهو قول الحسن، ورواية الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس[٣] .

القول [الثالث][٤] في العذاب الأدنى: أن القتل يوم بدر. وهو قول عبد الله في رواية مسروق عنه، وقول قتادة والسدي، قال: العذاب الأدنى: يوم بدر [بالسيف][٥]، لم يبق بيت من بيوت قريش إلا دخله غرم أو قتل[٦]. وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل: كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف[٧].

---

(١) هكذا في النسخ لم يبين من القائل، وفي «الوسيط» قال: قال مقاتل.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٥/ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٩، «تفسير مجاهد» ص٥١١، «زاد المسير» ٦/ ٣٤١.

(٣) انظر: «المصادر السابقة»، و الماوردي ٤/ ٣٦٥.

(٤) و(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٠٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٠، «زاد المسير» ٦/ ٣٤١.

(٧) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وقد ذكره الماوردي ٤/ ٣٦٥ عن ابن مسعود.

القول الرابع: أن العذاب الأدنى عذاب القبر. وهو قول البراء، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح عنه[(١)]. وأما العذاب الأكبر فلا خلاف أنه في الآخرة، إلا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: يريد القتل يوم بدر[(٢)].

وقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تفسيره - على قول من يقول: العذاب الأدنى: القتل ببدر - ما ذكره ابن مسعود، قال: من بقي منهم أن يتوب فيرجع[(٣)].

٢٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] مفسر في سورة الكهف.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ قال مقاتل: نزلت في المطعنين[(٤)] والمستهزئين من قريش، انتقم الله منهم بالقتل ببدر، وتعجيل أرواحهم إلى النار[(٥)].

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة. ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قال مجاهد: من أن تلقى موسى[(٦)]. وقال الكلبي: من لقاء موسى، فلقيه حين أسري به من بيت المقدس. ونحو هذا قال

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٩، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٥، «زاد المسير» ٦/ ٣٤١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وبه قال أيضًا أبو العالية وقتادة وإبراهيم. انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٥.

(٤) هكذا في النسخ! وفي «تفسير مقاتل» ٨٥ ب: المطعمين.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

(٦) «تفسير مجاهد» ص٥١١، «زاد المسير» ٦/ ٣٤٣.

السدي، قال: من لقاء موسى ثم لقيه في السماء[١]. وعلى هذا الكناية عن موسى، وقد أضيف المصدر إلى المفعول وكأنه ﷺ وعد أنه سيلقى موسى قبل أن يموت فلقيه وروى[٢] أسباط عن السدي[٣].

﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[٤] من لقاء ربك. وعلى هذا القول قال صاحب النظم: هو كلام اعترض من بين قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[٥] وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾. والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ممن ينكر البعث، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾. والمعنى: فلا تكن في مرية من البعث.

في الآية قولان آخران أشبه بالنفس وأليق بظاهر الآية. قال ابن عباس في رواية عطاء: فلا تكن في مرية في شك من لقائه، يريد الكتاب، يريد تصديق التوراة[٦].

وقال مقاتل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، فإن الله ألقى الكتاب إليه. وذكر أبو إسحاق أيضًا هذا القول[٧]. وشرحه أبو علي فقال: هو على إضافة المصدر إلى المفعول، مثل: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤]،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٢، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ١٠٨، «زاد المسير» ٦/ ٣٤٣.

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: ورواه.

(٣) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٠، ونسبه للسدي مباشرة.

(٤) قوله: (من لقائه) ساقط من (أ).

(٥) قوله: (ولقد) ساقط من (أ).

(٦) أورد الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٠ عن الزجاج، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٤٣ عن السدي والزجاج.ولم أقف عليه منسوبًا لابن عباس.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٥ ب، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٩.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ [الروم: ٣] كأنه لما قيل لموسى: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أعلمنا أنه أخذ ما أمر به وتلقاه بالقبول، فالمعنى من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح لموسى على امتثال ما أمر به، وتنبيه على الأخذ بمثل هذا الفعل كقوله: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨][١].

القول الثاني: قال أبو إسحاق: ويجوز أن تكون الهاء لموسى والكاف محذوف؛ لأن ذكر الكتاب قد جرى[٢] كما جرى ذكر موسى[٣].

قال أبو علي: يجوز أن يكون الضمير لموسى والمفعول به محذوف، كقوله: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤] فالدعاء مضاف إلى الفاعل والمفعولون محذوفون، ومثل ذلك في إضافة المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول به، قوله: ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [غافر: ١٠] فلم يذكر مفعول مقت الله[٤].

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الضمير للكتاب في قول الجميع، قالوا: جعلنا التوراة هدى لبني إسرائيل من الضلالة. قال قتادة: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، أي هاديًا، وجعلنا من بني إسرائيل أئمة قادة في الخير[٥]. ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يدعون الناس إلى طاعة الله بأمر الله،

---

(١) انظر: «الحجة» ٢/ ٢٨.

(٢) في (ب): (جر).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٠٩.

(٤) انظر: «الحجة» ٢/ ٢٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٢- ١١٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٦، «زاد المسير» ٤/ ٣٤٤.

وهؤلاء يجوز أن يكونوا أنبياء .

وقال قتادة: هم سوى الأنبياء[١].

٢٤- ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾، وتقرأ: (لِمَا صبروا) أي لصبرهم. ومن قرأ: لما صبروا، فالمعنى معنى حكاية المجازاة، أي لما صبروا جعلناهم أئمة. قال أبو علي: من قرأ لِما، جعله كالمجازاة، إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب، كما أنك إذا قلت: أجيك إن جئت، تقديره: إن جئت أجئك، فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم. ومن قال: لِما، علق الجار بجعلنا، التقدير: جعلنا منهم أئمة لصبرهم[٢] .

قال ابن عباس: لما صبروا على دينهم[٣] .

قال مقاتل: لما صبروا على البلاء حين كانوا بمصر ما لا يطيقون[٤] .

وقال ابن المبارك: لما صبروا على الدنيا[٥].

قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد ماتوا على يقين من أمرنا[٦] .

وقال مقاتل: يعني الآيات التسع أنها من الله[٧].

٢٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾ أي يقضي ويحكم .﴿بَيْنَهُمْ﴾

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٦، «الوسيط» ٣/ ٤٥٥.

(٢) «الحجة» ٥/ ٤٦٤، وانظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٣١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

(٥) أورده الطبري ٢١/ ١١٣ عن أبي، و الماوردي ٤/ ٣٦٦ عن سفيان. ولم أقف عليه عن ابن المبارك.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

قال ابن عباس: يريد الذين كذبوا النبي ﷺ من بني إسرائيل[١]. ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ﴾ من الدين. ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك أنهم اختلفوا، فآمن بعضهم وكفر بعضهم.

ثم خوف كفار مكة فقال:

٢٦- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: أو لم نبين لهم[٢].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ قال الفراء: (كم) في موضع رفع بـ ﴿يهد﴾، كأنك قلت: أو لم تهدهم القرون الهالكة[٣].

قال أبو إسحاق: (وهذا لا يجوز عند البصريين[٤]؛ لأن لم لا تعمل ما قبل كم في كم لا يجزئ في قولك: كم رجل جاءني أن تقول: جائني كم رجل؛ لأن كم لا تزال عن الابتداء، وحقيقة هذا أن كم في موضع نصب بأهلكنا[٥]. وفيه تأويل الرفع كما تقول: قد تبين لي أقام زيد أم عمرو فتكون[٦] الجملة مرفوعة في المعنى، كأنك قلت: تبين لي ذلك[٧]. وهذا القول قال في مثل هذه الآية في آخر سورة طه [آية: ١٢٨]. وقد ذكرنا تفسير الآية هناك.

---

(١) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٥٥ غير منسوب، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٣، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣١٢، «تفسير كتاب الله» لهود بن محكم ٣/ ٣٤٩، «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٢.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٣.

(٤) في (أ): (المصريين)، وهو خطأ.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٠.

(٦) في (أ): (فيكون).

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٣.

قال أبو علي: (قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ يجوز أن يكون الجملة في موضع نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ لأنه بمنزلة أو لم يعلموا فحمله على ذلك[١].

٢٧- قال مقاتل: ثم وعظهم ليحذروا[٢]. فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ قال ابن عباس: يريد السيل[٣].

﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ قال الفراء والزجاج: هي التي لا تنبت، وفيه أربع لغات: جرز وجرز وجرز وجُرُز، ومثله الشغل والبخل، يأتي فيه اللغات الأربع[٤].

وذكرنا تفسير الجرز واشتقاقه في سورة الكهف[٥]. قال ابن عباس: يريد أرضًا باليمن ليس فيها بحار ولا أنهار، يأتيها السيل من حيث لا يعلمون، فيزرعون عليه كلما أحبوا من الحبوب[٦].

وقال مجاهد: هي أرض[٧] التي لا تنبت بالمطر إلا بما يأتيها من السيل[٨].

---

(١) «المسائل الحلبيات» ص٢٣٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٣، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١١.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا﴾ آية :٨. قال هناك: وأما الجرز فقال الفراء: الأرض لا نبات فيها، يقال: جرزت الأرض فهي مجروزة، وجرزها الجراد ما عليها.

(٦) ذكره نحوه: الطبري ٢١/ ١١٥، الماوردي ٤/ ٣٦٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٣.

(٧) هكذا في النسخ! والصواب: الأرض.

(٨) «تفسير مجاهد» ص٥١١.

وهذا قول أبي عبيدة قال: إنها بناحية عدن[١]. وعلى هذا القول هي أرض بعينها.

قال المبرد[٢]: على هذا القول إنها أرض بعينها، يساق إليها الماء من غير مطر يصيبها، فيأتيها السيل من نواحي فسمى جرزًا بأن المطر لا يقع فيها. قال: وهذا القول بعيد في العربية؛ لأن حق مثل هذا لا يدخل عليه الألف واللام، لأنه معرفة كمكة ودمشق، وجوازه إن سميت باسم مشترك كقولك: المدينة والبصرة والكوفة فمجازها مجاز نظيرها من الأسماء، كالفعل والعباس والحارث، وسبب دخول اللام على هذه الأسماء مع كونها معارف أنها أوصاف نقلت فصارت أعلامًا، وأضمرت فيها لام التعريف على ضرب من توهم روائح الصفة فيها.

وقال السدي في هذه الآية: هي الأرض الميتة التي لا نبات لها، حتى إذا جاء الماء أنبتت ما يأكل الناس والدواب. ونحو هذا قال مقاتل[٣]. وهذا القول كان أجود؛ لأنه أشبه بنظائر هذه الآية من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها.

---

(١) لم أقف عليه عن أبي عبيدة، وقد ذكره الطبري ٢١/ ١١٥ أنها أرض باليمن عن ابن عباس. وأخرج أيضًا عن مجاهد أنها أبين. وهي من بلاد اليمن. وذكر الألوسي في «روح المعاني» ٢١/ ١٤٠، قال: أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنها قرى بين اليمن والشام، قال: وأخرج هو وابن جرير وابن المنذر وابن أبي شيبة عن ابن عباس أنها أرض باليمن.

(٢) انظر: قول المبرد في: «القرطبي» ١٤/ ١١٠.

(٣) أورده الطبري ٢١/ ١١٥ عن ابن زيد، ولم أقف عليه عن السدي، وانظر: «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

وعلى هذا القول قوله: ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ يجوز أن يكون المطر ويجوز أن يكون يريد السيل.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني القضي، وهو يوم البعث، يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين. وهذا قول قتادة ومجاهد ومقاتل، قالوا: إن المؤمنين قالوا للكافرين: إن لنا يومًا ننعم فيه ونستريح، فقالوا: متي هذا[1]؟ وقال السدي: هو يوم بدر، وذلك أن المسلمين قالوا لهم: لنا يوم يفتح فيه بيننا وبينكم، ينصرنا الله ويظهرنا عليكم، فقالوا: متى هذا[2]؟

وقال الكلبي: يعني فتح مكة[3].

٢٩- قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ أي الإيمان لا ينفع يوم القضاء بين الخلق. ومن قال: إنه يوم بدر، أراد لا ينفعهم الإيمان إذا جاءهم العذاب وقتلوا. ومن قال: إنه فتح مكة، قال: هذا لمن قبله[4] خالد بن الوليد من بني كنانة، وهو قول الكلبي. وأضعف الأقوال هذا القول. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخر العذاب عنهم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١١٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٦٨، «زاد المسير» ٦/ ٣٤٤، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣١٣، «تفسير مقاتل» ٨٥ ب.

(٢) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٣. وذكره ابن الجوزي ٦/ ٣٤٥ عن السدي، قال: إنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٣٤٥. وذكره الماوردي ٤/ ٣٦٨ عن الفراء.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: من قابله.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾، قال ابن عباس: نسخه السيف[(١)]. ﴿وَانتَظِرْ﴾ قال: يريد انتظر موعدي لك. قال مقاتل: يعني القتل ببدر[(٢)]. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ قال ابن عباس: ينتظرون بك حوادث الأزمان[(٣)]، والله أعلم بالصواب.

تم بحمد الله [وعونه][(٤)].



---

(١) انظر: «مجمع البيان» ٨/٥٢٣، «تفسير القرطبي» ١٤/١١٢، «معاني القرآن» للنحاس ٥/٣١٤، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٨١، «الناسخ والمنسوخ من كتاب الله العزيز» ص١٤٣.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٦ أ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣٣) سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الآية. قال مقاتل[١]: إن أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور الأسلمي[٢] قدموا[٣] على رسول الله ﷺ المدينة بعد قتال أحد، ونزلوا على عبد الله بن أبي وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه ومعهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي ﵇: ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، فشق ذلك عليه وأمر عمر رحمه الله بإخراجهم من المدينة، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح[٤].

قال الفراء: اتق الله في نقض العهد؛ لأنه كانت بينهم موادعة فأمر بأن لا ينقض العهد، وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أشياء فكرهها، فهم بهم المسلمون[٥].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٦ أ. وقد ذكر القصة بطولها.

(٢) هو: عمرو بن سفيان بن عبد شمس، أبو الأعور الأسلمي مشهور بكنيته. قال مسلم وأبو أحمد والحاكم في «الكنى»: له صحبه، وبه قال جماعة. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: أدرك الجاهلية ولا صحبة له وحديثه مرسل. وذكره البخاري في من اسمه عمرو، ولم يذكر له صحبة. كان أميرًا لجيش الشام في عمورية سنة ٢٣، ولم يذكر العلماء تاريخ وفاته ﵁.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ١٠٩، «الإصابة» ٤/ ٣٠٢.

(٣) في (ب): (مرا).

(٤) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤.

وقال أبو إسحاق: معناه اثبت على تقوى الله ودم عليه[١]. ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين عبد الله بن أبي وابن سعد وطعمة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه.

٢- قال الزجاج: قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآن[٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ بالياء للكافرين والمنافقين، وبالتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب.

٤- قوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ قال[٣] الأخفش: إنما هو ما جعل الله لرجل قلبين في جوفه، وجاءت (من) توكيدًا، [كما تقول: رأيت زيدًا نفسه فأدخل (من) توكيدًا][٤][٥]. واختلفوا في سبب نزول هذا، فقال السدي وقتادة ومجاهد: نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب بن عبد الله الفهري[٦] وكان ظريفًا لبيبًا حافظًا لما يسمع، وكان يقول: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكانت قريش تقول: إن لجميل قلبين في جوفه، وكان يسمى ذا القلبين.

---

(١) و(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٣.

(٣) في (أ): (قاله).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٤٧٨٠.

(٦) هو: أبو معمر جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، شهد حرب الفجار مع والده، أسلم عام الفتح مسنا وكان يلقب ذا القلبين؛ لأنهم كانوا يقولون: له قلبان في جوفه من شدة حفظه، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ شهد مع الرسول ﷺ حنينًا.
انظر: «الاستيعاب» ١/ ٢٣٧، «الإصابة» ١/ ٢٤٥، «أسد الغابة» ١/ ٢٩٥.

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[١].

وقال في رواية أبي طيبان: إن المنافقين قالوا: [إن][٢] لمحمد قلبين قلبًا معكم وقلبا مع أصحابه[٣].

قال الزهري: هذا مثل ضربه الله في شأن زيد بن حارثة تبناه النبي ﷺ يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان، فكذلك لا يكون رجل واحد ابن رجلين[٤].

وقال مقاتل بن حيان: هذا مثل ضربه الله للمظاهر أي: فكما لا يكون لواحد قلبان كذلك لا يكون المرأة المظاهرة أمه[٥] حتى يكون له أمان[٦].

والقول الأول عليه أهل التفسير[٧]، والآية تكذيب للمشركين الذين

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٢ ب، «تفسير الطبري»، وأورده السيوطي في «الدر» وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة، ولابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس، ولابن أبي حاتم عن السدي. وانظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠.

(٢) زيادة لا يستقيم المعنى بدونها وهي موافقة لما في «سنن الترمذي».

(٣) رواه الترمذي في «سننه» كتاب: التفسير، سورة الأحزاب ٥/ ٢٧، وقال: هذا حديث حسن، ورواه الحاكم في «المستدرك» كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب ٢/ ٤١٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٢ ب، «تفسير السمرقندي» ٣/ ٣٦.

(٥) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: لا تكون امرأة المظاهر أمه.

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٠٦، وعزاه للزهري ومقاتل. وذكره الماوردي في «تفسيره» ٤/ ٣٧٧. وعزاه لمقاتل بن حيان. وذكره «الثعلبي» ٣/ ١٨٢ ب، وعزاه للزهري ومقاتل.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١١٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣١٨، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٧٠.

قالوا: إن له قلبين، ثم قرن الله تعالى هذا الكلام بما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ﴾ قال أبو علي الفارسي: وزنه فاعل مثل شائي ونائي، والقياس إثبات الياء [فيه][١] بعد الهمزة كما ثبتت في الشائي والنائي ونحوه، ويجوز حذف الياء منه، وحكى ذلك سيبويه فقال: من قال: اللاء بغير ياء، قال: إذا سمي به لاء؛ لأنه يصير بمنزلة باب، وصار حرف الإعراب غير الفعل التي هي الهمز[٢]. ويجوز أيضًا تخفيف الهمزة عد حذف الياء فيجعلها بين بين، وعلى هذا أنشد[٣][٤]:

من اللائي لم يحججن يبغين حسنة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

وقد قرأ الفراء بالأوجه الثلاثة[٥].

قوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ أي: تتظهرون على وزن تتفعلون فأدغم التاء في الظاء. وقرأ عاصم: تظاهرون من المظاهرة، وقرأ حمزة: تظاهرون أراد تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون، وأدغم ابن عامر هذه التاء التي حذفها حمزة، فقرأ بفتح التاء وتشديد الظاء كل هذا لغات[٦]. يقال: ظاهر من

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط في (ب).

(٢) «الحجة» ٥/ ٤٦٦.

(٣) في (ب): (ينشد).

(٤) البيت من الطويل، وهو لعائشة بنت طلحة في: «العقد الفريد» ٧/ ١٠٢، وبلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٤٦، ١٥/ ٣٨، «الأغاني» ١٧/ ١٢١، «الأزهية» ص٣٠٦.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤.

(٦) انظر: «القراءات وعلل النحويين فيها» ٢/ ٥٣٤، «الحجة» ٥/ ٤٦٧، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٨٨.

امرأته وتظاهر وتظهر، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذه الكلمة، فلما جاء الإسلام نهوا عنها، أوجبت الكفارة على من ظاهر امرأته في سورة المجادلة. واشتقاق هذا اللفظ والقصة والحكم يذكر هناك. ومعنى الآية: ما جعل الله نساءكم التي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون. قال أبو إسحاق: أعلم الله أن الزوجة لا تكون أما[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع الدعي، وهو الذي يدعي ابنا لغير أبيه، ويدعيه غير أبيه، ومصدره: الدعوة يقال: دعِيٌّ بيِّنُ الدعوة أي: ما جعل من تدعونه ابنا وليس بولد في الحقيقة ابنا[(٢)].

قال المفسرون: نزلت في زيد بن حارثة تبناه رسول الله ﷺ كالعادة التي كانت في العرب في الجاهلية، فلما تزوج زينب بنت جحش- وكانت امرأة زيد- قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، فأنزل الله هذه الآية إبطالًا لما قالوا وتكذيبًا لهم أنه ابنه. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهم[(٣)]. وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ المفسرون على أن هذا خطاب للذين ينسبون الدعي إلى من تبناه كقولهم: زيد بن محمد، يقول الله: هذا قول تقولونه بألسنتكم ولا حقيقة وراءه، فهو قول بالفم من غير إسناد إلى أصل[(٤)] كما قال: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٤.

(٢) انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٣٣٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ١١٩، «اللسان» ١٤/ ٢٥٧.

(٣) انظر: «الثعلبي» ٣/ ١٨٣ ب، «الطبري» ٢١/ ١١٩، «زاد المسير» ٦/ ٣٥١، «الدر المنثور» ٦/ ٥٦٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٣ب، «بحر العلوم» ٣/ ٣٧.

بِأَفْوَٰهِهِمْۖ﴾ [التوبة: ٣٠]. وقال أبو إسحاق: ادعاؤكم نسب من لا حقيقة لنسبه، قول بالفم لا حقيقة له(١). وعلى هذا الخطاب للمتبنين. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ يعني: قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ أي: لا يجعل غير الابن ابنا. ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ قال ابن عباس: يرشده إلى سبيله(٢). وقال مقاتل: وهو يدل على طريق الحق(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ قال ابن عباس: انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم(٤). ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾.

قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين. قال ابن عباس: يريد من أسلم [منكم](٥)(٦) ﴿وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾ أي: بنو عمكم. وهو قول ابن عباس(٧)، واختيار المبرد(٨) والزجاج(٩). وأنشد المبرد:

مهلا بنو عمنا(١٠) مهلا موالينا(١١)

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٤.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٧ ب.

(٤) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠، «الوسيط» ٣/ ٤٥٨.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) لم أقف على من نسب هذا القول لابن عباس.

(٧) لم أقف على هذا القول منسوبًا لابن عباس.

(٨) «الكامل» ٣/ ١٢١٢.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٥.

(١٠) في (أ): (عميا).

(١١) هكذا ورد في النسخ بنو! وهو خطأ، والصواب: بني؛ لأنه منادى مضاف. وهذا صدر بيت وعجزه: لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونًا. =

قال الزجاج: يجوز أن يكون ومواليكم أولياؤكم في الدين[١]. وقال آخرون: يعني بالموالي المعتقين أي: إن كان عبدًا وأعتقه فهو مولاك، كما كان زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، وعلى هذا دل كلام مقاتل[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قال مجاهد ومقاتل: يعني فيما قلتموه قبل النهي[٣].

وقال قتادة: لو دعوت رجلًا لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس[٤].

فعلى هذا الخطاب أن يخطئ في نسبه من غير تعمد. وذكر أبو إسحاق قولًا ثالثًا فقال: ويجوز أن يكون: (ولا جناح عليكم في أن تقولوا بما هي[٥] على غير أن يتعمد أن يجريه مجرى الولد في الإرث)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما كان من قولكم[٧] قبل النهي رحيما بكم.

= وهو من البسيط، للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في: «الكامل» ٣/ ١٢١٢، «الأضداد» ص٤٨، «الحماسة» ١/ ١٢٩، «الزاهر في معاني كلمات الناس» ١/ ١٢٥.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٧ ب، وذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٢٨، ولم ينسبه لأحد.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢١، «زاد المسير» ٦/ ٧٠٦، «تفسير مقاتل» ٨٧ ب.

(٤) المصدرين السابقين.

(٥) هكذا في جميع النسخ! والظاهر أنه خطأ، وعبارة الزجاج: في أن تقولوا له: يا بني على غير أن تتعمد أنه تجريه مجرى الولد.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٥.

(٧) في (ب): (لما كان لقومن قولكم)، وهو خطأ.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. قال المفسرون: أي إذا حكم بشيء نفذ[١] حكمه، ووجبت طاعته عليهم[٢]. وهذا معنى قول ابن عباس وعطاء: إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي أولى بهم من طاعة[٣] أنفسهم[٤]. ونحو هذا قال ابن زيد: أي ما قضى فيهم من أمر جاز كما أن كل ما قضيت على عبدك جاز[٥].

وعلى هذا النبي ﷺ أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسهما، وله أن يتصرف في كل حق من حقوق المؤمنين وينفذ ذلك التصرف شاءوا أو أبوا، حتى لو زوج امرأة استغنى عن رضاها ورضا أوليائها؛ لأنه أحق بها منها بنفسها؛ لقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وروى ابن جريج عن مجاهد في تفسير قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: هو أبو المؤمن[٦]. وهذا راجع إلى ما ذكرنا، يعني أنه كالأب للمؤمنين في وجوب طاعته وترك المخالفة عليه. ويؤكد هذا التفسير أن في مصحف أبي: «النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»[٧].

---

(١) في (ب): (فقد).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٣ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٢، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٢٤.

(٣) في (ب): (طاعتهم أنفسهم).

(٤) المراجع السابقة.

(٥) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٣ ب.

(٦) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٢. وذكره الماوردي ٤/ ٣٧٣، وقال: حكاه النقاش، «تفسير مجاهد» ص٤١٥.

(٧) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٣٨، «تفسير البغوي» ٧/ ٢٠٨.

ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرؤه[١]. وعلى هذا يجوز أن يكون يقال النبي ﷺ أب المؤمنين أي: في الحرمة ووجوب الطاعة كما أن أزواجه أمهات المؤمنين. ومن أصحابنا من قال: لا يجوز أن يقال: هو ابن[٢] المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ولكن يقال: هو مثل الأب للمؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ يقال: هو مثل الأب للمؤمنين كما قال ﷺ: «**إنما أنا لكم مثل الوالد**»[٣]. ونص الشافعي رحمه الله على أنه يجوز أن يقال: هو أب المؤمنين أي في الحرمة[٤]. والذي في قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي في النسب، يعني ليس أحد من رجالكم ولد صلبه.

وقال السدي: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في دينهم[٥].

وعلى هذا هو أولى بهم من أنفسهم فيما يأمرهم به من أمور

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٦٧، وعزاه للفريابي وابن مردويه والحاكم والبيهقي في «سننه».

(٢) هكذا في جميع النسخ! وهو خطأ، والصواب: أبو.

(٣) هذا جزء من حديث رواه أبو هريرة ﷺ، ونص الحديث: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه**» الحديث. أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب: الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ١/ ٣ رقم الحديث (٨)، والنسائي في «سننه» كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث ١/ ٣٨، وابن ماجه في «سننه» كتاب: الطهارة، باب: الاستنجاء بالحجارة ١/ ١١٤ رقم الحديث (٣١٣)، والإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ٢٤٧، ٢٥٠.

(٤) انظر: «الأم» ٥/ ١٢٦.

(٥) لم أقف عليه.

دينهم.وهذه الولاية تختص بأمر الدين كما روي عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أعلم بأمور آخرتكم، وأنتم أعلم بأمور دنياكم**»(١) على أن جميع ما يأمر به ﷺ فيه المصلحة وامتثاله من الدين، غير أن أكثر أوامره في أمور الدين. وقال المقاتل: إن طاعة النبي أولى من طاعة بعضكم لبعض(٢). وعلى هذا قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٣) يريد من غيرهم من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] يعني: على إخوانكم من المؤمنين، وكقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] وقد مر.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٤) قال جميع المفسرين: أي في حرمة نكاحهن، فلا يحل لأحد التزوج(٥) بواحدة منهن كما لا يحل التزوج بالأم(٦). وهذه الأمومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير؛ لأنه لم يثبت شيء من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة، ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن، ولهذا قال الشافعي: وأزواجه أمهاتهم في معنى دون معنى، وهو أنهن محرمات على التأبيد، وما كن محرمات في الخلوة والمسافرة وغير ذلك(٧).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب وجوب ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي ٤/ ١٨٣٦ رقم الحديث (٦٢٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) «تفسير مقاتل» ٨٧ ب.
(٣) في (أ): (أنفسكم)، وهو خطأ.
(٤) في (أ): (أمهاته)، وهو خطأ.
(٥) في (أ): (المزوج)، وهو خطأ.
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٢، «السمرقندي» ٣/ ٣٨، «الثعلبي» ٣/ ١٨٤ أ.
(٧) انظر: «الأم» ٥/ ١٢٥.

وهذا ما روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أمه. فقالت: لست لك بأم، وإنما أنا أم رجالكم[١]. فبان بهذا أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط.وعلى هذا لا يجوز أن يقال لبناتهن أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين.قال أصحابنا: أزواجه اللاتي توفي عنهن رسول الله في حياته، فمنهم من قال: كانت محرمة بهذه الآية[٢]، ومنهم من قال: لم تكن محرمة؛ لقوله تعالى في آية التخيير: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] الآية، فدلت هذه الآية على أنهن لو اخترن الطلاق وطلقهن حل؛ لأنهن إنما ينلن زينة الحياة الدنيا بأن يتزوجن الأغنياء بعد النبي ﷺ.

ومن أصحابنا من فصَّل وقال: كل مطلقة كانت ممسوسة لم يحل نكاحها، وإن كانت غير ممسوسة حل نكاحها، يدل عليه ما روي أن الأشعث بن قيس تزوج بعد رسول الله ﷺ المستعيذة[٣]، وهي التي قالت لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، لما دخل عليها، فقال: «**الحقي بأهلك**».

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٧٥، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٢٣. وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٧٥ ونسبه لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في «سننه».

(٢) في (أ) زيادة: (على أنهم لو اخترن)، وهو خطأ.

(٣) لم أستطع الوقوف على اسم المستعيذة بعد طول بحث، وذلك لكثرة ما ورد من روايات وأقوال، حصل في أكثر الروايات التي وردت فيها هذه القصة اضطراب، فقيل: هي الكلبية، وقيل: الجونية، ثم الاختلاف في اسمها واسم أبيها جاء على أكثر من سبعة أقوال. أيضًا قيل: إنها ماتت كمدًا بعد فراق الرسول ﷺ لها، وقيل: بل عاشت وتزوجت، ثم هناك خلاف في من تزوجها وهل تزوجها أو هم ثم لم يفعل، أقوال كثيرة ذكرها ابن حجر في «فتح الباري» ٩/ ٤٤٥ إلى ٤٥٢، وكذا ذكرها القسطلاني في «إرشاد الساري شرح صحيح البخاري» ١٢/ ١٠- ١٤.

ولما بلغ عمر ﷺ أن الأشعث نكحها همَّ برجمه، فأخبر أن رسول الله ﷺ لم يمسها فتركه.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة: وكان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر شيئًا فأنزل الله هذه الآية فصارت المواريث بالملك والقرابات[1]. وقال الكلبي: كان النبي ﷺ يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله حتى نزلت هذه الآية، فصارت المواريث للأدني فالأدنى من القرابات[2].

وذكرنا الكلام في هذا في آخر سورة الأنفال ﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ مذكور هناك[3].

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾. قال أبو إسحاق: أي ذو الرحم أولى بذي رحمه منه بالمؤمنين[4] والمهاجرين إذا لم يكن من ذوي رحمه[5]. والمعنى أن ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان دون رحم.و ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ صلة أولى كما تقول: أنا أولى منك بهذا الأمر، والمعنى: أولى الأرحام أولى بالميراث من المهاجرين. وقد ذكر الفراء وجهًا آخر، فقال: وإن شئت

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٤ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٣.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٨٤ ب، «السمرقندي» ٣/ ٣٨.

(٣) في آخر آية من سورة الأنفال، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

(٤) في (ب): (منه من المؤمنين).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦.

جعلت من يراد بها أولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض[(١)]. قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ قال أبو إسحاق: (هذا استثناء ليس من الأول، المعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائز[(٢)].

واختلفوا في معنى الأولياء هاهنا، فقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: إلا أن توصوا إلى أوليائكم الذين عاقدتموهم وصية[(٣)].

وقال مجاهد: خلفاؤكم الذين والى بينهم النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار[(٤)].

قال الكلبي: إلا أن يوصي الرجل لأخيه الذي آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ بوصية فيجعل ذلك من ثلث الميت[(٥)].

وعلى هذا معنى الآية: هو أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة والمعاقدة أباح[(٦)] الوصية للحليف والمعاقد والولي والمهاجر. وهذا قول ابن زيد، وابن حيان[(٧)].

قال أبو إسحاق: هو أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦.

(٣) ذكر هذا القول الطبري ٢١/ ١٢٤ ونسبه لابن زيد ثم رجحه. ولم أعثر على من نسبه لابن عباس.

(٤) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٤، «الماوردي» ٤/ ٣٧٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٦٧ عن مجاهد، وقال: أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٣.

(٦) في (ب): (أبلغ)، وهو خطأ.

(٧) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٤، «الثعلبي» ٣/ ١٨٤ ب.

إذا لم يكن وارثًا[(١)]. وذهب قوم إلى أن المراد بالأولياء هاهنا القرابات من المشركين. قال الحسن: إلا أن يكون ذا قرابة ليس على دينك فتوصي له بالشيء، هو وليك في النسب وليس وليك في الدين[(٢)].

قال عطاء: هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة وصية له[(٣)].

وقال قتادة: أولياؤكم من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم[(٤)]. وهذا قول ابن الحنفية: لذي الرحم الكافر[(٥)]. وهذا معنى الآية: إن الله تعالى لما رد التوارث إلى الرحم والملك[(٦)] أباح الوصية لذي الرحم الكافر. واختار بعضهم القول الأول، وقال: لا يجوز أن يكون المراد بالأولياء القرابة من أهل الشرك؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وعدو الله والمؤمنين لا يكونون أولياء المؤمنين[(٧)]. وعلى ما ذكره الحسن لا يبعد أن يكونوا أولياء في النسب .

قوله تعالى: ﴿مَعْرُوفًا﴾ كلهم قالوا: وصية، وفيه دليل على أن الوصية من باب المعروف لا من باب الواجبات، ولو كان واجبًا لكان أولى

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦.

(٢) «الدر المنثور» ٦/ ٥٦٨، وقال: أخرجه عبد الرزاق عن قتادة والحسن، وانظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٢.

(٣) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٣، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٥/ ٣٢٥.

(٤) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٧٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٦٧، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٦٧، وعزاه لابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن الحنفية.

(٦) في (أ): (الملة)، وهو خطأ.

(٧) اختار هذا القول الطبري ٢١/ ١٢٤ ورجحه.

[الناس][١] بها من كان يرث ثم نزع عنه الميراث، فلما كان الوصية له في هذه الآية من المعروف دل أنه لا يجب لأحد.

قوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: التوارث بالهجرة والإيمان الذي كان في ابتداء الإسلام في قول مقاتل[٢]. وقال ابن زيد: (كان ذلك) يعني الذي ذكر من أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض[٣].

وقال قتادة: (كان ذلك) يعني أن المشرك لا يرث المسلم[٤][٥].

وقال الكلبي: كان ذلك يعني الوصية، وأن يعود الفقير على الغني، وهو فعل معروف[٦].

قوله: ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال ابن عباس: يريد في اللوح المحفوظ[٧]. قال القرظي: في التوراة، وهو قول الكلبي قال: كان في التوراة مكتوبًا: عليهم أن يصنع بنوا إسرائيل بعضهم على بعض معروفًا[٨]. وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في آخر سورة الأنفال.

قوله: ﴿مَسْطُورًا﴾ قال ابن عباس: مكتوبًا[٩].

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٨ أ.

(٣) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٥.

(٤) في (ب): (أن المسلم لا يرث المشرك).

(٥) «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٥/ ٣٢٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٢٦.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠، ولم أجد من نسبه لابن عباس من المفسرين حسب علمي.

(٨) ذكر هذا القول وعزاه للقرظي: الطبري ١٤/ ١٢٦، البغوي ٣/ ٥٠٨، ولم أجد من نسبه للكلبي.

(٩) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠.

٧- قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ قال أبو إسحاق: موضع إذ نصب، المعنى: واذكر إذ أخذنا[١]. وهذا يجوز أن يكون تذكيرًا للنبي ﷺ ذلك الميثاق، ويجوز أن يكون المعنى: واذكر لقومك ذلك.

قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ قال مجاهد: في ظهر آدم[٢].

قال الزجاج: وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم كالذر)[٣].

قال ابن عباس: أخذ الميثاق على النبيين خصوصًا، يصدق بعضهم بعضًا ويتبع بعضهم بعضًا[٤]. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله أن يصدق بعضهم بعضًا وأن ينصحوا لقومهم[٥]. وقال الكلبي: أن [. . .][٦] بعضهم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمِنكَ﴾ أخرجه والأربعة الذين ذكرهم من جملة النبيين؛ تخصيصًا بالذكر، وتفضيلًا على غيرهم؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. وقدم النبي ﷺ في الذكر

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦.

(٢) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٢٧، «تفسير مجاهد» ص٥١٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦.

(٤) «تفسير ابن عباس» ص٣٥١، مع اختلاف في العبارة، وذكر هذا القول بعبارته الطبري ٢١/ ١٢٥، ونسبه لقتادة.

(٥) «تفسير مقاتل» ٨٨ أ.

(٦) مقدار كلمة مطموسة في جميع النسخ ولعلها [يصدق]. ولم أعثر على من نسب هذا القول للكلبي، وذكره الطبري منسوبًا لقتادة ٢١/ ١٢٥.

لما روى قتادة عن الحسين[١] عن أنس أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: «**كنت أول المؤمنين في الخلق وآخرهم في البعث**».

قال أبو إسحاق: فعلى هذا لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير. هو على ما نسقه، قال: ومذهب أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن المذكور أولًا لا يستقيم أن يكون معناه التأخير[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾. قال المفسرون: أي عهدًا شديدًا على الوفاء بما حملوا، وذلك العهد الشديد هو اليمين[٣] بالله ﷻ[٤].

٨- قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾. قال مقاتل: (يقول أخذ ميثاقهم لكي يسأل الله الصادقين، يعني به: النبيين هل بلغوا الرسالة؟[٥]. وقال مجاهد: المبلغين [المؤدين][٦] من الرسل[٧].

وقال الكلبي: يعني النبيين عن صدقهم بالبلاغ[٨].

وقال أبو إسحاق: معناه ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في

---

(١) هكذا في جميع النسخ! والصحيح أنه الحسن كما جاء في كتب السنة، فقد ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٠، وعزاه للحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل» والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ. وبهذا أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٦٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) في (ب): (الإيمان).

(٤) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٦٠، «زاد المسير» ٦/ ٣٥٥.

(٥) «تفسير مقاتل» ٨٨ أ.

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٧) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٦، «التبيان في تفسير القرآن» ٨/ ٣١٩.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٦٠ غير منسوب لأحد، وذكره «الماوردي» ٤/ ٣٧٨، وقال: حكاه النقاش مع اختلاف في العبارة.

تبليغهم، وتأويل مسألة الرسل- والله يعلم أنهم صادقين- التبكيت للذين كفروا بهم، كما قال ﷻ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية[١].

واللام من قوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ متعلقة بالأخذ المذكور قبلها، والتقدير: وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا لنسألهم عن تبليغ ما حملناهم من أداء الرسالة، وإنما قال: ليسأل بالياء؛ لكون الخطاب كما يرجع من المخاطبة إلى الكناية، وتم الكلام عند قوله: ﴿صِدْقِهِمْ﴾، ثم أخبر عما أعد للكفار فقال: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾. قال الزجاج: أي للكافرين بالرسل[٢]. ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

٩- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. قال مقاتل وغيره من المفسرين: إن أبا سفيان بن حرب ومن معه من المشركين واليهود من قريظة والنضير تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام[٣] الخندق، فبعث الله عليهم بالليل ريحًا باردة وبعث الملائكة، فقلعت الريح الأوتاد وأطفأت النيران، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكبرت الملائكة في جانب عسكرهم، فانهزم المشركون من غير قتال، فأنزل الله يذكرهم إنعامه عليهم في الرفع عنهم، وهو قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾[٤]. قال مجاهد والمفسرون: هم الأحزاب عيينة بن بدر وأبو سفيان وقريظة[٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾. قال مجاهد: هي الصبا، أرسلت

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٧.

(٣) في (ب): (يوم).

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٨ أ، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٧، «الدر المنثور» ٦/ ٥٧١.

(٥) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٨، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٧٨، «الدر المنثور» ٦/ ٥٧٣ كلهم عن مجاهد، وزاد السيوطي حيث عزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» والبيهقي.

على الأحزاب يوم الخندق حتى أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾. قال: الملائكة، ولم يقاتل يومئذ[(٢)]. قال مقاتل: ألف ملك عليهم جبريل[(٣)].

وقال ابن عباس: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يريد الملائكة تهلل وتكبر وتدعو للنبي ﷺ وللمؤمنين بالنصر[(٤)]. ثم أخبر عن حالهم من أين جاءوا.

١٠- وقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ إذ بدل من قوله: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾، وإذ ظرف لإنعام الله عليهم، كأنه قيل: اذكروا إنعام الله عليكم بالكفاية حين جاءتكم جنود، حين جاءوكم ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾. قال المفسرون: يعني من فوق الوادي من قبل المشرق، قريظة وعليهم حيي بن أخطب، والنضير وعليهم مالك بن عوف[(٥)]، وغطفان وعليهم عيينة بن حصن ومعهم طليحة بن خويلد[(٦)] في بني أسد. وقوله: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: من بطن الوادي

---

(١) «معاني القرآن» للنحاس ٥/٣٢٨، وذكره الطبري ٢١/١٢٩ غير منسوب لأحد، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٣، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» والبيهقي عن مجاهد.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٥١٥.

(٣) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم تذكر كتب المغازي والسير هذا الاسم ضمن قواد هذه الغزوة. لكن ذكر في غزوة حنين (مالك بن عوف النصْري) كان رئيس المشركين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامه، واستعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه .

(٦) هو: طليحة بن خويلد الأسدي، يقال له: طليحة الكذاب؛ لأنه ارتد بعد وفاة النبي ﷺ وادعى النبوة، كان من فصحاء العرب وشجعانهم، أسلم بعد ردته في زمن =

من قبل المغرب من ناحية مكة، أبو سفيان في قريش ومن اتبعه[١].

وقال الكلبي على الضد مما ذكرنا فقال: من فوقكم يريد من مكة، ومن أسفل منكم يريد أسد وغطفان[٢]. ونحو ذلك قال الفراء: من فوقكم مما يلي مكة، ومن أسفل منكم مما يلي المدينة[٣].

قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ ومعنى زاغت في اللغة: عدلت ومالت، يقال: زاغت الشمس تزيغ زيوغًا وزيغانًا[٤]، قال قتادة ومقاتل: شخصت فرقًا[٥]، والشخوص غير الزيغ؛ لأن الشخوص هو أن يفتح [عينه][٦] ينظر إلى الشيء فلا يطرف، يقال: شخص بصر الميت[٧]. وإنما فسروا الزيغ بالشخوص هاهنا؛ لأن المعنى أن الأبصار مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى هؤلاء الذين أقبلوا من كل جانب، كأنها اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر فمالت عنه وشخصت بالنظر إلى الأحزاب.

= عمر ﷺ، وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح، واستشهد بنهاوند.
انظر: «الاستيعاب بحاشية الإصابة» ١/ ٢٢٩، «الإصابة» ١/ ٢٢٦، «الأعلام» ٣/ ٢٣٠.

(١) «الثعلبي» ٣/ ١٨٦ وما بعدها، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٢٩ وما بعدها، «القرطبي» ١٤/ ١٤٤.

(٢) ذكره ابن كثير ٣/ ٤٧٤، ولم ينسبه للكلبي وإنما هو من رواية حذيفة بن اليمان ﷺ في حديثه الطويل المشهور بشأن تلك الغزوة.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦.

(٤) انظر: «اللسان» ٨/ ٤٣٢ (زيغ)، «الصحاح» ٤/ ١٣٢٠ (زيغ).

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٣٢، وذكره الطبري ٢١/ ١٣١، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١١٣ منسوبًا لقتادة.

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٧١ (شخص)، «اللسان» ٧/ ٤٥ (شخص).

قال الكلبي: مالت أبصارهم إلا من النظر إليهم[١].

وقال الفراء: زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها[٢]. متحيرة تنظر إلى عدوها، وهذا الذي ذكره شرح شاف.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الحنجرة: جوف الحلقوم، وكذلك الحنجور. قال قتادة: شخصت من مكانها فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت[٣]. قال عكرمة: لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه، ولكن إنما هو الفزع[٤].

قال ابن قتيبة: معناه وكادت القلوب تبلغ الحناجر[٥]. و(كاد) مضمر في الآية.

قال ابن الأنباري: وهو غلط؛ لأن كاد لا يضمر ولا يعرف معناه إذا لم يوجد مظهر[٦]. فإنه ولو جاز هذا لجاز: قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله، والمعنى ما ذهب إليه الفراء، وهو أنهم جبنوا وجزع أكثرهم. وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن

---

(١) لم أجد من نسب هذا القول للكلبي، وذكر نحوه الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٣٢، ولم ينسبه لأحد، كما ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٥٨، ولم ينسبه لأحد.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦.

(٣) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٦ عنه وقال: أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٦ عنه، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٥) «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٨.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٥٨ عن ابن الأنباري.

تنتفخ رئته، فإذا انتفخت دفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره[١]، وهذا الذي ذكره الفراء وهو قول الكلبي، قال: رفعت الرئة القلب وانتفخت حتى صارت عند الحنجرة فلم ترجع[٢] ولم تخرج.

قال أبو سعيد: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر. قال: فقولوا: «**اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**». قال: فقلناها فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا[٣].

وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قال ابن عباس: يريد خفتم كثرتهم حتى قنطتم، وكان الله لكم ناصرًا[٤].

وقال مقاتل: يعني الإياس من النصر واختلاف الأمر والنهي[٥] أن ظنونكم اختلفت، فظن بعضكم بالله النصر ورجاء الظفر والكفاية، وبعض يئس وقنط. وقال الكلبي: ظن به يومئذ ناس من المنافقين ظنونًا مختلفة، يقولون: هلك محمد وأصحابه[٦]. فعلى القول الأول (تظنون) خطاب للمؤمنين، وعلى قول الكلبي خطاب للمنافقين، والمؤمنون كانوا واثقين بنصر الله ووعده بالنصر لدينه ورسوله.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥١٧. ونسبه للفراء، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٦١.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٦ مع اختلاف في العبارة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٣/ ٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٣، وعزاه لأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب.

(٦) ذكر هذا القول البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥١٦ غير منسوب لأحد، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٣٢ غير منسوب لأحد.

وقال الحسن: ظنونًا مختلفة، ظن المنافقون أنه يستأصل، وظن المؤمنون أنه ينصر[١].

الظنونا والرسولا والسبيلا: ثلاثة أوجه من القراءة؛ إثبات ألفاتها وقفا ووصلا، وحذفها في الحالين، وإثباتها في حال الوقف وحذفها في الوصل. قال أبو الحسن الأخفش: العرب تلحق الواو والياء والألف في أواخر القوافي، فشبهت أواخر الآي بالقوافي[٢].

وقال أبو علي: أواخر الآي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع، كما كانت القوافي مقاطع فكما ثبتت قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] و﴿أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٦] في حذف الياء بنحو:

من حذف[٣] الموت أن يأتين

و:

إذا ما انتسبت له أنكرن[٤]

كذلك تشبه في إثبات الألف بالقوافي)[٥]. نحو قوله:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٣٢)، «الماوردي» ٤/ ٣٨٠، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٧، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٨٠، وانظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٣٥، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٨٩.

(٣) هكذا في النسخ، وهو خطأ والصواب حذر.

(٤) عجزا بيتين من المتقارب للأعشى، والبيتان هما:

فهل يمنعني ارتيادي البلاد ... من حذر الموت أن يأتين

ومن شانئ كاسفٍ وجهه ... إذا ما انتسبت له أنكرن

وهما من قصيدة طويلة يمدح بها قيس بن معد يكرب الكندي في: «ديوانه» ص١٥، «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢١٩، «الكتاب» ٢/ ١٥١- ٢٩٠.

(٥) «الحجة» ٥/ ٤٦٩.

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا[١]

قال أبو الفتح الموصلي: هذه الألف لإشباع الفتحة للقافية، وكذلك الواو لإشباع الضمة في القافية، والياء لإشباع الكسرة[٢].

فمن أثبت في الوقف دون الوصل، وهو اختيار أبي عبيد[٣] قال: العرب تثبت هذه الألفات في قوافي أشعارهم ومصاريفها؛ لأنها مواضع قطع وسكت، فتعمد الوقوف على هذه الألفات موافقة للخط، وإذا وصلت حذفت كما تحذف[٤] غيرها مما يثبت في الوقف، نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه، قال أبو عبيد: وأكره أن يثبتها مع إدماج القراءة؛ لأنه خروج من العربية[٥] لما يعد هذا عندهم جائزًا في اضطرار ولا غيره، وأما من أثبت في الوصل فوجهه أنها في المصحف ثابتة، وإذا أثبتت[٦] في الخط فينبغي[٧] ألا تحذف كما لا تحذف هاء الوقف من (حسابيه) (وكتابيه)

---

(١) البيت من الوافر، مطلع قصيدة لجرير في «ديوانه» ٢/ ٨١٣، «خزانة الأدب» ١/ ٦٩، «الخصائص» ٢/ ١٠٦، «الكتاب» ٤/ ٢٠٥.
والشاهد فيه: إجراء المنصوب المقرون بالألف واللام مجرى غير المقرون بها في ثبات الألف لوصل القافية؛ لأن المنون وغير المنون في القوافي سواء.

(٢) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٧١، ٦٧٧، ٧٢٦.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٤٥٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٤٥.
تقدم في سورة الأنفال.

(٤) في (أ) جاء الكلام هكذا: كما تحذف [الكسر، فمن أثبت في الوقف دون الوصل دون الوصل] غيرها مما يثبت وهي زيادة خطأ.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٤٥.

(٦) في (ب): (أثبت).

(٧) في «ب»: (ينبغي).

وأن يجري مجرى الموقوف عليها كما يثبت ذلك في القوافي في الوصل، وهي لغة أهل الحجاز فيما حكاه أبو الحسن)[١]. قال[٢]: إنهم يثبتون الألف والواو والياء التي تلحق القوافي في الوصل، ولا ينونون كما ينونون من وصل: أقلي اللوم عاذلي والعتابن.

وإذا كان كذلك فثباتها في الفواصل كما ثبتت في القوافي حسن، وأما من طرحها في الحالين فإنه لم يعتد بها ولم يشبه [المنثور بالمنظوم][٣] وفيه مخالفة لخط المصحف[٤].

١١- قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ يقال: هنا للقريب من المكان، وهنالك للبعيد، وهناك للوسيط بين القريب والبعيد، وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك، وذكرنا فيما تقدم[٥] أن هنالك يجوز أن يشار به إلى المكان وإلى الوقت، والمراد بقوله (هنالك) في هذا الموضع الإشارة إلى الوقت الذي تقدم ذكره، وهو قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾. قال مقاتل: يعني عند ذلك[٦]. وقال أبو إسحاق: أي في ذلك المكان[٧].

وقوله: ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال الفراء والزجاج: اختبروا[٨]. وقال

---

(١) إلى هنا من «الحجة» ٥/ ٤٧٠.

(٢) انظر قول الأخفش في: «الخصائص» ٢/ ٩٧، ولم أقف عليه في «معانيه».

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٢، «الحجة» ٥/ ٤٦٨، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٨٩، «البحر المحيط» ٨/ ٤٥٨، «الدر المصون» ٩/ ٩٨.

(٥) عند قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. آية ٣٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٩ مع اختلاف في العبارة.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦، «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» ٤/ ٢١٩.

مجاهد: محصوا[١]. أي: ليتبين المخلص من المنافق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤١] وقد مر، قال مقاتل: ابتلي المؤمنون بالقتال والحصر[٢].

وقال عطاء: بالجزع[٣].

قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: أزعجوا وحركوا، يقال: زل فلان عن مكانه وزلزله غيره. ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، قال أبو إسحاق: ويجوز فتح الزاي والمصدر من المضاعف يجيء على فعلال وفعلال نحو: قلقلته قلقالًا وقلقالًا والكسر أجود؛ لأن غير المضاعف من هذا البناء مكسور الأول نحو: دحرجته دحراجًا، لا يجوز فيه غير الكسر[٤].

وقال الفراء: الزلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم، وكذلك الوِسواس والوَسواس[٥]. قال الكلبي ومقاتل: جهدوا جهدًا شديدًا[٦].

وقال عبد الله بن مسلم: أي شدد عليهم وهول[٧]. والزلزال: الشدة والزلزال: الشدائد، وأصلها من التحريك.

وقال أبو إسحاق: (أزعجوا إزعاجًا شديدًا)[٨]. والمعنى أن من كان

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٢، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٥/ ٣٣٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب.

(٣) لم أعثر على من ذكر هذا القول من المفسرين.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٨ مع اختلاف في العبارة.

(٥) «معاني القرآن» ٣/ ٢٨٣.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب، ولم أجد من نسب القول للكلبي.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٨.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٩.

بصدد ما يخاف ويحذر لم يستقر على مكانة، بل يكون منزعجًا مضطربًا متحركًا، وهذه الآية إخبار عن ابتلائهم بالشدة والخوف ليظهر الصابر من الجازع والمؤمن من الشاك، ألا ترى كيف ظهر نفاق المنافقين، حيث أخبر عنهم بقوله:

١٢- ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾. قال الزجاج: موضع (إذ) نصب، **المعنى**: واذكر إذ يقول المنافقون[١].

قال ابن عباس: يعني أوس بن قبطي[٢] ومعتب بن بشير[٣] وطعمه بن أبيرق وسهل بن الحارث[٤] ووداعة[٥] وعبد الله بن أبي، وعدة نحوًا من سبعين زجلًا، قالوا يوم الخندق: إن محمدًا يعدنا أن يفتح مدائن كسرى وقيصر واليمن، ونحن لا نأمن أن نذهب[٦] إلى الخلاء[٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾. قال قتادة: قال أناس

---

(١) المرجع السابق.

(٢) هو: أوس بن قبطي بن عمرو بن زيد بن جشم الأنصاري الأوسي، شهد أحدًا مع الرسول ﷺ يقال: إنه كان منافقًا، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ١/ ٥٥، «الإصابة» ١/ ٩٨، «أسد الغابة» ١/ ١٤٨.

(٣) هو: معتب بن بشير، ويقال بن قشير الأوسي الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا. وقال ابن هشام بأنه ليس من المنافقين. وقيل: إنه تاب مما قاله يوم أحد.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٤٢، «الإصابة» ٣/ ٤٢٢، «أسد الغابة» ٤/ ٣٩٤.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) في (ب): (يذهب)، وهو خطأ.

(٧) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٦٢ دون تسمية المنافقين.

من المنافقين: يعدنا محمدًا[١] أن يفتح[٢] قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله[٣].

وقال مقاتل: قال معتب: يعدنا محمد قصور اليمن وفارس والروم، ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى الخلاء، هذا والله هو الغرور[٤].

وقال محمد بن إسحاق عن أشياخه: قال معتب أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن يأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يقدر يذهب إلى الغائط[٥].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: من المنافقين، قال بعضهم لبعض: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ في عسكر رسول الله ﷺ ليس لكم به موضع إقامة. قال مقاتل: هم بنو سالم من المنافقين[٦]. وقال السدي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه[٧].

وقال ابن عباس: قالت اليهود للمنافقين: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾[٨]. قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض المدينة، ومدينة الرسول عليه السلام

(١) هكذا في جميع النسخ! والصواب: محمد؛ لأنها فاعل.
(٢) في (أ): زيادة: (يعدنا محمدًا قصور اليمن وفارس والروم ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى [ثم وضع نقط هكذا] أن يفتح قصور الشام وفارس)، وهو خطأ.
(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ٢١/ ١٣٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٧ وقال: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٤) «تفسير مقاتل» ٨٨ ب.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٣ ونسب القول لقتادة ولمجاهد، وذكر السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٧٧، وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة والسدي.
(٦) «تفسير مقاتل» ٨٩ أ.
(٧) انظر: «الكشاف» ٣/ ٢٣٠، «زاد المسير» ٦/ ٣٥٩، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٨١.
(٨) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٤٨.

في ناصية منها، وأنشد لحسان مما قاله في الجاهلية[(١)]:

سأهدي لها في كل عام قصيدة وأقعد مكفيا بيثرب مكرما

وروي أن النبي ﷺ نهى أن يقال للمدينة: يثرب، وسماها طيبة[(٢)] كأنه كره ذكر الثرب؛ لأنه فساد في كلام العرب، يقال: ثرب وأثرب وثرب إذا وسخ وأفسد[(٣)]. ذكرنا ذلك في قوله ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

قوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾. قال أبو إسحاق: لا مكان لكم تقيمون فيه[(٤)]. والمقام اسم الموضع، يقال: مقام إبراهيم، ومنه قيل للمجلس والمشهد: مقام ومقامة. قال الله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨، الدخان: ٢٦]. قال الشاعر:

فأيي ما وأيك[(٥)] كان شرًّا فقيد إلى المقامة لا يراها[(٦)]

ودخلت التاء كما دخلت على المنزلة والمقامة، والمقامة موضع ثواء ولبث.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لحسان في «ديوانه» ص٣٦٩، «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٤.

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» ٤/ ٢٨٥ عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة» وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥/ ٣٤٣، وقال: تفرد به الإمام أحمد، وهو ضعيف.

(٣) انظر: «اللسان» ١/ ٢٣٤ (ثرب).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٩.

(٥) في (ب): (ما واك).

(٦) البيت من الوافر، وهو للعباس بن مرداس في «ديوانه» ص١٤٨، «خزانة الأدب» ٤/ ٣٦٧، «الكتاب» ٢/ ٢٠٤، «لسان العرب» ١٢/ ٥٠٦، «الحجة» ٥/ ٤٧١.

المقامة: بالضمة المجلس وجماعة الناس، والمراد: أعماه الله حتى صار يقاد إلى مجلسه.

وقرأ عاصم: لا مقام لكم بضم الميم[١].

قال الفراء[٢] والزجاج[٣]: من ضم الميم كان المعنى: لا إقامة لكم، يقال: أقمت إقامة ومقامًا.

وقال أبو علي: يجوز في قول من ضم الميم أن يكون المعنى: لا موضع إقامة لكم، وهذا أشبه؛ لأنه في معنى من فتح، يقال: لا مقام لكم[٤]. والمقام بضم الميم يكون[٥] مصدرًا ويكون اسمًا لموضع الإقامة.

وقوله: ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ قال المفسرون: أي إلى المدينة، وذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمون خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع والخندق بينه وبين القوم، فقال هؤلاء الذين يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ: ليس لكم هاهنا موضع إقامة؛ لكثرة العدد وغلبة الأحزاب، فارجعوا إلى المدينة[٦].

قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي: في الرجوع إلى المدينة. قال مقاتل: وهم بنو حارثة وبنو سلمة قالوا للنبي ﷺ: إن بيوتنا عورة[٧].

قال الليث: العورة سوأة الإنسان وكل أمر يستحي[٨] منه فهو عورة،

---

(١) «الحجة» ٥/ ٤٧١، «الكشف عن وجوه السبع وعللها وحججها» ٢/ ١٩٥.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٩.

(٤) «الحجة» ٥/ ٤٧١.

(٥) في (ب): زيادة: (يكون المعنى لا موضع)، وهو خطأ.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٥، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٨٢، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٥، «زاد المسير» ٦/ ٣٦٠.

(٧) «تفسير مقاتل» ٨٩ أ.

(٨) في (أ): (يستحق)، وعلق في الهامش: يستحي.

والنساء عورة، والعورة في التفود وفي الحروب: خلل تخوف منه القتل.

قوله: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: أي ليست بحريزة. ويقال في التذكير[١] والتأنيث والجمع عورة كالمصدر[٢]. قال الزجاج: يقال: عور المكان يعور عورا وعورة فهو عور، وبيوت عورة، وعورة على ضربين فمن سكن كان المعنى: ذات عورة)[٣].

قال الفراء: يقال: أعور منزلك إذا بدت منه عورة، وأعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب، وأنشد:

له الشدة الأولى إذا القرن[٤] أعورا[٥] . .

وقال ابن قتيبة: أصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ، وكأن الرجال ستر وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا عنها أعورت البيوت، تقول العرب: أعور منزلك إذا ذهب سترها وسقط جدارها، وأعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب والطعن[٦].

قال مجاهد والحسن ومقاتل: قالوا: بيوتنا ضائعة[٧] نخشى عليها

---

(١) في (ب): (بالتذكير).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ١٧٣ (عار).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٠ مع اختلاف يسير.

(٤) في (ب): (القرآن)، وهو خطأ.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٧.

وهذا شطر بيت لم أهتد إلى تمامه وقائله. قال الفراء: أنشدني أبو ثروان، وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ١٧٢، و «اللسان» ٤/ ٦١٧ (عور) وقال: إنه في وصف أسد.

(٦) «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٨.

(٧) طمس في (ب).

السرق[1].

وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلي العدو، ولا نأمن على أهالينا[2].

وقال الكلبي: بيوتنا عورة أي خلاء[3] يعني من الرجال[4].

وقال أبو إسحاق: فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الهرب والفرار[5] فقال: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ قال مقاتل: ما يريدون إلا فرارًا من القتال ونصرة النبي ﷺ[6].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾. قال مقاتل والفراء: لو دخلت عليهم المدينة[7].

وقال الزجاج: لو دخلت البيوت[8]. يعني: لو دخلها عليهم هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الأحزاب من أقطارها من نواحيها، واحدها قطر، والقطر والفتر الجانب الواحد والناحية.

قوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ يعني: الشرك في قول جميع المفسرين[9].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١٣٦، «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٧٢، «مجمع البيان» للطبرسي ٨/ ٥٤٥.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١٣٦، «مجمع البيان للطبرسي» ٨/ ٥٤٥.

(٣) في (أ): (خال)، وهو خطأ.

(٤) «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٨٣.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١٩.

(٦) «تفسير مقاتل» ٨٩ أ.

(٧) «تفسير مقاتل» ٨٩ أ، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٧.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٠.

(٩) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٦، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٧، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٣٣، «زاد المسير» ٦/ ٣٦١.

وقال الزجاج: أي قيل لهم: كونوا على المسلمين مظهرين الفتنة لفعلوا ذلك[١].

قال ابن عباس ومقاتل: يقول الله لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمروهم بالشرك لأشركوا[٢].

وقال الكلبي[٣]: يقول لو دخل عليهم من أطراف المدينة الخيل والرجال، ثم دعوهم إلى الشرك بالله لأعطوا ذلك وهو قوله: ﴿لَآتَوْهَا﴾ أي: لما امتنعوا منها. وقرأ الحجازيون: لأتوها قصرًا أي: لفعلوها[٤].

قال الفراء: من قولك: أتيت الشيء إذا فعلته، تقول: أتيت الخير أي فعلت الخير، والمعنى: ثم سئلوا فعل الفتنة لفعلوها[٥].

وقال الزجاج: من قرأ بالقصر كان المعنى لقصدوها[٦]. والاختيار المد؛ لقوله: سئلوا، فالإعطاء مع السؤال حسن. قاله الفراء وأبو علي[٧].

وقال أبو عبيد[٨] قد جاءت الآثار في الذين كانوا يفتنون بالتعذيب في الله أنهم أعطوا ما سألهم المشركون غير بلال، وليس في شيء من الحديث أنهم جاءوا ما سألوهم، ففي هذا اعتبار للمد .

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٠.
(٢) انظر: «مجمع البيان» للطبرسي ٨/ ٥٤٥، «تفسير ابن عباس» ص٣٥١، «تفسير مقاتل» ٨٩ أ.
(٣) لم أقف على قول الكلبي.
(٤) انظر: كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» ٢/ ١٩٦.
(٥) لم أقف على قول الفراء في معاني القرآن له، ولا فيما لدي من مراجع.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٠.
(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٧، «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٧٢.
(٨) لم أقف على قول أبي عبيد.

قال أهل المعاني: هذا إخبار عن ظهور فضيحتهم وعدم نصرتهم عند وقوع الشدة بإبداء المكتوم وإعطاء الفتنة وإظهار الردة[١].

قوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ قال ابن عباس: لم يلبثوا بإعطاء الشرك إلا يسيرًا[٢].

وقال مقاتل: وما أحسوا من الشرك إلا قليلًا حتى يعطوها طائعين[٣].

وقال قتادة: وما أحبسوا من الإجابة إلى الكفر إلا قليلًا، وهذا قول أكثر المفسرين[٤].

وقال السدي: وما تلبثوا بها أي: بالمدينة إلا يسيرًا بعد إعطاء الكفر حتى يهلكوا[٥].

وقال الحسن: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى يعذبوا. وهذا القول اختيار الفراء[٦] وابن قتيبة[٧]. والكناية في (بها) على القول الأول تعود إلى الفتنة، يقال: تلبث بالشيء تربص به إذا أخره ومنعه. وعلى القول الثاني يعود إلى المدينة، وهي مذكورة في قوله: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾. وروى عطاء عن ابن عباس قولًا ثالثًا فقال: يريد لم يقيموا مع النبي

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٣٤، للفراء ٢/ ٣٣٧، للزجاج ٤/ ٢٢٠.
(٢) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٥، «تفسير ابن عباس» ص٣٥١.
(٣) «تفسير مقاتل» ٨٩ أ.
(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١٣٦، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٥، «زاد المسير» ٦/ ٣٦١.
(٥) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٣٦٢، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٥٠.
(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٧.
(٧) «غريب القرآن» ص٣٤٩.
وانظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٥، «القرطبي» ١٤/ ١٥٠.

ﷺ في حرب ولا دين[١]. وعلى هذا قوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا﴾ ابتداء إخبار عنهم أنهم لم يقيموا هناك، ورجعوا إلى بيوتهم وليس عطفًا على ما قبله، والكناية في (بها) تعود إلى غير مذكور على تقدير: وما تلبثوا بالمعركة، وبالمقامة[٢]، وهذا أضعف الأقوال.

وذكر أبو علي هذه الآية في «المسائل الحلبية» فقال: (من قرأ: لآتوها بالمد فلمكان المسألة، كأنه لو سئلوا لأعطوها ولأتوها من الإتيان حسن؛ لأن قوله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ دليل على أنهم يسألون النبي ﷺ ترك الإتيان والوقوف معه، فكان المعنى: ويستأذن فريق منهم النبي في أن لا يأتوه لاشتغالهم بحفظ بيوتهم المعورة في زعمهم.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو بلغت البيوت في أعوارها أن دخل عليهم من جوانبها كلها لفرط عوارها، ثم سئلوا معونة العدو على المسلمين، لأتوها وأسرعوا إليها ولم يعتلوا عليهم بأن بيوتهم معورة كما اعتلوا به في تأخرهم عن النبي ﷺ والمسلمين ونصرهم، فالمعنى: يستأذنون النبي في أن يقعدوا عنه ولم يأتوه، وهم يأتون العدو لينصروهم ويعينوهم على المسلمين لو سألوهم، فالقراءة بالقصر أشكل بما قبله وما بعده[٣]. ألا ترى أن بعدها: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ومن قرأ بالمد فهو راجع إلى هذا؛ لأن إعطاء الفتنة هو راجع إلى هذا؛ لأن إعطاءهم الفتنة

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ب): (ولا بالمقامة).

(٣) (ما) ساقطة من (أ).

معونتهم على المسلمين وإتيانهم العدو ناصرين[١]. فأتوها بالقصر أشد إبانة للمعنى المراد بهذه الآية، فالمعنى قريب من قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في نصرتهم وهذا مثل قوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا﴾ لأن في الموضعين دلالة على المعونة على المسلمين وعلى أنهم غير مسافلين[٢].

وقوله: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يقرب من قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، إلا أنهم في هذه الآية كأنهم أشد يأسًا من[٣] النصر؛ لقطعهم على أن ما وعد الله والرسول به غرور، ويجتمعان في الإخبار عنهم بأن قلوبهم لم تثلج بالإيمان ولم تسكن إلى قول الرسول والإيمان والقرآن وما اجترءوا[٤] به من الظفر ووعدوا به من الفتح والنصر في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩])[٥]، وقوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: تلبثوا بدورهم إلا زمانًا قليلًا حتى يأتوا العدو ناصرين لهم عليكم، ويجوز أن يكون المعنى: لو أتوا العدو ناصرين لهم ومظهرين ما هم مبطنون لاستؤصلوا بالسيوف ويغلبوا كما غلب العدو، ونزل بهم من العذاب ما يهلكهم إذا باينوكم في الدار. ثم ذكرهم الله تعالى عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال:

---

(١) في (ب): (قاصدين).

(٢) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: متثاقلين.

(٣) هكذا هي في جميع النسخ! وفي «المسائل الحلبيات» في.

(٤) هكذا في جميع النسخ! وفي «المسائل الحلبيات»: (ما أخبروا به)، وهو الصواب.

(٥) «المسائل الحلبيات» ص٣٦٠- ٣٦٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

١٥- ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل الخندق أن لا ينهزموا ولا يولون العدو ظهورهم.وقوله: ﴿لَا يُوَلُّونَ﴾ أراد عاهدوا أن لا يولون فلما حذف (أن) عاد الفعل إلى الرفع كقول طرفة:

ألا أيُّهذا الزاجري أحضر الوغا[١]

البيت.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي عنه، فحذف للعلم به، كقوله في سورة بني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقد مر.

وقال صاحب «النظم»: معنى مسئولًا هاهنا مطلوبًا بمعنى مطالبًا به ممن صنعه، كما تقول: أسألك حقي أي: أطالبك حقي، أخبر الله تعالى أنهم يسألون في الآخرة عن عهدهم.

١٦- ثم أخبر أنهم إن جبنوا عن الحرب وخذلوا النبي ﷺ وأصحابه حرصًا على الحياة، وخوفًا من الموت لم ينفعهم ذلك، فقال قوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ قال ابن عباس: لأن المراد إذا حضر أجله مات أو قتل[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يمتعون في الدنيا بعد

---

(١) صدر بيت من الطويل، وعجزه:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي.

وهو لطرفة في «ديوانه» ص٣٢، «خزانة الأدب» ١/ ١١٩، «الإنصاف» ٢/ ٥٦٠، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٨٥.

والشاهد فيه: قوله: أحضر، حيث روي بالرفع على حذف أن الناصبة وارتفاع الفعل بعدها، وروي بالنصب بإضمار أن.

(٢) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٦٣، ولم أجد من نسب هذا القول لابن عباس غير الواحدي.

الفرار إن فررتم إلا مدة آجالكم. قال الربيع بن خيثم[١]: القليل ما بينهم وبين الأجل[٢].

وقال الكلبي: تمتعون إلى آجالكم، وهو القليل؛ لأن كل ما هو آت قريب[٣].

١٧- ثم أخبر أن ما قدر عليهم وأراده بهم لم يدفع عنهم بقوله: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يجيركم ويمنعكم منه. ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ قال الكلبي: هلاكًا[٤]. وقال مقاتل: يعني الهزيمة[٥]. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ قال: يعني: خير، وهو النصر[٦]. وقال الكلبي: هي العافية[٧]. هذا كله أمر للنبي ﷺ أن يخاطبهم بهذه الأشياء، ثم يخبر عنهم مؤكدًا لما سبق بقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني قريبًا ينفعهم ولا ناصرًا ينصرهم[٨].

---

(١) هو: الإمام العابد أبو يزيد الربيع بن خيثم الثوري الكوفي، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه، وكان يعد من عقلاء الرجال، روى عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما، وعنه روى الشعبي والنخعي ومنذر الثوري وغيرهم، توفي رحمه الله قبل سنة ٦٥هـ.

انظر: «الطبقات الكبرى» ٦/ ١٨٢، «حلية الأولياء» ٢/ ١٠٥، «السير» ٤/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٦٠، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي، وأورده القرطبي ١٤/ ١٥١، ولم ينسبه.

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) «تفسير مقاتل» ٨٩ ب.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٤٢٠.

(٨) «تفسير مقاتل» ٨٩ ب، ولم أقف على من نسبه لابن عباس.

١٨- قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ العوق والاعتياق والتعويق بمعنى، يقال: عاقه واعتاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، والتعويق: ترغيب الناس عن الخير، ورجل عوقة: يعوق الناس عن الخير. قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ، وذلك أنهم قالوا: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لألهتهم[(١)] أبو سفيان وحزبه، فخلوهم وتعالوا إلينا. وهذا قول ابن عباس وقتادة[(٢)]. [والقائلين في هذا القول هم المعوقون.

وقال مقاتل: (المعوقين) هم المنافقون، عبد الله بن أبي وأصحابه][(٣)] و(القائلين) هم اليهود، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين أيام الخندق فقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم أحدًا، وإنا نشفق عليكم؛ فإنكم إخواننا ونحن جيرانكم هلم إلينا، فأقبل المنافقون على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ يعني: المنافقين، ويعلم (القائلين لإخوانهم) يعني اليهود حين دعوا إخوانهم المنافقين: (هلم إلينا)[(٤)]. وذكرنا الكلام في (هلم) في سورة الأنعام[(٥)].

---

(١) هكذا في النسخ! والصحيح: لالتقمهم.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٨٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥١٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١٤/ ١٥١، وقد نسبه لمقاتل وقتادة وغيرهما، ولم أجد من نسبه لابن عباس.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، وكتب بالهامش.

(٤) «تفسير مقاتل» ٨٩ ب.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الآية: ١٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يحضرون القتال في سبيل الله، قاله ابن عباس وغيره[١]. (إلا قليلًا). قال الكلبي ومقاتل: إلا رياء وسمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا[٢]، وهذا كقوله في صفتهم أيضًا: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] .

وقال أبو إسحاق: (لا يأتون الحرب مع أصحاب النبي ﷺ إلا تعذيرًا يوهمونهم أنهم معهم).

١٩- قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ منصوب على الحال، المعنى: يأتون الحرب بخلا عليكم، قاله الزجاج[٣]. وأشحة: جمع شحيح، مثل دليل وأدلة، وعزيز وأعزة. قال الفراء: (ويجوز أن يكون حالًا من ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المعنى: يعوقون أشحة، وإن شئت من ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: وهم هكذا. قال: ويجوز أن يكون نصبًا على الذم كما ينصب على المدح، مثل قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ [الأحزاب: ٦١])[٤]. قال مجاهد وقتادة والكلبي: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالغنيمة والخير والمنفعة في سبيل الله[٥].

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٥١، وبه قال قتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٣٩، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٨٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ٩٠ أ، ولم أجد من نسبه للكلبي، ونسبه الماوردي للسدي ٤/ ٣٨٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٠.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٣٨ مع اختلاف في العبارة.

(٥) انظر: «الدر المنثور» ٦/ ٥٨١، وقال: أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، وابن أبي حاتم عن السدي، وابن أبي حاتم عن قتادة. وانظر: «تفسير مقاتل» ٩٠ أ، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٦، «ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢١.

قال ابن عباس: يريد بالنصر[1] والمعنى: لا ينصرونكم، ثم أخبر عن حالهم[2] عند الخوف، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ قال مقاتل: يعني القتال[3]. ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾. قال ابن عباس: يريد نظر المغشي عليه من الموت، يريد كما تدور عين الذي في السياق[4] هذا كلامه.

ولقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[5] تأويلان: **أحدهما**: أنهم يلوذون بك من الخوف فلا يرفعون بصرهم عنك، **والثاني**: أن معناه: بيان حالتهم عند الخوف، يقال: ينظرون إليك بالصفة التي ذكر تدور أعينهم، ليس معنى الدوران هاهنا الاضطراب والحركة؛ لأن عين الخائف لا توصف بذلك، وإنما توصف بالشخوص والحيرة، يؤكد هذا أنه شبه أعينهم بعين الذي يغشى عليه من الموت، وعينه تشخص فلا تطرف، ويقال للميت: دارت عينه ودارت حماليق عينه إذا شخص بصره فلم يطرف، وكذلك فعل الفزع الواجد ينظر إلى الشيء شاخص البصر لذهوله بالخوف.

قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يعني: كعين الذي يغشى عليه من الموت، وهو الذي قرب من حالة الخوف وغشيته أسباب الموت، يقال: غشي عليه فهو مغشي عليه، وهو الغشية، وكذلك غشية الموت، والذي يغشي عليه من الموت هو الذي يذهل ويذهب عقله[6].

---

(١) لم أجد من نسبه لابن عباس فيما لدى من مراجع.

(٢) في (أ): (حيهم)، وهو خطأ.

(٣) «تفسير مقاتل» ٩٠ أ.

(٤) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢.

(٥) في (أ) زيادة: (إليك بالصفة التي ذكر تدور أعينهم)، وهو خطأ.

(٦) انظر: «اللسان» ٧/ ٤٥ (شخص)، «الصحاح» ٣/ ١٠٤٢ (شخص).

وقوله: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ أي: زال وجاء الأمن والغنيمة. ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ قال الليث: (يقال: سلقته باللسان، أي: أسمعته فأكثرت، ولسان مسلق: حديد ذلق)[١]. قال أبو عبيدة: (ويقال: سلق، أي: رفع صوته، ومنه قوله ﷺ: «**ليس منَّا مَنْ حلق أو سلق**»[٢] أي: رفع صوته عند المصيبة، ومنه قيل: خطيب مسلق ومسلاق وسلاق.

قال الأعشى:

فيهم الحزم والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق[٣][٤]

ويروى: المسلاق. وقال الفراء: معناه: عصوكم وآذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذرية[٥].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٠٣، (سلق).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، باب: تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ١/ ١٠٠ عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا بريئ ممن حلق وسلق وخرق**» والإمام أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٩٦، وأبو داود في «سننه» كتاب: الجنائز، باب: في النوح ٣/ ١٩٤ كلهم عن أبي موسى.
قال في «المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود» ٨/ ٢٨٥: ومعنى قوله: «**ليس منا**» أي: ليس من أهل سنتنا وطريقتنا الكاملة، وقوله: «**من حلق**» أي حلق شعره عند المصيبة، «وسلق» بالسين المهملة، ويروى بالصاد المهملة، أي: رفع صوته بالبكاء، «وخرق» أي: شق ثوبه، وكان ذلك من صنيع أهل الجاهلية. أ هـ.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٥ مع اختلاف في العبارة.
وانظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٩٧.

(٤) البيت من الخفيف، وهو للأعشي في «ديوانه» ص٢٦٥، «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٠٢، «اللسان» ١٠/ ١٦٠ (سلق).

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٩. وانظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٠٣.

وقال المبرد[١]: يقال: سلق فلان بلسانه، إذا غلظ له في القول مجاهرًا، وخطيب سلاق إذا كان ماضيًا في خطبته معلنًا، ويقال للمرأة البدنة: قد سلقت، إذ رفعت صوتها، وأنشد قول الأعشى. قال أبو إسحاق: (معنى سلقوكم: خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها)[٢].

وقال ابن قتيبة مثل قول الفراء، ثم قال: وأصل السلق الضرب[٣].

قال ابن عباس: أي: استقبلوكم بالأذى[٤].

وقال ابن زيد: كلموكم بألسنة ذرية، أي: آذوكم بالكلام[٥].

وقال قتادة: يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق فيها منا، فأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ قوم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق، وهذا قول المفسرين[٦].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد يتناولونكم بألسنة حداد، يريد ينعون فيكم وينتقصونكم ويغتابونكم[٧]. فعلى القول الأول سلقهم[٨]

---

(١) لم أقف على قول المبرد. وانظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٥٣، «زاد المسير» ٦/ ٣٦٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢١.

(٣) «تفسير غريب القرآن» ص٣٤٩.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٨١، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤١.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢٢ عن قتادة، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٦.

(٧) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢، «تفسير البغوي» ٣/ ٥١٨.

(٨) في (أ): (سلقتم)، وهو خطأ.

خصومتهم ورفعهم الصوت في طلب الغنيمة. وعلى القول الثاني: سلقهم تنقصهم وبسطهم[١] اللسان بالغيبة.

وقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة، هذا قول المفسرين.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يريد على المال، لا ينفقون في سبيل الله[٢]. وانتصب (أشحة) على الحال من قوله: سلقوكم، أي: خاطبوكم، وهم أشحة على المال والغنيمة. ثم أخبر أنهم غير مؤمنين وإن أظهروا كلمة الإيمان.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾. قال أبو إسحاق: (أي: هم وإن أظهروا كلمة الإيمان ونافقوا فليسوا بمؤمنين)[٣]. وقال مقاتل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ أي: لم يصدقوا بتوحيد الله[٤]. ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. قال مقاتل: أبطل الله جهادهم؛ لأن أعمالهم الحسنة وجهادهم لم يكن في إيمان[٥].

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: إحباط أعمالهم.﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد سهلًا أن يحبط أعمالهم ويعذبهم على النفاق[٦].

٢٠- ثم أخبر بما دل عليه جبنهم بقوله: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾

---

(١) في (أ): (بسطتهم).

(٢) ذكر هذا القول الماوردي ٤/ ٣٨٦ ونسبه للسدي، والقرطبي ١٤/ ١٥٤ ونسبه للسدي كذلك، وانظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢١.

(٤) «تفسير مقاتل» ٩٠ أ.

(٥) المرجع السابق.

(٦) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢.

الأحزاب: الجماعات، واحدها حزب، وهم كل طائفة هواهم واحد، فالمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب، وإن لم يلق بعضهم بعضًا بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب، وتحزب القوم: إذا تجمعوا فصاروا أحزابًا، وحزب فلان أحزابًا، أي: جمعهم.

قال ابن عباس: يقول بحسب هؤلاء المنافقين أن الأحزاب[1] معسكرون مقيمون[2].

وقال مقاتل: من الخوف والرعب الذي نزل بهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا إلى مكة[3]. قال أبو إسحاق: (أي: يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، لجبنهم وخوفهم منهم)[4].

وقوله ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ يقول: وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال.

﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يتمنى المنافقون لو كانوا في البادية[5].

وقال الكلبي: يقول: خارجون في الأعراب من الرهبة[6]. والبادون خلاف الحاضرين، ويقال: بدا يبدو إذا خرج إلى البادية، وهي البَداوة

---

(١) في (ب): (الآخرة)، وهو خطأ.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٩ / ٣١٢٢ نحوه عن مجاهد قال: يحسبونهم قريبًا لم يبعدوا.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٧٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢١.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس.
وانظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٦١، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٥٤.

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: المصدرين السابقين.

والبداوة، ويقال للقوم البادين: بادية، وللموضع الذي بدوا إليه: بادية، وأصل هذا من البدو الذي هو الظهور والبروز، ومعنى الآية: ودوا أنهم خارجون إلى البدو في جملة الأعراب خوفًا من الأحزاب.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾. الأظهر أن قوله: (يسألون) صفة للنكرة التي هي بادون بتقدير: بادون سائلون عن أنبائكم أي: ودوا أنهم بالبعد منكم وهم يسألون عن أخباركم يقولون: ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالهم[١] وما أنتم فيه بالاستخبار لا بالمشاهدة، وهذا معنى قول المفسرين[٢].

وقال الكلبي: يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة، فزعًا وفرقًا من القتال[٣]. وعلى هذا القول (يسألون) ابتداء كلام وخبر عنهم، والمعنى: أنهم لجبنهم أبدًا يسألون عن أخبار المؤمنين هل قصدهم عدو وأضلتهم حرب، وذلك أنهم يحتاجون أن يشاهدوا معهم القتال، وإن كرهوا ذلك فلذلك يكثر سؤالهم عن حالهم حتى إن لم يقصدهم عدو ولم يعرض لهم حرب فرحوا، هذا معنى ما ذكره الكلبي. ويجوز أن يكون سؤالهم عن أنبائهم؛ لأنهم يتربصون بهم الدوائر فيهم[٤] أبدًا يفحصون عن حالهم شماتة بهم إذا أصابتهم نكاية أو عرض لهم عارض شر، والصحيح ما ذكرنا أولًا، وهو أن قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ متصل بما قبله؛ لقوله: ﴿وَلَوْ

---

(١) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: حالكم. حتى يستقيم السياق.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤٢، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٧، «القرطبي» ١٤/ ١٥٥.

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي.
وانظر: «القرطبي» ١٤/ ١٥٥.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: فهم.

﴿كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهذا يدل على أن الكلام متصل.

قال الكلبي: ﴿إِلَّا قَلِيـلًا﴾ رميًا بالحجارة(١). ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا.

وقال مقاتل: يعني ما قاتلوا إلا رياء وسمعة من غير خشية(٢).

٢١- ثم عاتب من تخلف بالمدينة عن رسول الله ﷺ بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قال المفسرون(٣): قدوة صالحة. يقال: فلان أسوتك في هذا الأمر أي: مثلك(٤)، وفلان يأتسي فلان(٥) أي: يرضى لنفسه ما رضي، ويقتدي به وكان في مثل حاله، والقوم أسوة في هذا الأمر أي: حالتهم(٦) فيه واحدة.

قال الليث: والتأسي في(٧) الأمور من الأسوة(٨). وفيها لغتان: أسوة وإسوة، ويقال: لي في فلان أسوة أي: لي به اقتداء، والأسوة من الاتساء كالقدوة من الاقتداء، اسم يوضع موضع المصدر .

قال ابن عباس: يريد يقتدون به حيث خرج بنفسه(٩).

ومعنى الآية على ما ذكره أهل التفسير: أن الله يقول: كان لكم رسول

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٦٧، ونسبه لابن السائب.

(٢) «تفسير مقاتل» ٩٠ أ.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩١ أ، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤٣.

(٤) في (أ) زيادة: (أي [حللتم فيه] مثلك)، وهو خطأ.

(٥) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: يأتسي بفلان.

(٦) في (ب): (حاللتم).

(٧) في (ب): (من).

(٨) «تهذيب اللغة» ١٣/ ١٤٠ (أسى).

(٩) لم أجد من نسب هذا القول لابن عباس.

الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته ومؤازرته، والشد على يده بالصبر معه في مواطن القتال، كما فعل هو بيوم أحد، إذ كسرت رباعيته وشج فوق حاجبه، وقتل عمه، وأوذي بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلا فعلتم مثل ما فعل واستننتم بسنته[١].

قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾. قال الفراء: خص الله بها المؤمنين[٢]. يعني قوله بمن[٣] بدل من قوله لكم، وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين بالأسوة.

قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم[٤]. ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: ذكرًا كثيرًا باللسان[٥]، وذلك أن ذاكر الله هو الذي يأتمر لأوامره بخلاف الغافل عن ذكر الله.

٢٢- ثم ذكر المؤمنين ووصف حالهم بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه.﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قال قتادة ومقاتل: كان الله وعدهم في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. فأخبرهم بما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم، فلما رأوا يوم الأحزاب ما

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩١ أ، وذكر السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ٤٤ قريبًا من هذا المعنى.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٩.

(٣) في (ب): (ممن)، وكلاهما لا يتضح به الكلام، وإنما هي كما جاءت في القرآن: لمن.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥١٩، «زاد المسير» ٦/ ٣٦٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٨.

(٥) في (أ): (ذكر)، أسقط الألف، وهو خطأ.

أصابهم من الشدة والبلاء قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ وتصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمره[1]. ومعنى التسليم هاهنا أن يسلم الأمر لمالكه من غير إعراض فيه، وهو أن يدعه له سالمًا لا يدعي لنفسه فيه شيئًا، ولعل هذا فيما سبق البيان فيه.

قال أبو إسحاق في هذه الآية: وصف الله تعالى حال المنافقين في حرب الكافرين وحال المؤمنين، وصف المنافقين بالفشل والجبن والروغان والمسارعة إلى الفتنة، ووصف المؤمنين بالثبوت عند الخوف[2]. والتصديق بما وعد الله ورسوله من النصر عند شدة الأمر، وذلك أنهم لما[3] زلزلوا زلزالًا شديدًا أعلموا أن النصر وجب له[4]؛ لأن الله كان قد أنزل عليهم في الآية التي وصف بها ما أصاب أصحاب الأنبياء قبلهم من الشدة قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. هذا معنى ما ذكره وبعض لفظه.

قال الفراء: كان النبي ﷺ أخبر أصحابه بمسير الأحزاب إليهم فذلك قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ أي ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا، قال: ولو كان ما زادوهم إلا إيمانًا يريد الأحزاب كان جائزًا كما قال في سورة أخرى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧] ولو كانت ما زادكم إلا خبالا كان[5] صوابًا، يريد ما آذاكم خروجهم، وهذا من

---

(١) «تفسير مقاتل» ٩٠ ب، وذكره الماوردي ٤/ ٣٨٨، والطبري ٢١/ ١٤٤ عن قتادة، وزاد الطبري نسبة هذا القول لابن عباس.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٢.

(٣) في (ب): (كما).

(٤) هكذا في جميع النسخ! ولعل الصواب: لهم.

(٥) في (ب): (لكان)، وهو خطأ.

سعة العربية[١].

وهذا الذي ذكره الفراء هو قول الكلبي، قال: إن النبي ﷺ قال لأصحابه: إن الأحزاب قد خرجوا إليكم وهم سائرون إليكم تسعًا تسعًا أو عشرًا، فلما رأوهم قد قدموا للميعاد قال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ للميعاد وذلك لعدة الأيام التي قال لهم[٢].

وقال المبرد[٣]: وفي قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ أي ما زادهم رؤيتهم إلا إيمانًا لدلالة الفعل عليه، وهو قول أي المؤمنين ومثله كثير: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] أي البخل، يكنى عن المصدر لدلالة الفعل عليه.

٢٣- قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قال مقاتل: المعنى ليلة العقبة[٤]. قال أبو إسحاق: موضع (ما) نصب بصدقوا كما تقول صدقتك الحديث، والمعنى: عاهدوا على الإسلام فأقاموا على عهدهم[٥] بخلاف من كذب في عهده، وخان الرسول بقلبه وهم المنافقون. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ النَّحْب في اللغة هو: النذر[٦]، والنحب: الموت،

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٠ مع اختلاف في العبارة.

(٢) لم أجد من نسب هذا القول للكلبي، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٧/ ٢١٦، ونسبه لابن عباس، وكذلك هو في «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩أ ب.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٢.

(٦) في النسخ: (البدر)، وهو خطأ، إذ الصحيح النذر، فليس من معاني نَحْب بدر كما ذكر أهل اللغة.

والنحب: الخطر العظيم، قال جرير[١]:

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا   عشية بسطام جرين على نحب

أي: على خطر عظيم، ويقال: سافر فلان على نحب أي: سار واجتهد في السير، ومنه يقال[٢]: نحب القوم إذا جدوا في عملهم، وسار سيرًا منحبًا قاصدًا لا يريد غيره، كأنه جعل ذلك نذرًا على نفسه لا يريد غيره، قال الكميت:

يحدن لها عرض الفلاة وطولها   كما سار عن يمنى يديه المنحب[٣]

أي يقول: إن لم أبلغ مكان كذا فلك يميني، وقال لبيد:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول   أنحب فيقضي أم ضلال وباطل[٤]

يقول: عليه نذر في طول سيره، هذا كلام الأزهري في تفسير النحب[٥].

وقال الفراء: قضى نحبه أي أجله[٦]. ونحو ذلك قال الزجاج[٧].

---

(١) في النسخ: (حرب) وهو خطأ، والصواب جرير، كما في «ديوانه» ص٦٣٢، «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٥، «اللسان» ١/ ٧٥٠ (نحب)، «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٥.

(٢) في (ب): (قول).

(٣) البيت من الطويل، وهو للكميت بن زيد في «ديوانه» ١/ ٩٦، «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٦، «اللسان» ١/ ٧٥١، «تاج العروس» ٤/ ٢٤٥. ومعنى البيت كما فسره ثعلب كما في «تاج العروس» ٤/ ٢٤٥: هذا الرجل حلف إن لم أغلب قطعت يدي، كأنه ذهب به إلى معنى النذر- يعني النحب.

(٤) البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة في «ديوانه» ص٢٥٤، «خزانة الأدب» ٢/ ٢٥٢- ٢٥٣، ٦/ ١٤٥، «الكتاب» ٢/ ٤١٧، «اللسان» ١/ ٧٥١ (نحب).

(٥) «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٥ (نحب) مع اختلاف يسير في العبارة.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٠.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٢.

وقال أبو عبيدة: قضى نحبه أي مات، والنحب النفس، وأنشد قول ذي الرمة:

عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر[(١)(٢)]

قال المفسرون: هذا في حمزة وأصحابه الذين قتلوا بأحد[(٣)]. قال ابن عباس: ممن قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه، وأنس بن النضر[(٤)] وأصحابه.

روى حميد عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، وشق عليه لما قدم، وقال [غبت][(٥)] عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، والله لئن أشهدني قتالا ليرين ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء ومشى بسيفه فقاتل حتى قتل.

قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة، فما عرفناه

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٥.

(٢) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في «ديوانه» ٢/ ٦٤٧، «خزانة الأدب» ٤/ ٣٧١، «لسان العرب» ٥/ ٢٤٨ (هبر)، وأراد بهوبر ابن هوبر، وهو رجل.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٠ ب، البغوي ٣/ ٥١٩، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٩.

(٤) هو: أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن النجار الخزرجي الأنصاري، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، غاب عن قتال بدر فأقسم إن شهد قتالًا لا يفر منه فحضر أحدًا، فلما انهزم المسلمون قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، فقاتل حتى قتل شهيدًا ﷺ.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ١/ ٤٣، «الإصابة» ١/ ٨٦، «أسد الغابة» ١/ ١٣١.

(٥) طمس في كل النسخ، والتصحيح من «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩١ ب.

حتى عرفته أخته بثناياه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟﴾. قال: وكنا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه(١).

وقال مقاتل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني: أجله مات أو قتل على الوفاء، يعني حمزة وأصحابه(٢).

وقال الليث: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ قتلوا في سبيل الله فأدركوا ما تمنوا فذلك قضاء النحب(٣).

وقال محمد بن إسحاق: فرغ من عمله ورجع إلى ربه يعني: من استشهد يوم أحد(٤).

وقال الحسن: قضى أجله على الوفاء والصدق(٥).

وقال مجاهد: قضى عهده بقتل أو بصدق في لقائه(٦).

وروى عكرمة عن ابن عباس: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قال: الموت(٧).

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩١ ب، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤٧. وأخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ ٤/ ١٧٩٥ رقم ٤٥٠٥، والترمذي في التفسير، سورة الأحزاب ٥/ ٢٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «تفسير مقاتل» ٩٠ ب.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٥ (نحب)، وذكره صاحب «تاج العروس» ٤/ ٢٤٣ غير منسوب لأحد.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤٥، «تهذيب اللغة» ٥/ ١١٦ (نحب)، و«اللسان» ١/ ٧٥٠ (نحب).

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٤٩.

(٦) انظر: «الطبري» ٢١/ ١٤٦، «البحر المحيط» ٧/ ٢١٧، «تفسير مجاهد» ص٥١٧.

(٧) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٨٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٣٨.

وقال المبرد: النحب في كلامهم الخطر الذي يخطر به، فيقال على ذلك للذي عزم عزمًا فمضى عليه حتى مات قضى نحبه أي: أخطر به[١].

وقال ابن قتيبة: قضى نحبه أي قتل، وأصل النحب النذر، كان قومًا نذروا أن يلقوا[٢] العدو وأن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله، فقتلوا فقيل: فلان قضى نحبه إذا قتل[٣].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أجله على الوفاء. قال مجاهد: ينتظر يومًا في جهاد فيقضى عهده فيقتل[٤]. وقال مقاتل: من المؤمنين من ينتظر أجله بالوفاء بالعهد[٥].

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ﴿تَبْدِيلًا﴾ كما بدل المنافقون، والمعنى: ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون.

٢٤- قوله: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ فهذه اللام تتعلق بما فيها قبل من فعل المنافقين والمؤمنين عند رؤية الأحزاب، كأنه قيل: صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم ويعذب المنافقين بنقض العهد إن شاء.

قال السدي: يمتهم على نفاقهم إن شاء فيوجب لهم العذاب أو يتوب عليهم، أي: وأن ينقلهم من النفاق إلى الإيمان[٦].

---

(١) لم أقف عليه. وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٤١١.

(٢) هكذا في النسخ، وفي «تفسير غريب القرآن»: إن لقوا، وهو المناسب للسياق.

(٣) «تفسير غريب للقرآن» ص٣٤٩.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٠، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٤٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٠ ب.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٠، «الوسيط» ٣/ ٤٦٦.

وقال قتادة: يعذبهم إن شاء لا يخرجهم من النفاق إلى الإيمان[١].

فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين إماتتهم على النفاق إن شاء ثم يعذبهم أو يتوب عليهم [ليس أنه][٢] فيغفر لهم، ليس أنه يجوز أن لا يشاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق.

وقال بعضهم: الله تعالى إذا عذب عذب بمشيئته[٣]، وإذا عفا عفا بمشيئته، ليس لأحد عليه حكم ولا يجب عليه أن يعاقب الكفار ولا أن يرحم المؤمنين بخلاف ما زعمت القدرية، لكنه إذا وعد لم يخلف الميعاد، فعلى قوله: (إن شاء) بيان أنه يعذب بمشيئته لا بأن ذلك واجب عليه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قال ابن عباس: غفورًا لمن تاب رحيمًا به[٤].

٢٥- وقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: صدهم ومنعهم عن المسلمين وعن الظفر بهم، يعني الأحزاب بغيظهم، أي لم يشف صدورهم بنيل المراد وردهم فيهم غيظهم على المسلمين، والباء في (بغيظهم) بمعنى مع كما يقال: خرج بثيابه وركب الأمير بسلاحه.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ قال ابن عباس: يريد ما كانوا يؤمنون[٥] من الظفر والمال[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/١٤٨، «الدر المنثور» ٦/٥٨٩.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

(٣) في (ب): (لمشيئته).

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» ص ٣٥٢.

(٥) هكذا في النسخ! ولعل الأصوب: يؤملون.

(٦) لم أقف عليه.

قال أبو إسحاق: أي لم يظفروا بالمسلمين، وذلك عندهم خير فخوطبوا على استعمالهم[١].

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة التي أرسلت إليهم[٢] عليهم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ في ملكه. ﴿عَزِيزًا﴾ في قدرته. قاله ابن عباس[٣].

ثم ذكر ما ليهود[٤] بني قريظة بقوله:

٢٦- ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: وازروا الأحزاب وأعانوهم على رسول الله ﷺ، يعني قريظة، وذلك أنهم نقضوا العهد، وصاروا يدًا واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ والمؤمنين، فلما هزم الله المشركين بالريح والملائكة أمر رسول الله بالمسير إلى قريظة فسار إليهم وحاصرهم عشرين ليلة ثم نزلوا[٥] على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد أن يقتل مقاتليهم ويسبى ذراريهم[٦]، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾. قال ابن عباس وعكرمة ومقاتل: من حصونهم[٧].

وقال مجاهد: من قصورهم[٨].

---

(١) لم أقف عليه عن أبي إسحاق، وقد ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٥٠، ولم ينسبه لأحد.

(٢) هكذا في النسخ! والظاهر أن «إليهم» زائدة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ب): (باليهود).

(٥) في (ب): (ثم حاصروهم)، وهو خطأ.

(٦) ذكره الطبري ٢١/ ١٥١، و الماوردي ٤/ ٣٩٢.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥١، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٤، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٥/ ٣٤٠، «تفسير مقاتل» ٩٠ ب.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥٠، «الدر المنثور» ٦/ ٥٩١، وقال: أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

قال أبو إسحاق: معنى (الصياصي) كل ما يمتنع به، و(الصياصي) هاهنا الحصون وقيل: القصور؛ لأنه يتحصن فيها والصياصي قرون البقر والظباء، وكل قرن صيصة؛ لأن ذوات القرون تتحصن بقرونها وتمتنع بها، وصيصة الديك شوكته؛ لأنه يتحصن بها أيضًا[(١)].

وقال أبو عبيدة: الصيصة القرون[(٢)]، وأنشد:

وسادة قومي حتى بقيت فريدًا كصيصة الأعصب[(٣)].

ثم تسمى شوكة الديك وشوكة الحائك: صيصة؛ تشبيهًا بالقرن، ومنه قول دريد[(٤)]:

كوقع الصياصي في النسيج الممد[(٥)]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٣.

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦.

(٣) لم أقف على تمام البيت وقائله، وهكذا ورد في النسخ، والذي يظهر لي والله أعلم أنه خطأ، فقد بحثت وكررت البحث حسب طاقتي وجهدي فلم أقف على هذا الشعر، والله أعلم.

(٤) هو: دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية بن جداعة، فارس مشهور، شاعر جاهلي، كان سيد قومه وفارسهم وقائدهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل في حنين سنة ٨هـ.

انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٠٦، «تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ١٨٥، «معجم الشعراء» ص١١٤.

(٥) عجز بيت وصدره:

فجئت إليه والرماح تنوشه

وهو من الطويل لدريد بن الصمة في «ديوانه» ص٦٣، «تهذيب اللغة» ١٢/ ٢٦٦، (صيص)، «لسان العرب» ٦/ ٣٦١ (نوش)، ٧/ ٥٢ (صيص)، ١٠/ ١٩٣ (شيق)، ١٤/ ٤٧٣ (صيا)، كتاب «العين» ٧/ ١٧٦.

ثم يسمى كل ما يمنع به حصن وقصر صيصة لامتناع ذوات القرون بقرونها[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾. قال ابن عباس: ألقى في قلوبهم الخوف[(٢)]. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني: المقاتلة. قال مقاتل: منهم أربعمائة وخمسون رجلًا. ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وتسبون طائفة يعني الذراري. قال مقاتل: سبعمائة وخمسين[(٣)].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾. قال المفسرون: عقارهم ونخلهم ومنازلهم وأموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء. قال: فجعل النبي ﷺ أرضهم وديارهم للمهاجرين؛ لأنهم لم يكونوا ذوي عقار[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾. قال الكلبي: لم تملوكها، والمعنى لم تطئوها بعد بأقدامكم، وهي مما سيفتحها الله عليكم[(٥)].

قال مقاتل والكلبي وابن زيد: يعني خيبر فتحها الله عليهم بعد[(٦)] بني قريظة[(٧)]. واختار الفراء هذا القول وقال: عني خيبر، ولم يكونوا نالوها

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٢٦٦، «اللسان» ٧/ ٥٢، «التاج» ١٨/ ٢٧.

(٢) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٢، مع اختلاف في العبارة.

(٣) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥٠، «الدر المنثور» ٦/ ٥٩١، وقال: أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) ذكر هذا القول أكثر المفسرين، ولم أجد من نسبه للكلبي.
انظر: «الطبري» ٢١/ ١٥٠ وما بعدها، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٥.

(٦) في (ب): (يعني).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩١ أ، «الطبري» ٢١/ ١٥٥، «الماوردي» ٤/ ٣٩٣.

فوعدهم الله إياها[١].

وقال قتادة: مكة[٢]. وقال الحسن: هي الروم وفارس[٣].

وقال عكرمة: كل أرض لم يظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة[٤].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العفو والانتقام (قديرًا). وقال مقاتل: من القرى يفتحها[٥] على المسلمين[٦].

٢٨- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾[٧].

قال المفسرون: إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئًا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهم على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهرًا. وأنزل الله آية التخيير، وهو قوله: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وكن يومئذ تسعًا: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة[٨]، وأم سلمة[٩]،

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤١.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٣، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٥.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٣، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥٥.

(٤) انظر: «الماوردي» ٤/ ٣٩٣، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٥.

(٥) في (ب): (وفتحها).

(٦) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٧) قوله: (وزينتها فتعالين أمتعكن) ساقط من (أ).

(٨) هي: أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية، وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة، وكان ذلك في رمضان سنة ١٠ من البعثة، وهبت يومها لعائشة بعدما كبرت، توفيت رضي الله عنها في آخر خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ٤/ ٣١٧، «الإصابة» ٤/ ٣٣٠، «أسد الغابة» ٥/ ٤٨٤.

(٩) هي: أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم سلمة زوج =

وهؤلاء من قريش، وصفية الخيبرية[١]، وميمونة الهلالية[٢]، وزينب بنت جحش الأسدية[٣]، وجويرية بنت الحارث[٤]

= النبي ﷺ، وهي ممن أسلمت قديمًا وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا رضي الله عنهن جميعًا، ماتت سنة ٦١هـ، وقيل ٦٢هـ.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٠٥، «الإصابة» ٤/ ٤٠٧، «أسد الغابة» ٥/ ٥٦٠.

(١) هي: أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، تزوجها قبل إسلامها سلام بن أبي الحقيق، ثم أخوه كنانة، فقتل عنها يوم خيبر وسبيت وصارت في سهم دحية الكلبي، ثم أخذها النبي ﷺ وعوضه عنها، ثم إن النبي ﷺ تزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين رضي الله عنها، توفيت سنة ٣٦هـ، وقيل٥٠ هـ بالمدينة.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٩١، «الإصابة» ٤/ ٣٩٧، «أسد الغابة» ٥/ ٥٥٠.

(٢) هي: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن صعصعة الهلالي، زوج النبي ﷺ وخالة خالد بن الوليد وابن عباس، تزوجها أولًا مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام ففارقها وتزوجها أبو رهم بن عبد العزى فمات، فتزوجها النبي ﷺ حينما فرغ من عمرة القضاء سنة ٧هـ وهي من سادات النساء، ماتت رضي الله عنها سنة ٦١هـ في خلافة يزيد ولها ٨٠ سنة، وقيل ماتت سنة ٥١هـ.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ٤/ ٣٠٦، «الإصابة» ٤/ ٣٠٧، «أسد الغابة» ٥/ ٤٦٣.

(٣) هي: أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب، ابنة عمة النبي ﷺ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ابن هاشم، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ فطلقها ثم تزوجها النبي ﷺ، زوجها إياه ربه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وكانت من سادة النساء دينًا وورعًا وجودًا ومعروفًا، ماتت رضي الله عنها سنة ٢٠هـ، وصلى عليها عمر.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٢٥١، «الإصابة» ٤/ ٢٥٧، «أسد الغابة» ٥/ ٤١٩.

(٤) هي: أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية سبيت يوم غزوة المريسيع سنة ٥ هجرية وكانت من أجمل النساء وأسلمت وتزوجها النبي ﷺ وأطلق الأسارى من قومها، وكان أبوها سيدًا مطاعًا في قومه، وقد قدم على =

المصطلقية[١].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يعني متعة الطلاق، وقد ذكرنا أحكامها في سورة البقرة[٢]. ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ قال ابن عباس: يريد الطلاق[٣].

﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ قال مقاتل: يعني حسنًا في غير ضرار[٤]، وهذا كقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقد مر. والتسريح صريح في الطلاق، وصريح الطلاق عند الشافعي ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وسائر الألفاظ كنايات، وهي غير محصورة[٥].

والسراح اسم من التسريح يقام مقام المصدر كما يقال: أدى أداء.

٢٩- قال الحسن وقتادة: أمر الله رسوله أن يخير الرسول[٦] أزواجه بين الدنيا والآخرة والجنة والنار، فأنزل قوله[٧]: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾،

= النبي ﷺ فأسلم، توفيت رضي الله عنها سنة ٥٠ هجرية.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٢٠١، «الإصابة» ٤/ ٢٥٧، «أسد الغابة» ٥/ ٤١٩.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٥ أ، «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٥.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٢٣٦].

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» ص ٣٥٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٥) انظر: «الأم» للشافعي ٥/ ٢٤٠، «المغنى» ١٠/ ٣٥٥.

(٦) في جميع النسخ: (أن يخير الله)، وهو خطأ.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ١٥٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٩٦، وزاد نسبته لابن المنذر.

وقوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعني الجنة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١] أي اللائي آثرن منكن الآخرة أجرًا عظيمًا. قال مقاتل: يعني الجنة[٢].

قال المفسرون: فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم فعلت سائر أزواجه مثل ما فعلت عائشة وقلن: ما لنا وللدنيا، إنما خلقت الدنيا دار فناء والآخرة هي الباقية، والباقية أحب إلينا من الفانية[٣]. فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فأنزل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية، فقصره الله عليهن ورفع منزلتهن على سائر النساء بالتميز عنهن في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة، وهو قوله[٤]:

٣٠- ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾. قال مقاتل: يعني العصيان البين[٥]. وقال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق[٦]. ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قال مقاتل: يضاعف لها العذاب في الآخرة[٧].

---

(١) في جميع النسخ: (المحصنات)، وهو خطأ.

(٢) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، باب ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤/ ١٧٩٦ رقم ٤٥٠٧، ومسلم في «صحيحه» كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بنية ٢/ ١١٠٣ رقم (١٤٧٥)، و الطبري ٢١/ ١٥٧، و ابن كثير ٣/ ٤٨٠.

(٤) في (ب) زيادة: (وهو قوله: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء).

(٥) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٧، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٩، «البغوي» ٣/ ٥٢٧.

(٧) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

وقال أبو عبيدة في «تفسيره» تضعيف العذاب: يجعل الواحد ثلاثة أي: يعذب ثلاثة أعذبة. قال: وكان عليها أن تعذب مرة فإذا ضوعف ضعفين صار العذاب ثلاثة أعذبة؛ لأن ضعف الشيء مثله وضعفيه مثلًا واحده[1].

قال الزجاج: وليس هذا بشيء؛ لأن معنى يضاعف يجعل عذاب جرمها كعذاب جرمين. الدليل عليه قوله: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾، فلا يكون أن تعطى على الطاعة أجرين وعلى المعصية ثلاث أعذبة[2].

وقال الأزهري: الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وما يتعارفونه في خطابهم، وقد قال الشافعي ما يقارب قوله في رجل أوصى فقال: أعطوا فلانًا ضعف ما يصيب ولدي. قال: يعطى مثله مرتين، ولو قال ضعفي ما يصيب ولدي نظرت فإن أصابه مائة أعطيته ثلاثمائة.

قال: وقد قال الفراء[3] شبيها بقولهما في قول الله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] قال الأزهري: والوصايا يستعمل العرف[4] الذي يتعارفه المخاطب والمخاطب، وما يسبق إلى الأفهام فيما يذهب الوهم إليه، فأما كلام الله ﷻ فهو عربي مبين، ويرد تفسيره إلى موضع كلام العرب، ولا يستعمل فيه العرف إذا خالف اللغة، والضعف في

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦ مع اختلاف في العبارة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٦.

(٣) في جميع النسخ: (القراة)، والصحيح: الفراء، كما في «تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٠.

(٤) في النسخ: (العرب) والصواب: العرف، كما في «تهذيب اللغة»، وهنا سقط حرف ولذلك فالكلام موهم، وهو في «تهذيب اللغة»: يستعمل فيها العرف.

كلام العرب: المثل ما زاد[(١)] وليس مقصورًا على مثلين فيكون ما قاله[(٢)] صوابًا، يقال: هذا ضعف هذا أي مثله، وهذا ضعفاه أي مثلاه وثلاثة أمثاله؛ لأن الضعف في الأصل ثلاثة[(٣)] غير محصورة، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ [سبأ: ٣٧] ولم يرد به مثلا ولا مثلين، ولكنه أراد بالضعف الأضعاف، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله؛ لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأقل الضعف محصور، وهو المثل وأكثره غير محصور وأما قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فإن سياق الآية التي بعدها دل على أن المراد من قوله ضعفين مثلين ألا تراه يقول بعد ذكر العذاب: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ فإذا جعل الله لأمهات المؤمنين من الأجر مثلي ما لغيرهن تفضيلًا لهن على سائر نساء الأمة، فكذلك إذا أتت إحداهن بفاحشة عذبت مثلي ما يعذب غيرها، ولا يجوز أن تعطى على الطاعة أجرين، وتعذب على المعصية ثلاثة أعذبة، وإذا قال الرجل لصاحبه: إن أعطيتني درهما كافأتك بضعفين فمعناه بدرهمين[(٤)]، ونحو هذا قال ابن قتيبة في الإنكار على أبي عبيدة[(٥)].

وقال أبو علي الفارسي: (معنى ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ زيد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾

---

(١) في «تهذيب اللغة»: المثل إلى ما زاد، سقطت كلمة (إلى)، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٠.

(٢) المقصود به أبو عبيدة، كذا قال الأزهري.

(٣) في «تهذيب اللغة» (زيادة) بدل ثلاثة.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٠ (ضعف)، مع اختلاف في العبارة واختصار.

(٥) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٠.

فكما ضوعف الأجر، كذلك ضوعف العقوبة والعذاب. ووجه تضعيف العذاب لهن على الفاحشة هو أنهن لما شاهدن من الزواجر وما يروع الذنوب ينبغي أن يمتنعن منها أكثر مما يمتنع مما لا يشاهد ذلك ولا يحضره، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب، والضمير في قوله: ﴿لَهَا﴾ يعود على معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظ من الذكر[١])[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يقول: كان عذابها على الله هينا. وقال الربيع بن أنس: في هذه الآية أن الحجة على الأنبياء أشد منها على الأتباع في الخطيئة، وأن الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم، وأن الحجة على نساء النبي ﷺ أشد منها على غيرهن[٣].

٣١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ قال ابن عباس: يعني الذين كانوا فيه من طاعة الله[٤]. ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ قال ابن عباس: [ولم][٥] يختلف القراء في يأت ويقنت أنهما بالياء، واختلفوا في (تعمل صالحًا) فقرأ حمزة والكسائي بالياء وكذلك نؤتها، وقرأ الباقون بالتاء، نؤتها بالنون، فمن قرأ بالياء فلأن الفعل مسند إلى (من) ولفظ مذكر، ومن قرأ بالتاء حمل على المعنى وترك اللفظ فأنث، ومما يقوي الحمل على المعنى تأنيث الضمير في قوله: (نؤتها) وكان ينبغي على هذا القياس أن يحمل هذه الأفعال على التأنيث ويجعل الكلام على المعنى[٦].

---

(١) الألف زائدة فالكلام في «الحجة»: على لفظ من الذكر، وهو الصواب.

(٢) «الحجة» ٥/ ٤٧٣.

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٢٩.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٦) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٧٤، «الكشف عن وجوه القراءات السبع..» ٢/ ١٩٦.

وقوله: ﴿نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ قال ابن عباس والكلبي: ضعفين في الآخرة[١]. قال مقاتل: مكان كل حسنة يثيب عشرين حسنة[٢]. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ قالوا: حسنًا وهو في الجنة، ثم رفع منزلتهن وأظهر فضيلتهن على سائر النسوان.

٣٢- وقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ قال أبو عبيدة: (أحد) يقع على الأنثى والذكر وعلى ما ليس من الآدميين، يقال: ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير[٣].

وقال أبو إسحاق: لم يقل كواحدة من النساء؛ لأن أحدًا نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة[٤]. قال الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

قال قتادة: لستن كأحد من نساء هذه الأمة[٥].

قال عطاء عن ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر الصالحات من النساء، أنتن أكرم علي وأنا[٦] بكم أرحم، وثوابكن أعظم من ثواب جميع الخلائق[٧] لأنكن أزواج حبيبي ﷺ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ يريد إن خفتن الله، وشرط عليهن التقوى في كونهن أفضل النساء بيانًا أن فضلهن

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص ٣٥٣.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩١ ب.
(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٧.
(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٤.
(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٦، «الطبري» ٢٢/ ٢، «الماوردي» ٤/ ٣٩٨.
(٦) في (ب): (فأنا).
(٧) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٦٩، «البغوي» ٣/ ٥٢٧، «زاد المسير» ٦/ ٣٧٨.

عند الله إنما يكون بالتقوى لا باتصال أنسابهن بالنبي ﷺ كي لا يعتمدن على ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ قال ابن عباس: يريد لا تلن الكلام لغير رسول الله[١]. وقال السدي: لا ترققن القول[٢]. ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ قال ابن عباس والسدي: يريد زنا[٣].

وقال مقاتل: يعني:[٤] الفجور في أمر الزنا[٥]. وقال قتادة: نفاق[٦].

والمعنى: لا تقلن قولًا يجد منافق أو فاجر به سبيلا إلى أن يطمع في موافقتكن له، ولهذا قال أصحابنا: المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة؛ لأن ذلك أبعد من الطمع في الزينة، وكذلك إذا خاطبت محرمًا عليها بالمصاهرة.ألا ترى أن الله تعالى أوصى أمهات المؤمنين وهن محرمات على التأبيد بهذه الوصية.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال ابن عباس: يكلمن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٧]. وقال الكلبي: صحيحًا جميلًا لا يطمع فاجر[٨].

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٥٣، «البحر المحيط» ٧/ ٢٢٢، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٢٢٢، ولم ينسبه لأحد.

(٢) انظر: «ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٠، «ابن كثير» ٣/ ٤٨٢، «زاد المسير» ٦/ ٥٩٩.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٩، «تفسير ابن عباس» ص٣٥٣.

(٤) في (ب): (يريد).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩١ ب.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٣، «القرطبي» ١٤/ ١٧٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٥٨.

(٧) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٧٨، ولم أجد من ذكر هذا القول غيره.

(٨) انظر: «الماوردي» ٤/ ٣٩٩، وذكر القول ابن الجوزي ٦/ ٣٧٩، ولم ينسبه لأحد.

وقال أبو إسحاق: أي قلن ما يوجبه [الدين](١) والإسلام بغير خضوع فيه، بل بتصريح وبيان(٢).

٣٣- قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال: يقِر يقَر وقارًا إذا سكن، والأمر منه: قر، وللنساء: قرن، مثل عدن وزن، ونحو ذلك مما حذف منه الفاء وهي واو، فتبقى من الكلمة علن ومعناه: الأمر لهن بالتوقير والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن، ويجوز أن يكون أمرًا لهن من قر في مكانه يقر، فإذا أمرتهن قال: أقررن، فتبدل من العين الياء كراهية التضعيف كما أبدل في قيراط ودينار، ويصير لها حركة الحرف المبدل فيكون في التقدير: أقرن، ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهية لتحرك ما بعدها فتصير الياء بالكسر [فتسقط التاء](٣) لاجتماع الساكنين، وتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتصير قرن. وقرأ أهل المدينة وعاصم: و(قرن) بفتح القاف(٤).

وقال أبو إسحاق: هو من قررت بالمكان أقر والمعنى واقررن، فإذا خففت صار: وقرن، حذف العين لثقل التضعيف وألقيت حركتها على القاف(٥).

قال الفراء: وهو كما قال: هل أحسست(٦) صاحبك. يريد وإن

---

(١) (الدين) غير واضح في النسخ، والتصحيح من «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٢٢٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٤.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٤) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٧٥، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ٢/ ١٩٧.

(٥) «الحجة» ٥/ ٤٧٥.

(٦) هكذا هي في (أ)، وفي (ب) جاءت هكذا: هل أحسم أحسب صاحبك، وهو خطأ، والصواب هل أحست، كما في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٢.

أحسست، وكما قال: (فظلتم) [الواقعة: ٦٥]، وقد قال أعرابي من بني نمير: ينحطن من الجبل يريد ينحططن[١].

وقال أبو علي: الوجه في القراءة الكسر؛ لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه وهما من القرار والوقار، وفتح القاف فيه خلاف؛ لأن قررن ثبت في المكان أقر، لا يجوزه كثير من أهل اللغة، وأبو عثمان يزعم أن قررت في المكان لا يجوز إنما يكون الكسر في قولهم: قررت به عينا[٢].

وقال أبو عبيد: كان أشياخنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح[٣]. وأجاز الفراء والزجاج وأبو عبيدة وأبو الهيثم: قررت في المكان أقر، وجعلوا وجه هذه القراءة من قررت بالكسر على تخفيف المضاعف[٤] كما بينا[٥].

وقال ابن قتيبة: لم تسمع يقر بفتح القاف إلا في قرة العين، فأما[٦] في الاستقرار فإنما يتوقر بالمكان يقر مكسورة القاف، ولعل الفتح لغة[٧].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ يريد الحجاب، يعني

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٢ باختصار شديد.

(٢) «الحجة» ٥/ ٤٧٥ مع اختلاف شديد في العبارة.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٣.

(٤) في (ب): (المضعف).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٢، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٢٥، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ١٣٧، «تهذيب اللغة» ٨/ ٢٧٨ (قر).

(٦) في (ب): (وأما).

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥١.

وانظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٤٠، «الحجة» ٥/ ٤٧٥، «الدر المصون» ٩/ ١٢٠.

الستر بلزوم البيت[١].

وقال مقاتل بن سليمان: ولا يخرجن[٢].

وقال مقاتل بن حيان: أن يستقررن في بيوتهن[٣][٤].

قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال أبو عبيدة: التبرج أن تخرج محاسنها[٥].

وقال أبو إسحاق: التبرج إظهار الزينة مما يستدعي به شهوة الرجل[٦].

وقال المبرد: التبرج أن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره، وأصله من البرج يقال: في عينه برج أي: سعة، وكذلك في أسنانه برج إذا تفرق ما بينهما، وجملته إظهار ما ينبغي أن يخفى[٧].

وقال الليث: تبرجت المرأة إذا أبدت محاسنها من وجهها وجسدها، وترى مع ذلك من عينيها حسن نظر[٨]. ومعنى ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ الأمر بالعفة ولزوم البيت قاله مقاتل[٩].

وقال مجاهد: التبرج التبختر[١٠].

---

(١) «تفسير ابن عباس» ص٣٥٣ مع اختلاف في العبارة، وذكره ابن كثير ٣/ ٤٨٢ ولم ينسبه، وكذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٧٩ ولم ينسبه.

(٢) «تفسير مقاتل» ٩١ ب.

(٣) في (ب): (بيوتكن).

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٥.

(٧) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٧٩.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٥٥ (برج).

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ٩١ ب.

(١٠) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ أ.

وقال قتادة: كانت لنساء الجاهلية الأولى تكسر وتغنج فنهين هؤلاء عن ذلك[١]. وهذا الذي ذكره معنى التبرج لا تفسيره. وتفسيره: إظهار الزينة، وكن يظهرن محاسنهن عند التبختر في مشيهن، ذلك فسر التبرج بالتبختر.

قوله: ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ معناه تبرج[٢] أهل الجاهلية فحذف المضاف، واختلفوا في الجاهلية الأولى، متى كانت؟ فقال الحكم: هي ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة كانت نساؤهم قباحًا ورجالهم حسانًا، وكانت المرأة تتكلف في إظهار محاسنها للرجل[٣].

وروى عكرمة عن ابن عباس: الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة، وكان في ذلك الزمان بطنان من ولد آدم، أحدهما يسكن الجبل وكانت نساؤهم قباحًا ورجالهم صباحًا، والآخر كان يسكن السهل ونساؤهم صباحًا وكان في رجالهم ذمامة، فاتخذ إبليس شيئًا مثل الذي يزمر فيه الرعاء وجاء بصوت لم يسمع الناس مثله، فانتابوه واجتمعوا عليه، فرأى رجال الجبال نساء السهل وصباحتهن فتحولوا إليهن ونزلوا مع أهل السهل وتبرجت النساء للرجال الصباح من أهل الجبل وظهرت فيهم الفاحشة[٤].

وقال الكلبي: الجاهلية الأولى هي الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٣٩.

(٢) في (أ): (التبرج).

(٣) انظر: «الثعلبي» ٣/ ١٩٧/ أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤، «القرطبي» ١٤/ ١٧٩.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «الطبري» ٢٢/ ٤، «السمرقندي» ٣/ ٤٩.

تمشي بين يدي الرجال ليس عليها شيء غيره، وكان ذلك في زمان نمرود الجبار والناس كلهم كفار[١]. وهذا قول مقاتل بن حيان، قال: الجاهلية الأولى زمان إبراهيم، والثانية زمان محمد ﷺ قبل أن يبعث[٢].

قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد[٣]. وهو قول مقاتل بن سليمان، قال: هو قبل أن يبعث محمد رسولًا[٤]. ونحوه قال ابن عباس[٥].

وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام[٦].

وقال أبو إسحاق: والأشبه أن تكون زمان عيسى إلى زمان محمد ﷺ؛ لأنهم هم الجاهلية المعروفون، وكانوا يتخذون البغايا يغللن لهم، قال: ومعنى الأولى هاهنا التقدم، يقال لكل شيء متقدم ومتقدمة: أولى وأول، وتأويله أنهم تقدموا أمة محمد ﷺ[٧].

وقال المبرد: معنى الأولى القديمة، وكانوا يبدلون أمورًا بحسب الظن بها، من ذلك أن المرأة تجتمع مع زوجها وخلمها[٨] فيكون للزوج نصفها الأسفل والأعلى للخلم لا يمنع من ترشفها وتقبيلها، ولهذا يقول أحد الخلوم لزوج صاحبته:

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «السمرقندي» ٣/ ٤٩، «زاد المسير» ٦/ ٣٨٠.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ٧/ ٢٢٣.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤، «الماوردي» ٤/ ٤٠٠، «زاد المسير» ٦/ ٣٨٠.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٧٥.

(٥) انظر: «الدر المنثور» ٦/ ٦٠٢، وقال: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «البغوي» ٣/ ٥٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٥٨.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٥.

(٨) الخلم هو: الصديق، يسمى خلمًا لألفته. انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٣٢ (خلم).

فهل لك في البدال أبا خبيب   فأرضى بالأكارع والعجوز[١]

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابن عباس: يريد عند مواقيتها[٢]. ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يريد عند محلها. ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ قال عطاء: طاعتهما اتباع الكتاب والسنة[٣].

٣٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ يقال: أردت لأفعل كذا وأن أفعل كذا، قال الله تعالى بما أوصاكن من الطاعة ولزوم البيت.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. قال ابن عباس: يريد عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا[٤]. وقال مقاتل: يعني الإثم الذي يحصل مما نهاهن عنه وأمرهن بتركه[٥].

وقال قتادة: يعني السوء[٦]. وقال أبو عمرو بن العلاء: القذر الرجس[٧]. وهذا مما سبق الكلام في تفسيره[٨].

واختلفوا في المراد بأهل البيت هاهنا، من هم؟ فقال ابن عباس في

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٤٧٧، فقد ذكر قول المبرد ونسبه له، ولم يذكر البيت الذي استشهد به، وكذا القرطبي ١٤/ ١٨٠ وذكر الماوردي القول مع استشهد به غير منسوب لأحد ٤/ ٤٠٠. وهذا البيت من الوافر، ولم أقف على قائله.

(٢) و(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٥٨.

(٥) «تفسير مقاتل» ٩١ ب.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥، «البغوي» ٣/ ٢٧٥.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) لعله عند قوله تعالى في المائدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: من الآية: ٩٠]

رواية سعيد بن جبير: هذا في نساء النبي ﷺ[١].

وقال عكرمة: إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة[٢].

وقال مقاتل: يعني بها نساء النبي كلهن؛ لأنهن في بيته[٣].

وقال الكلبي: يعني بذلك نساء النبي ﷺ[٤].

وهؤلاء احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر، وهو قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾ الآية. وكل ذلك خطاب لأزواج رسول الله ﷺ خاصة. قالوا: وإنما ذكر الخطاب في قوله: عنكم ويطهركم، لأن رسول الله ﷺ كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر[٥].

وقال آخرون: هذا خاص في النبي ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين.

وهو قول أبي سعيد الخدري[٦]، ورووا في هذا روايات عن أم سلمة وعائشة وواثلة بن الأسقع[٧]، وأنس بن مالك أن النبي ﷺ غشا هؤلاء

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «القرطبي» ١٤/ ١٨٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٠٢، وزاد نسبته لابن عساكر.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨، «القرطبي» ١٤/ ١٨٢، «الدر المنثور» ٦/ ٦٠٣، وقال: أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٢.

(٣) «تفسير مقاتل» ٩١ ب.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٧/ ٢٢٤.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦، «الدر المنثور» ٦/ ٦٠٤، وقال: أخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري.

(٧) هو: واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي من أصحاب الصفة، أسلم سنة ٩هـ، وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين ﷺ، وقد اعتمده البخاري وغيره، توفي ﷺ سنة ٨٣ هـ، وقيل: ٨٥هـ، وكان آخر من مات من الصحابة بدمشق. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٦٠٦، «الإصابة» ٤/ ٥٨٩، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٨٣.

بكساء، وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»[١]. وهذا لا يدل على أن هذه الآية خاصة فيهم؛ لأن هذه الرواية تدل على أن النبي ﷺ دعا لهم بهذا الدعاء، وسأل الله أن يطهرهم، لا جرم أنه استجيب له فيهم بالتطهير، ولقد أحسن أبو إسحاق في تفسير هذه الآية، فقال: اللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعًا؛ لقوله: ﴿عَنكُمُ﴾ و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان للنساء لم يجز إلا عنكن ويطهركن، ودليله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب[٢]. وعلى هذا هو خطاب لأزواج النبي ﷺ ورجال بيته، قال: وانتصب (أهل البيت) على معنى: أعني أهل البيت، وهو منصوب على المدح قال: ويكون على النداء على معنى: يا أهل البيت)[٣].

قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. قال مقاتل: من أثم ما ذكر في هذه الآيات[٤]. والمعنى من نجاسات الجاهلية؛ لأن ما أمرن به كله مضاد لأهل معان الجاهلية، ثم وعظهن ليتفكرن وامتن عليهن [بقوله][٥].

٣٤- قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن. ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾. قال مقاتل: يعني أمره ونهيه في القرآن[٦].

---

(١) انظر: «الثعلبي» ٣/ ١٩٧ ب، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦، «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٨٤ وما بعدها، وذكر هذه الروايات السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٠٢ وما بعدها، «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) لعل الكلام هنا خطأ، والصواب كما في «تفسير مقاتل» ٩٢ أ: من الإثم الذي ذكر في هذه الآيات.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.

وقال عطاء عن ابن عباس: آيات الله، ما ذكر من الثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه، والحكمة حدود الله ومفترضاته[١].

وقال غيره: آيات الله القرآن، والحكمة النبوة، وهي في بيوتهن. ونحو هذا قال قتادة في قوله: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ قال: القرآن والسنة[٢]. وهذا حث لهن على حفظ القرآن ومذاكرتهما[٣]؛ للإحاطة بحدود الشريعة. والخطاب وإن اختص نساء النبي ﷺ فغيرهن داخل فيه، فإن كثيرًا من الخطاب يختص لفظه ويعم معناه. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي بأوليائه. ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه، قاله ابن عباس. وقال مقاتل: لطف علمه إن خضعن بالقول خبيرًا به[٤].

٣٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية؛ فروى قابوس عن ابن عباس قال: قالت النساء للنبي ﷺ: ماله ليس يذكر النساء، [فأنزل الله إلا المؤمنين وليس يذكر المؤمنات[٥] بشيء][٦] فأنزل الله هذه الآية[٧].

وقال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله يذكر الرجال ولا يذكر

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٩، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٢٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٤٩.

(٣) لعل مراد المؤلف أن الضمير يعود إلى القرآن والسنة.

(٤) «تفسير مقاتل» ٩١ أ.

(٥) في (ب): (المؤمنين منات)، وهو خطأ.

(٦) ما بين المعقوفين يظهر أنه زيادة.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٠٨، وزاد نسبته للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

النساء، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال الكلبي ومقاتل: إن أم سلمة وأنيسة بنت كعب[٢] أتيا رسول الله ﷺ فقالتا: يا رسول الله ما نرى ربنا يذكر النساء في شيء من كتابه، إنما يذكر الرجال بالفضيلة والجزاء نخشى أن لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال عكرمة: أتت أم عمارة الأنصارية للنبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء[٤] يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية[٥].

وقال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء[٦] بنت جحش من الحبشة

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠، ورواه الحاكم في «المستدرك» كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب ٢/ ٤١٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٠٨، وزاد نسبته لسعيد بن منصور وعبد الرزاق والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني.

(٢) هي: أنيسة، ويقال نسيبة بنت كعب، أم عمارة، هي التي قالت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر بخير فأنزل الله هذه الآية.
انظر: «الإصابة» ٤/ ٢٤١، «أسد الغابة» ٥/ ٤٠٧.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ، وذكره الثعلبي ٣/ ٩٩ أ، عن مقاتل أيضًا ولم أقف على من نسبه للكلبي.

(٤) هكذا في النسخ! والصواب: النساء.

(٥) انظر: «القرطبي» ١٤/ ١٨٥ ونسبه للترمذي عن أم عمارة.

(٦) هكذا في المخطوط! والصحيح أنها بنت عميس، وهي: أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث الخثعمية من خثعم، وكانت رضي الله عنها من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب، وقد ولدت منهم جميعًا.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٢٣٠، «الإصابة» ٤/ ٢٢٥، «أسد الغابة» ٥/ ٣٩٥.

مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا. فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خسة وخسار. قال رسول الله ﷺ: «ومما ذاك؟» قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال قتادة: لما ذكر الله نساء النبي دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن: ذكرتم ولم نذكر، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال الفراء: الخطاب إذا ورد بلفظ التذكير اشتمل على الذكور والإناث جميعًا، فإذا قيل المسلمون والمؤمنون كانت الإناث في جملتهم، غير أنهن أردن أن يخصصن بالذكر ويذكرون باللفظ الخاص لهن فذكرهن لذلك، هذا معنى كلام الفراء[٣].

٣٥- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين أسلموا في الظاهر والباطن ولم يعدلوا به شيئًا، وسلم جميع الخلق من غشهم، وأحبوا للناس ما أحبوا لأنفسهم، وكانوا لليتيم مثل الأب، وللأرملة مثل الزوج، ونصحوا لله في أنفسهم وفي خلقه[٤].

وقال مقاتل: يعني المخلصين بالتوحيد[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ أ، إلا أنه قال: أسماء بنت عمير، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» له ص٣٧٥ بدون سند، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢٩، ولم ينسبه لأحد.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٣/ ٥٠، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠، «زاد المسير» ٦/ ٣٨٤.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.

وقال عطاء: [من][1] فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2].

قال ابن عباس: يريد الذين صدقوا بتوحيد الله وبما جاء به محمد ﷺ وصدقوا بالبعث والثواب والعقاب[3].

وقال مقاتل: يعني المصدقين بالتوحيد والمصدقات[4].

وقال عطاء: من أقر بأن الله ربه ومحمدًا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه، فهو من هذه الجملة[5].

وقوله: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: المطيعين لله فيما افترض وأمر ونهى والمطيعات[6].

وقال عطاء: من أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو من هذه الجملة[7]. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ قال ابن عباس: في المواطن وفيما نذروا لله وفيما ساءهم وسرهم[8].

وقال مقاتل: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في إيمانهم[9].

وقال عطاء: من صان قوله عن الكذب فهو من هذه الجملة[10].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ أ، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ أ، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

(٦) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٤٢٢، «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

(٨) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٦٩.

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.

(١٠) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ما أصابهم من الضر والبؤس والفقر وجميع المصائب ﴿وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ قاله ابن عباس(١). وقال مقاتل: والصابرين على ما أمر الله والصابرات(٢).

وقال عطاء: من صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو من هؤلاء(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يريد والذين خشعت قلوبهم من خوف الله(٤). ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ من خشية الله وازدادوا لله يقينًا وللدنيا بغضًا. وقال مقاتل: يعني المتواضعين والمتواضعات(٥). قال عطاء: من صلى فلم يعرف من عن يمينه ويساره فهو منهم(٦).

وقوله: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يتصدقون بالأموال ومما رزقهم الله من الثمار والمواشي وكل ما ملكوا يطلبون ما عند الله موقنين بالخلف والثواب(٧).

قال عطاء: من صدق(٨) في كل أسبوع بدرهم فهو من هذه الجملة(٩).

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.
(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ أ.
(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.
(٧) لم أقف عليه.
(٨) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: تصدق، وهكذا ذكره الثعلبي ٣/ ١٩٩.
(٩) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

[قوله][(١)]: ﴿وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ قال ابن عباس: الصائمين لله بنية صادقة، لا يغتابون أحدًا، ولا يتحدثون بكذب ولا يتأملون خلق امرأة، ولا يحدون النظر إليها، فإن هذه الخصال تفطر الصائم، وبكون فطرهم من حلال[(٢)].

وقال عطاء: من صام من كل شهر الأيام البيض فهو من هذه الجملة[(٣)].

قوله: ﴿وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ﴾ واستغنى عن ذكر الهاء بما تقدم، ومثله: (ونخلع ونترك من يفجرك) المعنى: ونخلع من يفجرك ونتركه، وأنشد:

وكمتا مدماة كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب[(٤)]

على رفع لون. المعنى: جرى فوقها لون مذهب واستشعرته[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يريد

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (أ).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

(٤) البيت من الطويل، لكميت الغنوي في «ديوانه» ص٢٣، «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢١٧ (كمت)، «اللسان» ٢/ ٨١ (كمت)، «الكتاب» ١/ ٧٧.
وكمتا جمع أكمت، والكمتة: لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل وغيرهما.
ومدماة: أي مشوبة بلون الدم.
انظر: «اللسان» ٢/ ٨١ (كمت)، ١٤/ ٢٧٠ (دمى).

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٢٧، و«معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٥٠.

في أدبار الصلوات وغدوًا وعشيًا وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله ﷻ[١]. وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا[٣] جميعًا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**»[٤].

وقال أبو إسحاق: المعنى والذاكراته وحذف الهاء. على ما ذكرناه[٥] في الحافظات[٦].

وقال عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[٧].

وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾. قال ابن عباس ومقاتل: مغفرة لذنوبهم[٨]. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثوابًا جزيلًا وهو الجنة.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٤.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١١٧.

(٣) في (ب): (وصليا).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الصلاة، باب قيام الليل ٢/ ٣٣، رقم الحديث ١٣٠٩ عن أبي هريرة، وابن ماجه في «سننه» أبواب إقامة الصلاة، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ١/ ٢٤٢، رقم الحديث ١٣٢٩ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، والحاكم في «المستدرك»، كتاب صلاة التطوع، باب: توديع المنزل بركعتين ١/ ٣١٦ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) الضمير (الهاء) ساقط من (ب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٧.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

(٨) انظر: «تفسير ابن عباس» (٣٥٤)، «تفسير مقاتل» ٩٢ ب.

٣٦- وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. قال المفسرون[(١)]: نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، وكانا ابني عمة النبي ﷺ، فخطب النبي ﷺ زينب لزيد بن حارثة مولاه، وهي تظن أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد كرهت ذلك وكذلك أخوها، فلما نزلت الآية رضيا وسلما، فزوجها رسول الله ﷺ من زيد.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعني: عبد الله بن جحش. ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني: أخته زينب، ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ حكما بذلك، ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ﴾ جمعت الكناية لأن المراد بقوله: ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا. والخيرة: الاختيار، وذكرنا تفسيرهما [فيما تقدم][(٢)] في سورة القصص[(٣)].

قال أبو إسحاق: أعلم الله أنه لا اختيار على ما قضى الله ورسوله[(٤)]. وهذه الآية دليل على أن كل امرأة أراد رسول الله أن يزوجها من رجل، لم يكن لها أن تمتنع ولا لوليها، وأن رسول الله أولى بتزويجها من وليها كما ذكر في قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] الآية. ولأنه أيضًا دليل على أن كل حكم ثبت عن رسول الله ﷺ فهو كما ثبت عن الله، فليس لأحد

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠٠ أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٠٤، «السمرقندي» ٣/ ٥١.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) عند الآية ٦٨، قال هناك: والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، والخيرة اسم للمختار، يقال: محمد خيرة الله من خلقه.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٨.

اختيار ولا استحسان مع قضاء الله ورسوله، وليس إلا الاقتداء والتسليم.

قال أبو علي: وهذه الآية تدل على أن (ما) في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] (ما) فيها نفي، وليست بموصولة، ألا ترى أنه نفى الاختيار على العباد في هذه الآية، كذلك في تلك[١].

قال مقاتل: فلما زوجها رسول الله ﷺ زيدًا مكثت عنده حينًا، ثم إن النبي ﷺ أتى زيدًا فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، فهواها النبي ﷺ فقال: «**سبحان الله مقلب القلوب**». ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرًا يعظم علي، وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»[٢].

وقال ابن عباس: إن زيدًا حين تزوج زينب أقامت عنده ما شاء الله أن تقيم، فأتى رسول الله ﷺ إلى منزل زيد يطلبه، فبعث الله ريحًا حتى رفعت الستر وزينب منفصلة على منزلها، فرأى رسول الله ﷺ زينب فوقعت في نفس النبي ﷺ، فأتى زيد فأخبرته، فوقع في نفس زيد أن يطلقها، وأقام زيد لا ينشر عليها من يومئذ، وكان زيد يرى رسول الله ﷺ فيقول: إني أريد أن أطلق زينب. والنبي ﷺ يقول: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**».[٣]

وقال مقاتل بن حيان: قالت زينب لما نزل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية: أمري بيدك يا رسول الله، فأنكحها رسول الله زيدًا ودخل بها، فلم تمكث إلا يسيرًا حتى شكى إلى النبي ﷺ ما يلقى منها، وكانت امرأة لسنة،

(١) «الحجة» ٥/ ٤٧٦.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ ب.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠٠ ب، «تفسير السمرقندي» ٣/ ٥١، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠.

فدخل عليها النبي ﷺ وأمرها بتقوى الله والسمع والطاعة لزيد فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها لأمر أراده الله ﷻ، وخرج من عندها وفي نفسه ما شاء الله منها، وجاء زيد إلى النبي ﷺ يشكوها فقال له: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك**». ويقول زيد: إني أريد أن أطلقها وأستريح منها، وأكره أن تكون معي في بيت مما ألقى منها من البلاء والشدة. ويقول النبي: «**اتق الله لا تطلقها**» وفي قلبه غير ذلك[1]، فأنزل الله تعالى قوله تعالى:

٣٧- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: الهداية للإسلام.

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن أعتقته من الرق قاله جميع المفسرين، قالوا: وكان زيد من سبي الجاهلية، فاشتراه رسول الله ﷺ بعكاظ في الجاهلية وأعتقه وتبناه[2]، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمرها فلا تطلقها.

قال أبو إسحاق: (أمره بالتمسك بزينب وكان يحب أن يتزوجها، إلا أنه أمره بما يجب من الأمر بالمعروف، فقال: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»[3]. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾، وتستر وتضمر في قلبك من إرادة تزوجها، قاله الكلبي[4]: وقال قتادة: ود أنه طلقها[5]، ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، قال ابن عباس: مظهره لأصحابك وغيرهم[6].

---

(١) لم أقف على قول مقاتل بن حيان.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠٠ ب، «تفسير السمرقندي» ٣/ ٥٢، «الدر المنثور» ٦/ ٦١٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٩.

(٤) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٧٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٥١، «زاد المسير» ٦/ ٣٨٨.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٣/ ٣٧٠ ولم ينسبه.

وقال مقاتل: مظهره عليك حين ينزل به قرآنًا(١)، والمعنى: أن النبي ﷺ كتم حبها، وأراد تزوجها، وأمر زيدًا بإمساكها وفي قلبه خلاف ذلك، فأظهر الله عليه ما أخفاه بأن قضى طلاقها وزوجها منه، وأنزل في ذلك القرآن، ولهذا قال عمر وابن مسعود وعائشة والحسن: ما نزلت على رسول الله آية هي أشد عليه من هذه الآية.

قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية(٢): ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

وقوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ قال مقاتل: تكره قالة الناس في أمر زينب(٣). يعني: تخاف لائمتهم أن يقولوا: أمر رجلًا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها، وكان النبي ﷺ يريد أن يصوب رأي زيد في طلاقها من حيث ميل النفس وهوى القلب، ولكنه خاف قالة الناس فذلك قوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾، وقيل: الخشية هاهنا بمعنى الاستحياء، يعني تستحي من الناس أن تأمر رجلًا بطلاق زوجته ثم تتزوجها. والاستحياء قول ابن عباس والحسن والفراء(٤).

وقال عطاء عن ابن عباس: والمراد بالناس هاهنا اليهود، وكانوا يعيبون المؤمنين فخشي النبي ﷺ في تزوجها أن يقولوا تزوج محمد امرأة

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢ ب.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء ٦/ ٢٦٩٩، رقم الحديث ٦٩٨٥، عن أنس، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١/ ١٦٠، رقم الحديث ٢٨٨ عن عائشة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٢/ ب.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣١، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٣.

ابنه[(١)].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾. وقال ابن عباس: يريد [ ][(٢)] وتخافه[(٣)].

وروي عن علي بن الحسين أنه قال في هذه الآية: كان الله ﷻ قد أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، وأن زيدًا سيطلقها[(٤)]. وعلى هذا يجوز أن يكون النبي ﷺ معاتبًا[(٥)] على قوله: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ مع علمه بأنها ستكون زوجته، وكتمانه ما أخبره الله به، ويكون قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ في كتمان ما أخبرك به وإنما كتم النبي ﷺ ذلك؛ لأنه استحيا واستبشع أن يقول: إن زوجتك ستكون امرأتي[(٦)].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٣٨٧.

(٢) في جميع النسخ قدر كلمة غير واضحة، ولعلها: تخشاه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠١ أ، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٢، «مجمع البيان» ٨/ ٥٦٤.

(٥) في (أ): (بناها).

(٦) هذه الروايات التي أوردها المؤلف رحمه الله من أن زينب رضي الله عنها وقعت في قلب النبي ﷺ، وأنه أحبها وتمنى تطليق زيد لها، أو أنه قال حين رآها: «سبحان مصرف القلوب». أقول: كل ذلك مما ينبغي أن ينزه عنه المصطفى ﷺ ، فزينب ابنة عمته وكان يعرفها قبل أن يزوجها من زيد.
يقول: القشيري فيما نقله عنه القاضي عياض في «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» ٢/ ٨٨٠: وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله.
ثم قال القاضي عياض: وكيف يقال: رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت؟ ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ وهو زوجها لزيد، وإنما جعل الله =

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ قال الليث: الوطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همة، ولم أسمع لها فعلا، وجمعه أو طار[1].

= طلاق زيد لها وتزويج النبي ﷺ إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ أ.هـ.

انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٠، ٦٧٢.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» بعد أن ذكر هذه الأقوال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقًا واضحًا حسنًا ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله نبيه ﷺبعد أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه وكان قد تبني زيدًا قال: بعد أن ذكر بعض الروايات التي استحسنها بعض العلماء، قال عن هذه الرواية وسندها: وهو أوضح سياقًا وأصح إسنادًا. ثم قال: وقد وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد، والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم. أ.هـ.

وللوقوف على كلام أهل العلم أكثر مما أثبته حول هذه القصة انظر: «الشفا» لعياض ٢/ ٨٨٠ وما بعدها، «فتح الباري» ٨/ ٦٧١ وما بعدها، «محاسن التأويل» للقاسمي ٢٦٦/٨ وما بعدها، «أضواء البيان» ٦/ ٥٨٠ وما بعدها.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٠ (وطر).

وقال أبو عبيدة: الوطر كالأرب، وأنشد للربيع بن ضبع:[١]

ودعني قبل أن أودعه لما قضى من شبابها الوطرا[٢]

وقال المبرد[٣]: الوطر الشهوة والمحبة، يقال: ما قضيت من لقائك وطرًا، أي ما استمتعت بك حتى تنتهي، وأنشد:

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل من معمر[٤]

قال ابن عباس في قوله: ﴿قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أي لذته ونهمته[٥].

وقال مقاتل: يعني الجماع[٦].

وقال مقاتل: يعني حاجة وطلقها[٧]. وقال قتادة: طلقها[٨].

ومعنى قضى الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، فمعنى قضى وطرًا منها بلغ ما أراد من حاجته فيها. ويجوز أن يكون عبارة

---

(١) هو: الربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض الفزاري الذبياني، شاعر جاهلي معمر من الفرسان، أدرك النبي ﷺ ولم يلقه كان أحكم العرب في زمانه ومن أشعرهم وأخطبهم، قيل: إنه عاش أكثر من مائتي عام.
انظر: «سمط اللآلي» ص٨٠٢، «الخزانة»، «تفسير ابن عباس» ص٣٨٣، «الأعلام» ٣/ ١٥.

(٢) البيت من المنسرح وهو للربيع بن ضبع في «الكتاب» ١/ ٨٩، «لسان العرب» ٢٥٩/١٣ ضمن، «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٥.

(٣) انظر: «الدر المصون» ٩/ ١٢٦، «روح المعاني» ٢٢/ ٢٥.

(٤) البيت من الطويل، ولم أهتد إلى قائله، وهو في «الكامل» ١/ ٣٩٧، «الدر المصون»، «البحر المحيط» ٣/ ٢١١، غير منسوب.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ أ.

(٧) لم أقف عليه عن مقاتل، وانظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٧١.

(٨) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٠٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٩٤.

عن الطلاق، فإن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة، فيقول: قضيت وطري منها، أي خليتها حيث لم يبق له فيها مراد، فيجوز أن يكون المراد بهذا اللفظ الطلاق مع بلوغ المراد منها، ويجوز أن يكون عبارة عن بلوغ المراد من نكاحها ثم يضمر الطلاق، ودل عليه[١] قوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾؛ لأن تزويجها من النبي ﷺ يوجب طلاق زيد إياها، وقد قال المفسرون[٢]: طلقها زيد فلما انقضت عدتها تزوجها النبي ﷺ.

وروى ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ: «**اذهب فاذكرها علي**». قال: فانطلقت فقلت يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن[٣].

قال أصحابنا: وهذه الآية دليل على أن كل امرأة أراد رسول الله نكاحها فهو مستغن عن الولي والشهود، وذلك أنه لما نزل قوله ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ دخل عليها رسول الله ﷺ، ولهذا كانت زينب تفاخر نساء

---

(١) في (أ): (وقوله)، زيادة واو وهو خطأ.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» ٩/ ٣١٣٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦١٢، وزاد نسبته لابن سعد وأحمد وأبي يعلى والطبراني وابن مردويه عن أنس.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ١٠٤٨/٢ رقم (١٤٢٨)، وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٩٥ عن ثابت عن أنس، والنسائي في «سننه» كتاب: النكاح، باب: صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ٧٩/٦ عن ثابت عن أنس. وأورد السيوطي في «الدر» ٦/ ٦١٢ وعزاه لابن سعد وأحمد والنسائي وأبي يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أنس.

النبي ﷺ وتقول: زوجكن أقاربكن وزوجني الله ﷻ[١].

وذكر قضاء الوطر هنا بيانًا أن امرأة المتبنى تحل وإن وطئها المتبنى وهو قوله[٢]: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾، أي: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لكي[٣] تظن أنه من تُبُنِّيَ لم تحل امرأته للمتبني. قاله الزجاج[٤]، وهو قول جميع المفسرين[٥].

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أي: جامعوهن وطلقوهن، قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني مشتبكة كاشتباك الرحم، فبين الله تعالى أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتبنين وإن أصابوهن، بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس العقد، وامرأة المتبني لا تحرم وإن وطئها[٦].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ قال مقاتل: يقول تزوج النبي زينب كائنًا لابد[٧]. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيًا مفعولًا.

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء ٦/ ٢٦٩٩ رقم الحديث (٦٩٨٤، ٦٩٨٥)، وأخرج الترمذي في «سننه» كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب ٥/ ٣٣ رقم الحديث (٣٢٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) (يقوله) مكررة في (أ).

(٣) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: لكيلا.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٢٩.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠١ أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٠٧، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ أ.

٣٨- قال مقاتل: ثم بين أنه لم يكن عليه حرج في هذا النكاح[١] في قوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: أحل الله له، أي: لا حرج عليه فيما أحل الله له[٢].

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: سن الله لمحمد ﷺ في التوسعة عليه في إباحة النكاح كسننه في الأنبياء الماضين، وهذا قول ابن عباس[٣].

واختار الفراء والزجاج قالوا: عنى كثرة أزواج داود وسليمان[٤].

وقال مقاتل: يعني داود النبي حين هوى المرأة التي فتن بها، فجمع الله بينه وبينها، يقول: كذلك أجمع بين محمد وزينب إذ هويها كما فعلت بداود. ونحو هذا مقاتل بن حيان سواء[٥].

وقال عبد الله بن مسلم: أي لا حرج على أحد فيما لم يحرم عليه[٦]. وعلى هذا ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾[٧]، كان من تقدمه ممن قد مضى ولا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ أ.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠١ أ، «الطبري» ٢٢/ ١٤، «الماوردي» ٤/ ٤٠٧.

(٣) ذكره القرطبي ١٤/ ١٩٥ بمعناه غير منسوب لأحد، وكذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٣٩٢، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٧٤ عن ابن عباس والكلبي والمقاتلين.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٤، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٠.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ أ، انظر: «الثعلبي» ٣/ ٢٠١ أ، «البغوي» ٣/ ٥٣٣.
ولعل هذه الأقوال التي أوردها المؤلف لا تصح، بل هي فاسدة؛ لأنه مناف لمقام النبوة.

(٦) انظر: «غريب القرآن» ص٣٥١.

(٧) كذا في المخطوط! ولعل الصواب: كل.

يختص بالنبيين وهو الأليق بظاهر الآية لولا الآية الثانية، فإنها دلت على أن المراد بالذين خلوا: الأنبياء، قال أبو إسحاق: سنة الله منصوب على المصدر؛ لأن معنى ما كان على النبي من حرج سنة[1] الله له سنة واسعة لا حرج فيها[2].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. قال الكلبي: قضاء مقضيا، وكان من قدره أن يولد سليمان من تلك المرأة التي هويها داود ويملك من بعده[3].

وقال مقاتل: قدر الله لداود ولمحمد تزويجها[4][5].

وقال ابن حيان: أخبر الله أن امرأة[6] زينب كان من حكم الله وقدره وفرضه[7].

٣٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون (الذين) في موضع خفض نعت، لقوله: ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾. ويجوز أن يكون نعتًا على المدح، المعنى: هم الذين. ويجوز أن يكون نصبًا على معنى أعني الذين[8].

---

(١) كذا في المخطوط! والذي في «معاني القرآن» للزجاج: سن الله له.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٠.

(٣) ذكر هذا القول الثعلبي ٣/ ٢٠١ ب ونسبه لابن عباس. ولم أقف على من نسبه للكلبي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ أ.

(٥) هكذا في النسخ! والذي في تفسير مقاتل: تزويجهما.

(٦) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: أن نكاح زينب.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٠.

﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ﴾ قال سعيد بن جبير: الخشية من الله أن تخشاه حتى تكون خشيتك(١) وبينه وبين معصيته(٢). والمعنى على هذا: ولا تعصونه .﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ أي: لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: مجازيًا لمن يخشاه. قاله ابن عباس(٣).

٤٠- قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال الناس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله هذه الآية(٤). يعني أنه ليس بأب لزيد فتحرم(٥) عليه زوجته. قال ابن عباس: يريد لم يكن في قضائي وقدري أن له ابنا يعيش حتى يصير رجلًا(٦).

وقال المفسرون: لم يكن أبا أحد لم يلده، وقد ولد له ذكور: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر(٧). وقال مقاتل: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ لزيد: لست لك بأب، فقال زيد: يا رسول الله أنا زيد بن حارثة بن مروة بن شراحيل الكلبي معروف نسبي(٨).

---

(١) هكذا في المخطوط! لعل الصواب: حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيته.

(٢) لم أقف على قول سعيد بن جبير.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الترمذي حديث رقم (٣٢٦٠) عن عائشة، وابن أبي حاتم، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦١٣ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن عائشة.

(٥) في (أ): (فيحرم).

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٤.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠١ ب، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٦، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٢٩.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعني: آخر النبيين فلا نبي بعده، قال: يريد لو لم أختم به لجعلت له ولدًا يكون بعده نبيًا. قال مقاتل: لو كان لمحمد ولد لكان نبيًا رسولًا، فمن ثم قال: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [لم يسمع أحدًا][(١)] والمعنى أنه لما ختم النبيين دل على أنه لم يبق ولدًا بعده. وقراءة العامة بكسر التاء، وقرأ عاصم بفتح التاء[(٢)][(٣)].

قال أبو عبيد: الوجه الكسر؛ لأن التأويل أنه ختمهم، فهو خاتمهم[(٤)].

وكذلك روي عنه في صفة نفسه أنه قال: «**أنا خاتم النبيين**»[(٥)]. لم يسمع أحد من فقهائنا يرويه إلا بكسر التاء، قال الفراء: ويدل عليه قراءة عبد الله: ختم النبيين، ومن قرأ بفتح التاء فمعناه: آخر النبيين، وخاتم النبيين[(٦)] آخره، ومنه قوله ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾[(٧)].

وقال الحسن: الخاتم الذي ختم به[(٨)].

وقال أهل اللغة: الخاتم بالكسر الفاعل، والخاتم بالفتح ما يوضع

---

(١) هكذا في النسخ! ولعله زيادة من الناسخ خطأ.

(٢) في (أ): (الهاء).

(٣) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ٢/ ١٩٩، «النشر» ٢/ ٣٤٨.

(٤) لم أقف على اختيار أبي عبيد.

(٥) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة، وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ» ٣/ ١٣٠٠ رقم (٣٣٤٢)، ومسلم في الفضائل، باب: كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ رقم (٢٢٨٦).

(٦) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: آخرهم.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٤.

(٨) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٧٤، «الحجة» ٥/ ٤٧٧.

على الطينة، وهو اسم مثل العالم، يدل على هذا قولهم عند زيادة الحرف خاتام، فدلت زيادة الألف على أن التاء مفتوح في الخاتم[(١)].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ قال ابن عباس: يريد علم ما يكون قبل أن يكون[(٢)].

٤١- وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال الكلبي ومقاتل: ذكرًا كثيرًا باللسان[(٣)]. وقال مجاهد: هو ألا ينساه أبدًا[(٤)]. وقال الكلبي: ويعني ذكرًا كثيرًا بالصلوات الخمس[(٥)].

وقال ابن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[(٦)]. وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث[(٧)].

٤٢- وقوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: صلوا لله صلاة الفجر والعصر. قاله مقاتل وقتادة[(٨)]. وقال ابن حيان: صلوا لله بالغداة

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (ختم)، «اللسان» ١٢/ ١٦٣ (ختم).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب، ولم أقف على من نسبه للكلبي.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٦٨.

(٥) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٧٥، «زاد المسير» ٦/ ٣٩٦.

(٦) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٦٨، «زاد المسير» ٦/ ٣٩٦.

(٧) ذكر ابن قدامة في «المغنى» ١/ ١٣٤ بأنه لا خلاف في أن للحائض والجنب ومن في حكمهما ذكر الله ﷻ، وهذه الألفاظ من الذكر.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٠٩، «الطبري» ٢٢/ ١٧.

(٩) لم أقف عليه عن ابن حيان، وانظر: «القرطبي» ١٤/ ١٩٨، «تفسير هود» ٣/ ٣٧٢.

والعشي[١]. قال الكلبي: فصلاة الفجر، وأما أصيلًا: فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء[٢]. ومضى الكلام في تفسير الأصيل عند قوله: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[٣].

٤٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ جاء المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ يهنئونه، فقال أبو بكر: يا رسول الله أهذا لك خاصة ليس لنا فيه شيء، فأنزل الله هذه الآية[٤]. قال المفسرون وأهل المعاني كلهم: ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾[٥]: يرحمكم ويغفر لكم[٦]، ومضى الكلام في تفسير الصلاة من الله عند قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال ابن عباس: وملائكته تدعوا الله لكم[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٠٩، «مجمع البيان» ٨/ ٣٩٧، «زاد المسير» ٦/ ٥٦٨.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(٣) ذكر هذا الأثر السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٦٢٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٣٤ عن أنس، وذكره القرطبي ١٤/ ١٩٨ عن ابن عباس.

(٤) في (أ): زيادة واو (ويصلي عليكم).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠٢/أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٧، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٥، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٣١، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٥٧.

(٦) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٦٨.

وقال المقاتلان: ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم[(١)].

قال الكلبي: صلاة الله على العباد مغفرته، فإذا رضي على العبد قال للملائكة: إني قد غفرت لعبدي فلان فاستغفروا له، وصلاة الملائكة: الاستغفار[(٢)].

قوله ﷻ: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ قالوا: من الشرك إلى الإيمان، يعني: أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجوكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بسبب توحيدكم وتصديقكم رحمته ودعاء ملائكته[(٣)].

٤٤- قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ قال مقاتل: يعني تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب[(٤)]. وقال الكلبي: تحييهم الملائكة على أبواب[(٥)] الجنة بالسلام، فإذا دخلوها حيا بعضهم بعضا بالسلام، وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام[(٦)]. والكناية في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ يجوز أن تكون عن الملائكة، فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل. ويجوز أن تكون عن المؤمنين، فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعلين؛ لأن المؤمنين يحيون بالسلام ويحيي بعضهم بعضًا. قال ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٣٩٨، «زاد المسير» ٦/ ٤١٠.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٧، «بحر العلوم» ٣/ ٥٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٧.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣/ ب.

(٥) في (ب): (باب).

(٦) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٥٤.

﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يريد عندما يدخلهم الجنة[١].

ومعنى الكلام في معنى لقاء الله في مواضع. وروي عن البراء بن عازب أنه قال في هذه الآية قال: «يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه»[٢]. والكناية على هذا في قوله ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ للمؤمنين، أي: تحيتهم من ملك الموت يوم يلقونه. والكناية في يلقونه لملك الموت وقد سبق ذكره في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ أي: ثوابًا عظيمًا ورزقًا حسنًا في الجنة.

٤٥- قوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد على أمتك وجميع الأمم[٣].

وقال مقاتل: شاهدًا على هذه الأمة بتبليغ الرسالة، ومبشرًا بالجنة والنصر في الدنيا لمن صدقك وآمن بك[٤].

﴿وَنَذِيرًا﴾: ومنذرًا بالنار لمن كفر بك وكذبك.

٤٦- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى توحيد الله وطاعته وما يقرب منه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، «تفسير سورة إبراهيم ﷺ» ٢/ ٣٥١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» وأورده السيوطي في «الدرر» ٦/ ٦٢٣ وزاد نسبته لابن أبي شيبة في «المصنف» وابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الشعب».

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٠، «الدر المنثور» ٦/ ٦٢٤، وقال: أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قال مقاتل: يعني بأمره[١]. يريد أنه أمرك بهذا لا أنك تفعله من قبل.

قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يجوز أن يكون هذا من صفة النبي ﷺ، فيكون المعنى من اتبعه اهتدى به كالسراج في الظلمة يستضاء به، وهذا معنى قول ابن عباس[٢].

وقال المبرد: هذا تمثيل، والمعنى أن ضياء الهدى منه قد شمل القلوب كما شمل ضياء السراج الأبصار[٣]. ويجوز أن يكون المراد بالسراج المنير: القرآن وهو قول ابن عباس قال: وكتابًا مبينًا[٤].

واختاره الزجاج فقال: (والمعنى وذا سراج منير أي: ذا كتاب نير قال: وإن شئت كان المعنى وداعيًا إلى الله وتاليًا كتابًا بينًا)[٥].

٤٧- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾، قال مقاتل: يعني الجنة[٦].

٤٨- وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي إن دعوك إلى تقصر[٧] في بلاغ ما أرسلت به. قال ابن عباس: يريد الكافرين من أهل مكة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: قول ابن عباس في «تنوير المقباس» ص ٣٥٥.

(٣) لم أقف على قول المبرد.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٢٤، وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢١١.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب.

(٧) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: إلى أن تقصر.

والمنافقين من أهل المدينة[١]. وذكرنا تفسير هذا في أول السورة.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يريد اصبر على أذاهم[٢].

قال ابن عباس: هذا منسوخ نسخه السيف[٣].

قال أبو إسحاق: (تأويل ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازيهم عليه إلا أن تؤمر فيهم بأمر)[٤] وعلى هذا التقدير دع مكافأة أذاهم، ولهذا صار المعنى: اصبر على أذاهم.

وقال مجاهد: دع أذاهم: أعرض عنهم[٥]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإني أكفيك[٦] إذا توكلت علي.

٤٩- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تجامعوهن. وقرئ: تماسوهن[٧]. ومعنى الكلام في القراءتين في البقرة [: ٢٤٦].

قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ قال أبو إسحاق: (أسقط

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٥٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٩، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٣٥، «الدر المنثور» ٦/ ٦٢٥، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٠٢، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٢، «قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن» ص٢٠، «الناسخ والمنسوخ من كتاب الله» ص١٤٤، «ناسخ القرآن ومنسوخه» ص٤٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣١.

(٥) «تفسير مجاهد» ص٥١٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٤١.

(٦) في (أ): (أكفيكم).

(٧) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٧٧، «إعراب القراءات السبع وعللها» ٢/ ٢٠٣.

الله العدة عن التي[(١)] لم يدخل بها؛ لأن العدة في الأصل استبراء[(٢)] الولد، فإن لم يدخل بها فهي بمنزلة الأمة التي لم يقربها مالكها فليس عليها استبراء. قال مقاتل: إن شاءت تزوجت من يومها[(٣)].

وقوله: ﴿تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ أي: تحصون العدة عليهن[(٤)] بالأقراء والأشهر. وقال صاحب النظم: معنى الاعتداد هاهنا استبقاء العدة منهن؛ لأنها حق للأزواج على النساء استبراء من أن يلحق بهن[(٥)] من ليس منهم، ولانقطاع الأمر في النفقة والسكنى، يقال: عددته ألف درهم فاعتدها أي: استوفاها، وكذلك وزنته حقه فاتزنه، وكلته فاكتاله، أي: استوفاه وزنا وكيلا. كذلك هاهنا: استوفاها عددا.

وروى ابن أبي بزة[(٦)] عن ابن كثير: تعتدونها مخففة، قال قنبل والقواس[(٧)]:

---

(١) في (أ): (النبي)، وهو خطأ.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب.

(٤) في (ب): (عليها).

(٥) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: بهم؛ لأن الضمير يعود للأزواج.

(٦) هو: مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة المخزومي مولاهم الفارسي الأصل، كان مولده سنة ١٧٠ وهو أستاذ محقق ضابط متقن، قرأ على أبيه وعلى عبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان، وعليه قرأ إسحاق بن محمد الخزاعي والحسن بن الحباب وغيرهم، روى عنه القراءة قنبل، توفي- رحمه الله- ٢٥٠ وعمره ثمانون سنة.
انظر: «غاية النهاية» ١/ ١١٩، «السير» ١٢/ ٥٠، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٥٤.

(٧) هو: أبو الحسن أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمر بن صبح بن عون المكي النبال المعروف بالقواس، قرأ على ابن كثير وأبي الإخريط وهب بن واضح =

وهذا مما وهم فيه ثم رجع عنه، وكذلك وهم في تخفيف قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]. قال أبو علي: ولا وجه للتخفيف في مثل هذا، نحو: تشتدونها وترتدونها، وليس كل المضاعف يبدل من حروف التضعيف فيه، إنما يبدل فيما سمع(١). قال قتادة: فإن شئت قلت: قد جاء في التنزيل في هذا النحو الأمران كقوله: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً﴾ [الفرقان: ٥]، قال: وإن شئت جعلته من عدوت الشيء إذا جاوزته، أي: مالكم عليهن من وقت عدة يلزمكم أن تجاوزوا عدده فلا تنكحوا أختها ولا أربعًا سواها حتى تنقضي العدة(٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، اختلفوا في هذه المتعة قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقًا، فإذا فرض لها صداقًا فلها نصفه(٣)، هذا هو الأصح من مذهب الشافعي، وهو أن المطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر؛ لأن الله لم يذكر المتعة مع نصف المهر في سورة البقرة، وهو قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧](٤).

= وغيرهما، وقرأ عليه البزي. وقنبل.
انظر: «النشر» ١/ ١٢٠.

(١) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) ذكر قول قتادة أبو علي في «الحجة» ٥/ ٤٧٨ ولم ينسبه لقتادة، «البحر المحيط» ٨/ ٤٩٠.

(٣) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٢٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) انظر: «الأم» ٥/ ٥٤، «المغني» ١٠/ ١٤٢.

وروى نافع عن ابن عمر قال: لكل مطلقة متاع إلا التي تطلق قبل أن يدخل بها وقد فرض لها، فإن لها نصف الصداق فلا متعة[(١)].

قال قتادة: نسخت هذه الآية التي قبلها في البقرة وهو قوله: ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٣٧][(٢)]. فدلت هذه الأقوال على أنها لا تستحق المتعة إذا طلقت قبل المسيس وبعد الفرض، وإن طلقت قبلهما استحقت المتعة. روي أن شريحًا أخبر رجلًا طلق امرأته ولم يكن لها فرض ولم يدخل بها[(٣)]، وهو مذهب الزهري.

وقال مقاتل: فمتعوهن بنصف[(٤)]، فجعل هذه المتعة بما تستحق من نصف المهر، وهذا إنما يكون إذا كان قد فرض لها، فأما إذا لم يفرض لها فإنها تستحق المتعة واجبة لها على قول أكثر الناس، وبعضهم يقول نسخت ذلك ولا تجب في قوله: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[(٥)] قال مقاتل: يعني: حسنًا في غير ضرر[(٦)].

٥٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾، ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع النسوة والأنكحة التي

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٠، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٢، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٤٨.

(٣) الكلام هنا ناقص لم يتم، والأسلوب غير مستقيم يبدو أن فيه سقطًا ولم أستطع الوقوف عليه.

(٤) لم أقف على قول مقاتل.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٩، «الماوردي» ٤/ ٤١٢، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٣ ب.

أحلها[١] للنبي ﷺ مما يختص به ومما سواه الأمة[٢] في ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ قال المفسرون: يعني: مهورهن، والمعنى: أحللنا لك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق[٣]، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني: الولائد: وهي مارية[٤] القبطية أم إبراهيم، وريحانة[٥] وصفية وجويرية. وقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رجعه ورده إليك من الكفار بأن سبيته وملكته.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ يعني: القرشيات[٦] من بني تميم وعدي ومخزوم وأمية.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ يعني نساء بني زهرة. وهذا مما تساويه الأمة فيه إلا العدد في الحرائر دون الإماء.

---

(١) في (ب): (أحلتها).

(٢) الأسلوب هنا فيه اضطراب، ولعل الصواب: دون ما سواه من الأمة.

(٣) انظر: «الطبري» ٢٢/ ٢٠-٢١، «الماوردي» ٤/ ٤١٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٣.

(٤) هي: مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم، أهداها للنبي ﷺ المقوقس القبطي صاحب مصر، توفيت رضي الله عنها في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ وصلى عليها عمر ودفنت بالبقيع.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٩٦، «الإصابة» ٤/ ٣٩١، «أسد الغابة» ٥/ ٥٤٣٩.

(٥) هي: سرية رسول الله ﷺ واسمها: ريحانة بنت شمعون بن زيد بن قساعة من بني قريظة قتل زوجها في بني قريظة وكانت مع السبي، نفر لها رسول الله ﷺ حينما عرض عليه السبي وأرسلها إلى بيت أم المنذر بنت قبس ثم دخل عليها وخيرها فاختارت الله ورسوله فاعتقها وتزوجها، ماتت رضي الله عنها سنة ١٠هـ حينما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ٤/ ٣٠٢، «أسد الغابة» ٥/ ٤٦٠.

(٦) في (ب): (القريشيات).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ قال مقاتل: إلى المدينة فإن كانت[(١)] تهاجر إلى المدينة لم يحل له تزوجها[(٢)]. وروى السدي عن أبي صالح أن أم هانئ[(٣)] قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله عليه: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾. إلى قوله: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ [قال مقاتل][(٤)]: قالت: لم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء[(٥)]، وهذا يوجب أن الهجرة كانت شرطًا في التحليل، فيحتمل أن يكون الأمر كذلك ثم نسخ كما كانت الوراثة بالهجرة ثم نسخ[(٦)].

قال صاحب النظم: نزلت هذه الآية قبل تحليل غير المهاجرات.

---

(١) هكذا في النسخ! ولعل الصواب كما في «تفسير مقاتل» ٩٤ أ: فإن كانت لم تهاجر.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ أ.

(٣) هي: أم هانئ فاختة وقيل فاطمة وقيل هند والأول أشهر، بنت أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم، ابنة عم النبي ﷺ وأخت علي بن أبي طالب، أسلمت عام الفتح وهرب زوجها واسمه هبيرة بن أبي وهب إلى نجران، فلما انقضت عدتها خطبها النبي ﷺ فقالت يا رسول الله، لأنت أحب إلي من سمعي ومن بصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج.
انظر: «الاستيعاب بهامش الإصابة» ٤/ ٤٧٩، (الإصابة» ٤/ ٤٧٩، «أسد الغابة» ٥/ ٦٢٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٢٠-٢١، ورواه الترمذي في «جامعه» كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب ٥/ ٣٣ رقم الحديث (٣٢٦٦) وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، و الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٢٠ وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٢٨ وزاد نسبته لابن سعد وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧١.

وقوله: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ عطف على ما سبق من المحللات قال ابن عباس: يريد مصدقة بتوحيد الله[١]. قال مقاتل: اليهودية أو النصرانية أو الحربية إن وهبت نفسها للنبي لم تحل له، قال: وإنما قيل هاهنا للنبي ﷺ لأنه لو قيل: إن وهبت نفسها لك، كان يجوز أن يتوهم في الكلام دليل أنه يجوز ذلك لغير النبي ﷺ كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾؛ لأن بنات العم وبنات الخال يحللن للناس[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي آثر نكاحها وأراد ذلك. ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾ قال الفراء: (نصب على القطع يعني: هذه الخصلة يعني: النية في النكاح خالصة لك ورخصة)[٣].

وقال الزجاج: (خالصة منصوب على الحال، المعنى: إنا جعلنا لك هؤلاء وأحللنا لك من وهبت نفسها خالصة لك)[٤]. وقال صاحب النظم: خالصة مصدر كالخاطئة والكاذبة والملاعنة، والمعنى في قوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾ أي: خاصة لك وخاصة أيضًا مصدر مثل خالصة أي خصوصًا لك ذلك من بين أمتك وهو قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ وقال أبو عبيدة: (رجع عن الغائبة إلى المخاطبة والعرب تفعل ذلك كقول عنترة:

سقت مزارها سفين .. .. البيت)[٥].

---

(١) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٧١ غير منسوب لأحد.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ أ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٥ مع اختلاف في العبارة.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٣.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٩. وهكذا ورد في النسخ! وفي «مجاز القرآن» وكذا في بقية المراجع جاء البيت هكذا:

قال الأزهري: الهبة كانت للنبي ﷺ خاصة، ولا يحل لأحد أن تهب نفسها بغير شهود ولا ولي إلا للنبي ﷺ.

وقال ابن عباس: لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال(١).

قال المفسرون: هذا من خصائصه في النكاح وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود، ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة(٢)، وهو مذهب الشافعي- رحمة الله- وأكثر الفقهاء(٣). وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود(٤). واختلفوا في الموهوبة، هل كانت عند النبي ﷺ موهوبة أم لا؟ فمذهب ابن عباس في رواية عكرمة ومجاهد أنه لم يكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بعقد النكاح أو ملك اليمين، وهذا شيء أباحه الله له، فإذا استباحه حل له(٥).

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابها ابنة مخرم

وهو من الكامل، وهو لعنترة في «ديوانه» ص١٩، «شعراء النصرانية» ٦/ ٨٠٩، «الكامل» ١/ ٣٩٩، ٢/ ٧٢٩، «لسان العرب» ٤/ ٣١٤ (زأر)، ٣٣٦ (زور)، انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٣٤ (شطط).

ومعنى البيت: يقول: نزلت الحبيبة أرض أعدائي فأصبح طلبها عسيرًا علي. وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب. انظر: «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» ٢/ ٤٨٤.

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٤٢٤، وذكر الطبري نحوه ٢٢/ ٢١ ونسبه لمجاهد.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٣-٢٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٥، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٥.

(٣) انظر: «الأم» ٥/ ٣٣، «المغني» ٩/ ٣٤٥.

(٤) يروى هذا كما في «المغني» ٩/ ٣٤٥ عن ابن سيرين والقاسم بن والحسن محمد بن صالح وأبي يوسف.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧١.

وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة، ثم اختلفوا، فقال عطاء عن ابن عباس: هي أم شريك العامرية[١]، وهو قول مقاتل[٢].

وقال عروة: هي: خولة بنت حكيم[٣].

وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث[٤] وقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة[٥][٦].

---

(١) هي: أم شريك، واختلف في اسمها فقيل: غزيلة بالتصغير، ويقال عزية بتشديد الياء بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر، اختلف في نسبتها، فقيل: قرشية وقيل: عامرية وقيل: أنصارية. يقول ابن حجر في «الإصابة»: ويمكن الجمع بين الأقوال بأن يقال: هي قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار فنسبت إليهم. يقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٤٥، «الإصابة» ٤/ ٤٤٦، «أسد الغابة» ٥/ ٥٩٤.

(٢) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٧١، ونسب القول لعلي بن الحسين والضحاك ومقاتل، وانظر أيضًا: «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٥ ولم ينسبه لأحد. وذكره «الماوردي» أيضًا ٤/ ٤١٤ ونسبه لعروة بن الزبير، وانظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧١، وذكره «الماوردي» ٤/ ٤١٤، و«ابن الجوزي» ٦/ ٤٠٥ غير منسوب لأحد.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٦ ونسبه لابن عباس.

(٥) هي: زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ، يقال لها: أم المساكين لكثرة إطعامها الطعام لهم، تزوجها رسول الله ﷺ أدخل بها بعدما دخل بحفصة رضي الله عنها ثم لم تلبث زينب عند رسول الله ﷺ سوى شهرين أو ثلاثة حتى ماتت رضي الله عنها، ولم أجد عند من ترجموا لها من ذكر أنها وهبت نفسها للنبي ﷺ والله أعلم.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٠٥، «الإصابة» ٤/ ٣٠٩، «أسد الغابة» ٥/ ٤٦٦.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٠٦.

وقال مقاتل: ثم أخبر الله عن المؤمنين فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة وهذا قول جميع المفسرين(١)، قالوا: فرضنا على أمتك ألا يتجاوز الأربع ولا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود(٢).

قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ قال أبو إسحاق: (ذلك اليمين لا يكون إلا ما يجوز سبيه)(٣) ممن يجوز حربه، فأما من كان له عهد فلا.

وقال صاحب النظم: انتظمت هذه الآية مجاوزة الأربع للنبي ﷺ والهبة، وكان له أن يصطفي من السبي من شاء نبه الله بهذا على من خصه به(٤) دون غيره من أمته؛ لأنه لم يبح لهم من هذه الأصناف التي عددها في التحليل له شيئًا.

قوله ﷻ: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾. فيه تقديم، والمعنى: خالصة لك من دون المؤمنين كي لا يكون عليك، [أي: أحللنا لك ما ذكرنا لكي لا يكون عليك](٥) ضيق في أمر النكاح ومنع من شيء تريده. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ في التزويج بغير مهر للنبي ﵇ ﴿رَّحِيمًا﴾ به في تحليل ذلك. قاله مقاتل(٦).

٥١- قوله ﷻ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ ذكرنا الكلام

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ أ.

(٢) انظر: «الطبري» ٢٢/ ٢٣-٢٤، «الماوردي» ٤/ ٤١٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٣.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: على ما خصه به.

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ أ.

في [معنى][(١)] الإرجاء عند قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] وقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وأكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في إباحة النبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه في ذلك تخصيصًا له وتفضيلًا، فأبيح له لمن أحب منهن يومًا أو أكثر، ويعظل من شاء منهن فلا يأتيها. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد واختيار الفراء والزجاج. فمعنى قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ قال ابن عباس ترجيها من غير طلاق، ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ﴾ وتضم من تشاء تردها إليك[(٢)]. قال مجاهد: تعزل بغير طلاق وتؤوي إليك من تشاء: تردها إليك[(٣)]. وقال الكلبي: تترك من تشاء منهن فلا تأتيها ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ فتأتيها[(٤)(٥)].

قال أبو إسحاق: (خيَّر الله ﷻ نبيه ﷺ فكان له أن يؤخِّر من أراد من نِسائه وله أن يردَّ من أحب إلى فراشه، وليس ذلك لغيره من أمته)[(٦)] وكان القسم والتسوية بينهن واجبًا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار فيهن، قال أبو زيد: وكان ممن آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن وكان ممن أرجى: سودة

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٥، «الماوردي» ٤/ ٤١٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٧.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥١٩، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٥، «الماوردي» ٤/ ٤١٥.

(٤) في (ب): (فتؤتيها).

(٥) لم أقف على من نسبه للكلبي، وقد ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٤ نحو هذا القول وعزاه لقتادة.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٣.

وجويرية وأم حبيبة وميمونة[١] وصفية وكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن فقلن له: اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا على حالنا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: إن أردت أن نؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن وأخرتهن من القسمة وتضمها إليك فلا جناح عليك[٣]. لا ميل[٤] يلوم ولا عتب، والمعنى: أنك إذا أرجأت بعضًا وآويت ثم آويت من أرجأت فلا جناح عليك[٥]، وفي الكلام إيجاز بتقدير وأرجأت من آويت فلا جناح عليك، فدل أحد الظرفين على الثاني؛ لأنه إذا كان له إيواء من عزل وأرجأ كان له إرجاء من آوى.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذا كان من عندنا، قال الفراء: (إذا علمن أن الله قد أباح ذلك رضين إذا كان من عند الله)[٦]. قال أبو إسحاق:

---

(١) في (ب): (وصفية وميمونة) تقديم وتأخير.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٦، وقد ذكر قول ابن زيد لكنه لم يذكر أسماء من آوى ومن عزل. «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٤٥ عن ابن زيد، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٤، ونسب القول لابن رزين، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٠٧ وعزاه لابن رزين أيضًا، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٣٥، ونسبه لابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي زيد.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٣.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: لا لوم.

(٥) الكلام هنا موهم والأسلوب فيه اضطراب، والذي يظهر لي والله أعلم أن الكلام من قوله: (ميل) إلى قوله: (ثم إيواء من أرجأت فلا جناح عليك) كلام زائد وقع خطأ من النساخ.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٦.

إذا كان هذا منزلًا من الله عليك[١] كان أقرب إلى أن يرضين بما آتيتهن كلهن أي ويرضين كلهن بما آتيتهن من تقريب وإرجاء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: من أمر النساء والميل إلى بعضهن، قال صاحب النظم: هذا يدل على أن الله قصد بها التخيير والتيسير[٣] والتسهيل محنة في كل ما أراد منهن، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم. قاله ابن عباس[٤] وذكرت في قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أقوال سوى ما ذكرنا، وسياق الآية [بعضها و][٥] لا يوافقها فتركتها.

٥٢- قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ ويقرأ بالتاء وقال أبو إسحاق: من قرأ بالياء فلأن النساء في معنى جميع النساء تدل على التأنيث فيستغنى عن تأنيث (يحل)، ومن قرأ بالتاء فعلى أن المعنى لا يحل[٦] لك جماعة[٧] النساء[٨].

وقال الفراء: (التاء للنساء والياء بمعنى لا يحل لك شيء من النساء)[٩]، وقال أبو علي: (الياء والتاء جميعًا حسنان؛ لأن تأنيث النساء

---

(١) في (ب): (إليك).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٣.

(٣) في (ب): (التسير).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هكذا في النسخ! ولعلها زيادة من النساخ؛ لأنه يخل بنظم الكلام.

(٦) في (ب): (لا تحل).

(٧) في (ب): (جميع).

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٤.

(٩) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٦.

ليس بحقيقي، إنما هو تأنيث الجمع نحو الجمال والجدوع، والتذكير حسن والتأنيث كذلك)[(١)].

قال ابن عباس: لما خير رسول الله ﷺ نساءه اخترنه شكر الله تعالى ذلك لهن حيث اخترنه فأنزل الله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾[(٢)].

قال مقاتل: حرم عليه تزويج غير التسعة اللاتي اخترنه، فقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد أزواجك التسعة اللاتي عندك[(٣)]، يقول: لا يحل لك أن تزداد عليهن ولا أن تبدل بهن، يعني: بنسائه التسعة من أزواج.

قال ابن عباس: يريد أن تبدل بهذه [العدة][(٤)] غيرهن، فلا يحل لك إلا هؤلاء اللاتي خيرتهن واخترتهن[(٥)]. وقال الضحاك: يعني: ولا أن تبدل بهن بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجًا غيرهن بأن تطلقهن وتنكح غيرهن[(٦)]. فحرم عليه طلاق نسائه اللاتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين، وحرمهن على غيره حين اخترنه، قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ أي: وإن أعجبك لجمالهن[(٧)]، فليس لك أن تطلق من نسائك وتنكح بدلها امرأة بجمالها.

---

(١) انظر: «الحجة» ٥/ ٤٧٩.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٨، «الماوردي» ٤/ ٤١٦، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٩.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.
(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٩، «الماوردي» ٤/ ٤١٦، «زاد المسير» ٦/ ٤٠٩.
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٣١، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٥، «زاد المسير» ٦/ ٤١٠.
(٧) هكذا في النسخ! ولعل الباء زيادة من النساخ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ قال مقاتل: يعني: الولائد[١]. وقال ابن عباس: ملك بعد هؤلاء مارية[٢].

قال الزجاج: موضع رفع المعنى لا يحل لك إلا ما ملكت يمينك، قال: ويجوز أن يكون نصبًا على معنى: لا يحل لك النساء، ثم استثني ما ملكت يمينك[٣].

قال أبو عبيدة: في هذه الآية حرم عليه النساء غيرهن[٤]. فإن روي فيه غير ذلك فهذه الآية منسوخة، يعني: ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء[٥].

قال الشافعي: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه[٦].

وهذه الآية منسوخة على ما قالت عائشة[٧]، وهذا الذي ذكرنا في هذه الآية قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والحسن، قال: قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن[٨]. وفيها أقوال تركناها لضعفها لم نذكرها.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٢٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٤.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٢.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٣٢، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤١١، وأخرجه الترمذي في «سننه» كتاب التفسير، تفسير الأحزاب ٥/ ٣٥ رقم (٣٢٦٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٤٥ عن أم سلمة.

(٦) «الأم» ٥/ ١٢٥.

(٧) انظر: «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٨٥.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٩-٣٠، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٥، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤١٠، «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

قال مقاتل: ثم حذر النبي ﷺ [إن ركب](١) في أمرهن ما لا ينبغي، وذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العمل ﴿رَّقِيبًا﴾(٢) حفيظًا.

٥٣- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية، إنه الحجاب، أصبح رسول الله ﷺ عروسًا بزينب بنت جحش، ودعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود، فنزلت هذه الآية. قال: فقام القوم وضرب الحجاب(٣).

﴿إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: (موضع أن نصب المعنى إلا بأن يؤذن أو لا يؤذن لكم)(٤) ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: إلا أن تدعوا إلى طعام، ومعنى ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: يدعوا، ويجوز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير، فتقدير لا تدخلوا بيوت النبي إلى طعام إلا أن يؤذن لكم.

وقوله: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ قال أبو إسحاق: (غير منصوبة على الحال، المعنى: إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين)(٥) ﴿إِنَاهُ﴾ أي: نضجه وإدراكه

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في جميع النسخ، والتصحيح من «تفسير مقاتل».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ٤/ ١٤٩٩ رقم (٤٥١٣)، ومسلم في النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢/ ١٠٤٨ رقم (١٤٢٨) كلاهما عن أنس.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٤.

(٥) المصدر السابق.

وبلوغه. قال المفسرون(١). قال مجاهد: غير [متحينين](٢) نضجه(٣). المعنى: أنهم كانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام فنهوا عن ذلك، والتقدير: إلا أن يؤذن، لكن وأنتم لا تنتظرون بلوغ الطعام. قال أبو عبيدة: ﴿إِنَىٰهُ﴾ أي: إدراكه، يقال أنى يأني إدراك أنا كما ترى(٤)، وأنشد:

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام(٥)

قال الأزهري ومن هذا قوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وهو الذي قد بلغ غاية الحرارة. وكذلك قوله: ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحديد: ١٦]، وهو أن يأني(٦). وقوله: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال مجاهد: أي بعد أن تأكلوا(٧).

قال مقاتل: كانوا يجلسون عند النبي ﷺ قبل الطعام وبعد الطعام

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٣٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٨، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤١٤-٤١٥.

(٢) غير واضحة في جميع النسخ، والتصحيح من «تفسير مجاهد» ص٥٢٠.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٠.

(٤) هكذا في النسخ! والذي في «مجاز القرآن لأبي عبيدة» ٢/ ١٤٠: أي: إدراكه وبلوغه، ويقال: أني لك أن تفعل يأني أنيًا، والاسم إني وأني: أبلغ أدرك.

(٥) البيت من الوافر، وهو للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٠١ ضمن أبيات قالها حين عاد إلى النعمان فألفاه عليلًا، «جمهرة أشعار العرب» ١/ ١٩٩.
والشاهد فيه قوله: «حاملة» حيث جاء بهذا الوصف متصلًا بتاء التأنيث مع أنه خاص بالإناث لا يوصف به غيرهن، وذلك أنه جعل وصفًا جاريًا على الفعل.

(٦) «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٥٣ (أنى).

(٧) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٠.

يتحدثون عنده طويلًا[(١)]، وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا، فذلك قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ يعني: دخول بيته بغير إذن والقعود؛ لانتظار الطعام يؤذي النبي ﷺ فيستحي منكم أن يخرجكم منها، ومعنى مستأنسين لحديث: مستأنسين له، والاستئناس هو التأنس، ويقال: إذا جاء الليل استأنس كل وحشي[(٢)].

قال أبو إسحاق: (كان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرمًا منه ويصبر على الأذى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدبًا لهم ولمن بعدهم)[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، معناه: لا يستحيي أن يبين لكم ما هو الحق وذكرنا معنى استحياء الله ﷻ عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، فنزل الأمر بالاستتار. قال ابن عباس: وذلك[(٤)] أن عمر -رضي الله عنه- كان عند رسول الله ﷺ في ظلمة البيت فوافقت يده يد امرأة من أزواج رسول الله ﷺ فقال والله لو أطاعني رسول الله لضرب عليكن الحجاب فأنزل الله هذه الآية[(٥)]. وقال أنس: قال عمر: يا رسول الله، يدخل عليك البرُّ والفاجر

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ٨٧ (أنس)، «اللسان» ٦/ ١٥ (أنس).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٥.

(٤) في (ب): وذلك أن الله تعالى عمر رضي الله عنه، وهو خطأ.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤١٩، «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٦.

فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت آية الحجاب[(١)].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: سؤالكم إياهن المتاع من وراء الحجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء[(٢)].

قال أبو عبيدة: العرب[(٣)] يدخلون كان يؤكدون بها الكلام وهو مستغنى عنه وأنشد الفرزدق:

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام[(٤)]

فجعلوا كان لغوًا[(٥)]. قال مقاتل بن حيان: بلغنا أن رجلًا من قريش هوى أن يتزوج عائشة من بعد النبي فبلغ ذلك النبي ﷺ فشق ذلك عليه، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[(٦)] وقال عطاء عن ابن عباس: كان رجل من سادة قريش من

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٣٩، ورواه البخاري في الصلاة ١/ ١١١، وفي التفسير سورة البقرة ٦/ ٣٤، وسورة الأحزاب ٦/ ١٤٨، ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر بن الخطاب ٧/ ١١٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٥.

(٣) في (أ): (تدخل)، وهو خطأ.

(٤) البيت من الوافر وهو للفرزدق في «ديوانه» ٢/ ٢٩٠، «خزانة الأدب» ٩/ ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢، «الكتاب» ٢/ ١٥٣، «لسان العرب» ١٣/ ٣٧٠ (كنن).
والشاهد فيه قوله: «وجيران لنا كانوا كرام» حيث فصل بين الموصوف وهو قوله «وجيران» والصفة وهي قوله «كرام» بـ «كانوا» الزائدة.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٠.

(٦) لم أقف على هذا القول عن مقاتل بن حيان وقد ذكره أكثر المفسرين فقد ذكره الطبري ٢٢/ ٤٠ عن ابن زيد، و مقاتل في «تفسيره» ٩٤ ب، والنحاس في «معاني القرآن» ٥/ ٣٧٣ عن قتادة، والطبرسي ٨/ ٥٧٤ عن أبي حمزة الثمالي.

أصحاب النبي ﷺ من العشرة الذين[١] كانوا معه على حراء) قال في نفسه [لو][٢] توفي رسول الله لتزوجت عائشة وهي بنت عمي فأنزل الله ﷻ ما أنزل[٣].

قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله قال لما نزلت آية الحجاب: نهانا محمد أن ندخل على بنات عمنا- يعني: عائشة- وهما من بني تميم بن مرة ثم قال: والله لئن مات محمد وأنا حي لأتزوجن عائشة، فأنزل الله في طلحة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخرها[٤]. قال أبو إسحاق: أعلم الله أن ذلك محرم بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: ذنبًا عظيمًا[٥].

٥٤- قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ قال مقاتل: أعلم الله أنه يعلم سرهم[٦] ونجواهم وعلانيتهم[٧] فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ أي: تظهروا ﴿شَيْـًٔا﴾ من أمرهن يعني: طلحة[٨]؛

---

(١) ما بين المعقوفين كلام زائد يظهر أنه وهم من النساخ إذ لا معنى له.

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(٣) انظر: «تفسير زاد المسير» ٦/٤١٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/٦٤٣، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وذكره الطبري ٢٢/٤٠ عن ابن زيد.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/٦٤٣، وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي ولعبد الرزاق عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ولابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/٢٣٥.

(٦) في (أ): (سرهن وعلانيتهن).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٤ ب.

(٨) لا يصح مثل هذا عن صحابي كطلحة ﷺ وقد سبق ذكر بعض أقوال العلم ممن أنكر هذه المقولة.

لقوله: يمنعنا محمد من الدخول على بنات عمنا وأضمر هذا القول، ثم قال: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يعني: أو تسروه في قلوبكم يعني: قوله: ليتزوجها من بعد موت النبي ﷺ فهذا الذي أخفاه، فذلك قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ من السر والعلانية[١]. قال عطاء عن ابن عباس: وقدم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فمشى إلى مكة على رجليه وحمل عشرة أفراس في سبيل الله وأعتق رقيقًا، فكفر الله ﷻ عنه ورحمه[٢].

قال المفسرون[٣]: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضًا نكلمهن من وراء حجاب، فأنزل الله تعالى قوله:

٥٥- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ الآية أي: لا جناح عليهن في هؤلاء أن يروهن ويتركن الحجاب منهن.

قال أبو إسحاق: هذه الآية نزلت فيمن يحل للمرأة البروز له ولم يذكر العم والخال؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين في الرؤية وقد جاء في القرآن تسمية العم أبا في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٣][٤].

وقال غيره: هذه الآية تتضمن بيان بعض المحارم[٥]، وقد سبق ذكر الحرم في سورة النور[٦] وهذه بعض تلك الآية.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ.
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٢٨.
(٣) وانظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٧، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٣١، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤١٧.
(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٦.
(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٣١.
(٦) هكذا جاءت العبارة وهو خطأ ولعل الصواب: وقد سبق ذكر المحارم في سورة النور، وقد سبق ذكره في تلك السورة عند تفسير الآية رقم ٣١.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: يريد نساء المؤمنين ولم يرد نساء اليهود والنصارى؛ لأنهن يضفن لأزواجهن نساء النبي ﷺ[١] ونحو هذا قال مقاتل: يعني: كل حرة مسلمة[٢]. وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بهذا: العبيد والإماء من الرجال والنساء[٣]، وقال سعيد بن المسيب: إنما يعني الإماء ولم[٤] يعن الرجال[٥]. ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ أن يراكن غير هؤلاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[٦] من أعمال بني آدم ﴿شَهِيدًا﴾ قال مقاتل: يقول لم يغب عن الله شيء.

٥٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ قال ابن عباس: يريد إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له بالرحمة[٧]. قال مقاتل: أما صلاة الرب فالمغفرة[٨] للنبي ﷺ وأما صلاة الملائكة[٩] فالاستغفار له[١٠].

---

(١) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٧٧، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤١٧، وذكر السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٤٥ وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٢، «الماوردي» ٤/ ٤٢٠، «زاد المسير» ٦/ ٤١٨.

(٤) في (ب): (ولا).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٠، «زاد المسير» ٦/ ٤١٨، «القرطبي» ١٢/ ٢٣٤.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ.

(٧) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس وقد ذكره الطبري غير منسوب لأحد ٢٢/ ٣، وذكره الماوردي ٤/ ٤٢١ عن الحسن وعطاء بن أبي رباح.

(٨) في (ب): (فللمغفرة)، وهو خطأ.

(٩) في (أ): (الاستغفار).

(١٠) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: ادعوا له بالرحمة[١].

وقال مقاتل: استغفروا ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ يعني: التسليم[٢] فيجوز أن[٣] يقول سلمك الله وسلام عليك والسلام عليك فمن قال: السلام على رسول الله أو سلام عليه[٤] أو سلمك الله يا رسول الله فقد سلم وإذا قال العبد اللهم صل على محمد وسلم، فقد أتى بالصلاة والتسليم[٥].

وروي عن كعب بن عجرة أنه قال لما نزلت هذه الآية: قلنا يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «**فقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٦].

ومعنى قوله: علمنا السلام عليك: ما نقول في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وهذه الآية بيان عما في نبوة النبي ﷺ من الحق الذي يقتضي الصلاة عليه كما صلى الله عليه وملائكته ولهذا قال الشافعي ﷺ: لا تصح صلاة في الشريعة إلا بالصلاة على رسول الله والسلام عليه[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ب): (للتسليم).

(٣) في (ب): أن (تقول).

(٤) في (ب): (عليك).

(٥) لم أقف عليه وليس في «تفسير مقاتل».

(٦) رواه البخاري كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ ٤/ ١٨٠٢ رقم الحديث (٤٥١٩)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ١/ ٣٠٥ رقم الحديث (٤٠٦).

(٧) «الأم» ١/ ١٠٣.

٥٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال الكلبي: هم اليهود والنصارى والمشركين[(١)] أما اليهود فإنهم قالوا: يد الله مغلولة وإن الله فقير ونحن أغنياء وقالت النصارى المسيح ابن الله وإن الله ثالث ثلاثة، وقال المشركون: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه [وسبوا][(٢)] رسول الله وكسروا رباعيته وقالوا: مجنون شاعر كذاب[(٣)]. ونحو هذا قال قتادة[(٤)].

يدل على صحة هذا التفسير ما روى عبد الله بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يجعل له يدًا ويجعل له ولدًا وهو على ذلك معافيهم ومعطيهم ويرزقهم**»[(٥)] وحقيقة معنى يؤذون الله يخالفون أمر الله ويعصونه ويقولون في وصفه ما هو منزه عنه والله تعالى لا يلحقه أذى ولكن لما كانت المخالفة فيما بيننا والخروج عن أمر الله يسمى إيذاء له خاطبنا الله بما نعرفه في تخاطبنا.

وقوله: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قال مقاتل: يعني باللعنة في الدنيا: القتل والجلا وأما في الآخرة فإن الله يعذبهم بالنار فذلك قوله[(٦)]

---

(١) هكذا في النسخ وهو خطأ والصواب: المشركون.

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٠ غير منسوب لأحد، الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٢ وعزاه للمفسرين.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب صفات المنافقين، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ ٤/ ٢١٦٠ رقم (٢٨٠٤) عن عبد الله بن قيس: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له ندًا ويجعلون له ولدًا، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم**».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ قال مجاهد: يقضون فيهم بعد ما علموا، يعني: يرمونهم بما ليس فيهم[١]. وروي أن رجلًا شتم علقمة فقرأ هذه الآية[٢].

وقال قتادة والحسن: إياكم وأذى المؤمن فإن الله يغضب له[٣].

واختلفوا في سبب نزوله، فقال عطاء عن ابن عباس: رأى عمر ﷺ جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر، فخرجوا إليه فآذوه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد عمر بن الخطاب[٤].

وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب وذلك أن نفرًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه[٥].

وقال السدي والكلبي: نزلت في أهل الفسق والفجور كانوا يتبعون الإماء بالمدينة يفجرون بهن فكانت المرأة من نساء المؤمنين تبرز للحاجة، فيتعرض لها بعض الفجار يرى أنها أمة وكان الزي واحدًا فتصيح به،

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٥٢٠. ومعنى يقضون: يقذفونهم ويتهمونهم بالفجور.

(٢) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٨٢.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٥، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٥٢ كلاهما عن قتادة وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٥٧ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر، عن قتادة، والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٢ ونسبه لقتادة والحسن والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٠ عن قتادة والحسن.

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٢٠٧، و «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢١.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ أ، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٣.

فيذهب، فشكا المسلمون ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية[(١)].

٥٩- ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء في الزي بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ جمع الجلباب يعني ملاءة المرأة التي تشتمل بها[(٢)].

وذكرنا تفسير الجلباب في سورة النور [النور: ٣٠- ٣١]، قال المفسرون في قوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ يغطين رءوسهن ووجوههن إلا عينًا واحدة، فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى من قول وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[(٣)] هذا قول ابن عباس وابن سيرين[(٤)].

قال أصحابنا: الحكم في الحرة إذا برزت لحاجة أن تلتحف حتى لا يرى منها سوى الصحيحين، وأما الأمة فإنها أيضًا يامرها بالستر والتقنع وإن كانت لا تؤمر في ذلك الزمان.كما روى أن عمر- ﷺ- أنكر على أمة رآها متقنعه[(٥)]. ويجوز تغير الحكم في الأزمنة بتغير أهلها ألا ترى أن أصحاب رسول الله ﷺ منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله ﷺ مع

---

(١) انظر: «الماوردي» (٤/ ٤٢٣) عن الكلبي، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٠، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢١٩.

(٢) انظر: «اللسان» ١/ ٢٧٢ (جلب)، «مقاييس اللغة» (٤٧٠) (حلب).

(٣) (أدنى) مكررة في (ب) وهو خطأ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٦، «ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٥٤، عن ابن عباس، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٠، ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٥٩، وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٩.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٤٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٦٠ وعزاه لابن أبي شيبة عن أبي قلابة ولابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أنس.

قوله: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[(١)(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ١٦-٣٦- ٤٣٨-٤٧٥، ٦/ ٦٩، و الدارمي في «سننه» كتاب الصلاة، باب النهي عن منع النساء من المساجد ٢/ ٢٩٣.

(٢) قول المؤلف- رحمه الله- إن الفتوى تتغير الزمان هذا فيما يكون من الأحكام مبنيًا على عادة النساء وعرفهم ومن المعلوم أن الشرع المطهر أوجب ملاحظة العرف والعادة عند تطبيق الأحكام ولذلك فمما يجب على المجتهد المفتي أن يكون مطلعًا على أحوال الناس عارفًا لمجاري كلامهم في عقودهم ومعاملاتهم فتكون فتواه على حسب ذلك.

ومن هنا تتغير الفتوى حسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال. يقول القرافي رحمه الله فيما نقله عنه د/ عبد الله التركي في «أصول مذهب الإمام أحمد» ص٦٦٤: «إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الإجماع، وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة. اهـ.

وليس معنى هذا أن أحكام الشريعة ونصوصها تتغير بل أن تغير الفتوى بتغير الزمان أو المكان أو حالة الناس هو تطبيق صحيح لأحكام الشريعة ونصوصها ذلك أن الشارع الحكيم جعل تطبيق هذه الأحكام مبنيًا على العرف والعادة. يقول د/عبد الله التركي في المصدر السابق ص ٦٦٥: ولذلك أوجب العلماء على المفتين إذا جاءهم مستفت من غير بلادهم ألا يفتوه بما يفتون به أهل البلد، بل عليهم أن يسألوه عن العرف في بلده وهو يخالف عرف المفتي أو يتفق معه وهل تجدد لهم عرف إذا كان المفتي يعرف عرفهم السابق قال القرافي رحمه الله في هذا: «وهذا أمر متعين وواجب لا يختلف فيه العلماء وان العادتين متى كانتا في بلدين ليستا سواء أن حكمهما ليس سواء». اهـ.

وقد عقد ابن القيم- رحمه الله تعالى- في كتابه «أعلام الموقعين» فصلا عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأعراف وقد ضرب على ذلك أمثلة كثيرة بين فيها اختلاف الحكم من زمان إلى زمان ومن حال إلى حال وما ذاك إلا لاختلاف الزمان والحال، «أعلام الموقعين» ١/ ١٤ ولمزيد من العلم في هذه المسألة راجع الكتب التالية «إعلام الموقعين» ١/ ٧٠، «الفروق» ١/ ٤٤-٤٧، «أصول مذهب الإمام أحمد» د. عبد الله التركي ص٦٦٤-٦٧٠.

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لمن اتبع [أمره رحيمًا به][(١)] قاله ابن عباس[(٢)].

وقال مقاتل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ في تأخير العذاب ﴿رَّحِيمًا﴾ حين لم يعجل بالعقوبة.

٦٠- قال: ثم أوعدهم فقال: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم. ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: الفجور[(٣)]، وهم الزناة وهو قول جميع المفسرين[(٤)] ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قالوا: هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يكرهون من أمر عدوهم ويقولون: قد أتاكم العدو ويقولون [السرايا][(٥)] رسول الله ﷺ إنهم قتلوا وهزموا[(٦)] وذكر الفراء أن قومًا من المؤلفة قلوبهم كانوا يرجفون بأهل الصفة ويشنعون عليهم أنهم هم الذين يتناولون النساء لأنهم عزاب[(٧)]، ومعنى الإرجاف إشاعة الباطل للاغتمام به[(٨)]. وهذا مما

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ ب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٢٧، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٤، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٨٢، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٢.

(٥) لعلها: (عن سرايا).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٨، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٦٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٩.

(٨) قال في «اللسان» (رجف) قال الليث: أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس.

سبق تفسيره.

قوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ قال ابن عباس: لنسلطنك عليهم[(١)]، وهو قول المفسرين وأهل المعاني[(٢)].

وقال مقاتل: لنحملنك على قتلهم[(٣)] ومعنى الإغراء: الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه، وقد مر[(٤)]. ومعنى الآية [إن لم][(٥)] ينته هؤلاء أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي المدينة منهم وهو قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يساكنوك في المدينة، قال ابن عباس: لا يقيمون معك بالمدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا يسيرًا حتى يهلكوا[(٦)]. قال الفراء: (ويجوز أن تجعل[(٧)] القِلَّة من صفة الملعونين كأنك قلت إلا قليلًا ملعونين؛ لأن قوله ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾ يدل على أنهم ملعونون فيعرفون)[(٨)].

٦١- ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مطرودين مبعدين عن الرحمة وعنكم قاله

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٨، «الماوردي» ٤/ ٤٢٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥١.

(٢) انظر: المصادر السابقة و«معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٦، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٧٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٥ ب.

(٤) عند تفسير قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ آية: ١٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) ذكره الطبري ٢٢/ ٤٨، الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٣، و الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٨١ ولم ينسبوه لأحد ولم أقف على من نسبه لابن عباس.

(٧) في (أ): (يجعل) بالياء.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٠ وعبارة الفراء هكذا وقد يجوز أن تجعل القلة من صفتهم صفة الملعونين كأنك قلت: إلا أقلاء ملعونين؛ لأن قوله: «أينما ثقفوا أخذوا» يدل على أنهم يقلون ويتفرقون. اهـ.

المبرد[(١)] .

قال أبو إسحاق: (ملعونين منصوب على الحال لا يجاورونك إلا وهم ملعونين)[(٢)] وذكر الفراء: هذا القول وقولا آخر، فقال: (ملعونين على الشتم وعلى الفعل أي لا يجاورونك فيها إلا ملعونين والشتم على الاستئناف كما قال ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] فيمن نصب ثم استئناف جزاء فقال: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾)[(٣)] أي: مبعدين حيث ثقفوا مبعدين حيث ثقفوا فجعل قوله ملعونين متصلا بما بعده.

قال أبو إسحاق: (ولا يجوز أن يكون [قوله][(٤)] ملعونين منصوبًا بما بعد أيضًا لا يجوز أن يقال ملعونًا أينما أخذ زيد يضرب؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا تعمل فيما قبلها)[(٥)] وقوله: ﴿أُخِذُوٓاْ﴾ قال مقاتل: (وجدوا وأدركوا): ﴿أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ قال يعني خذوهم واقتلوهم)[(٦)].

وقال المبرد: (أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر كما قال «العقرب يقتل» أي: هذا الحكم فيها)[(٧)].

٦٢- قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ الآية قال أبو إسحاق: (المعنى سن

(١) لم أقف على قول المبرد.
(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٦.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٤٩-٣٥٠.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٦.
(٦) لم أقف عليه وليس في «تفسير مقاتل».
(٧) انظر: قول المبرد وفي «تفسير القرطبي» ١٤/ ٤٧، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٢٣، ولم ينسبه لأحد.

الله في الذين بنافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيث ما ثقفوا)[١].
وهذا معنى قول المفسرين في هذه الآية[٢].

٦٣- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ قال الكلبي: إن أهل مكة سألوا النبي ﷺ عن الساعة وعن قيامها فنزلت هذه الآية[٣]. وقال مقاتل: إن النبي ﷺ كان يخطب فسأله رجل عن الساعة فأوحى الله إليه [فقال][٤][٥]: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٦]. ونظير هذه الآية في الأعراف [آية: ١٨٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يقال: دريت الشيء عرفته وأدريته غيري إذا أعلمته ولا معنى أي شيء يعلمك علم الساعة حتى يكون قيامها أي [أنت][٧] لا تعرفه. ثم قال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ والباقي ظاهر إلى قوله:

٦٧- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ (وساده جمع سيد وهو فعله مثل كتبة وفجرة ووجه الجمع بالألف والتاء أنهم قالوا الجُرُزات[٨] والطرقات

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٦.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٩، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٥، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨١، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٣، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٨٣.
(٣) لم أقف عليه منسوبًا للكلبي وقد ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ٦١ قريبًا منه غير منسوب لأحد، وكذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٩٣.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط في (ب).
(٥) في (أ): (فقل)، وهو خطأ.
(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ أ.
(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب).
(٨) في (ب): (الجردات).

والمعنات في [جمع معن][(١)] جمع معين فكذلك يجوز في هذا الجمع سادات، قال أبو الحسن: ولا يكادون يقولون سادات قال وهي عربية)[(٢)].

قال الكلبي: قالوا ربنا أطعنا أشرافنا وعظماءنا فأزالونا عن طريق الهدى[(٣)]. وقال مقاتل: أطعنا سادتنا في الشرف وكبراءنا وذوي الأسنان منا قال وهم المطعمون[(٤)] في غزوة بدر[(٥)].

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ الهدى وهو التوحيد، والتقدير: أضلونا عن السبيل فلما حذف الجار وصار الفعل والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الفرقان: ٢٩] قال أبو عبيدة: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أضلونا عن السبيل[(٦)]. وذكرنا الكلام في نحو قوله: السبيلا والرسولا في أول السورة[(٧)].

٦٨- ثم قالت الأتباع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعنون: القادة والرؤساء أي: عذبهم مثل عذابنا[(٨)] قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾

---

(١) هكذا في النسخ وهو في «الحجة»: معين فيما بين المعقوفين زيادة من النساخ.
(٢) «الحجة» ٦/ ٤٨٠.
(٣) لم أقف على من نسبه للكلبي وقد ذكره «الماوردي» ٤/ ٤٢٣٥، والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٢٤.
(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: المطعمون كما في «تفسير مقاتل».
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ أ.
(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤١ وعبارة أبي عبيدة: أضلني عن السبيل، ومجازه عن الحق والدين.
(٧) عند الآية ١٠.
(٨) هكذا في النسخ والظاهر أنه خطأ؛ لأنه عذاب القادة إذا كان مثل عذاب الأتباع فليس ضعفين وإنما هو مثله وليس كذلك معنى الآية فلعل الكلام مثلي عذابنا.

قال مقاتل: يعني: اللعن على أثر اللعن[(١)]. وقرأ عاصم كبيرًا بالياء على وصف اللعن بالكبر وهو العظم والثاء أشبه بالمعنى؛ لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] فالكثرة أشبه بالمرار المتكررة من الكبر[(٢)]. [مع ما ذكرنا من تفسير[(٣)] مقاتل] ويشهد لصحة قراءة عاصم قول الكلبي في تفسير: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ يقول عذبهم عذابًا كبيرًا[(٤)].

٦٩- وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ قال مقاتل: وعظ الله المؤمنين ألا يؤذوا محمدًا ﷺ بقولهم زيد بن محمد فإن ذلك أذى له كما آذت بنو إسرائيل موسى فزعموا أنه آدر وذلك أن موسى كان فيه حياء شديد وكان لا يغتسل إلا وعليه إزار وكانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، فقالوا ما يمنع موسى أن يتجرد كما نتجرد إلا أنه آدر فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام واستتر بصخرة فوضع ثيابه عليها [ففرت][(٥)] الصخرة بثيابه فاتبعها موسى متجردًا حتى انتهى إلى [ملأ من][(٦)] بني إسرائيل فنظرت إليه [بنو إسرائيل فإذا هو من أحسن[(٧)] خلقًا وأعدله

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ أ.

(٢) «الحجة» ٥/ ٤٨١.

(٣) هكذا في النسخ والذي يظهر أن ما بين المعقوفين زيادة من النساخ إذ لا معنى لها فهي خطأ والله أعلم.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٧) هكذا في النسخ وقد سقطت كلمة الرجال ففي بعض روايات الحديث من أحسن الرجال خلقًا.

صورة وليس به][1] الذي قالوا فذلك قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [وهذا قول ابن عباس][2] والحسن والمفسرين وروي ذلك مرفوعًا عن أبي هريرة بطرق كثيرة[3].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ الوجيه ذو الوجاهة [يقال][4] وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه[5]، وقد قال ابن عباس: [كان[6] عند الله] حظيًا لا يسأله شيئًا إلا أعطاه[7].

وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة[8]. وقال مقاتل: يعني مكينا[9].

٧٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قال الليث: يقال: قل قولًا سددًا أو سديدًا أي صوابًا [والسدد مقصور][10] من

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٧، «تفسير كتاب الله لهود من محكم» ٣/ ٣٨٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٣، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٥.
والحديث رواه البخاري في «صحيحه» كتاب: الاغتسال، باب: من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ١/ ٧٨٩ ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام ٤/ ١٨٤١.

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٥) انظر: «لسان العرب» ١٣/ ٥٥٨ (وجه).

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٧) انظر: «الماوردي» ٤/ ٤٢٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٢٥.

(٨) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٤.

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ ب.

(١٠) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

السداد[١] وأنشد لكعب:

ماذا عليها وماذا كان ينقصها يوم الترحل لو قالت لنا سددا[٢]

وقال شمر: السداد الإصابة في المنطق، يقال: إنه لذو سداد في منطقه وتدبيره ورميه إذا كان مصيبًا. ويقال سديد إذا أتى السداد[٣].

قال ابن عباس: قوله: ﴿سَدِيدًا﴾ صوابًا[٤].

وقال الحسن: صادقًا[٥].

وقال مقاتل: عدلًا وهو التوحيد[٦]. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد شهادة ألا إله إلا الله[٧].

وقال عكرمة والكلبي: هو ألا إله إلا الله[٨].

ومعنى الآية: هو أن الله أمر المؤمنين بالتوحيد والتقوى ووعد عليهما

---

(١) لم أقف على قول الليث.

(٢) البيت من البسيط وهو مختلف في نسبته فهو لكعب كما قال المؤلف وكذا هو منسوب في كتاب: «العين» ٧/ ١٨٤، و «الأفعال» ٣/ ٥٠٠، و «أساس البلاغة» ص٢٠٦ (سدد). وللأعشى في «لسان العرب» ٣/ ٢١٠ (سدد). وليس في «ديوان الأعشى» ولا في «ديوان كعب بن زهير» ولا «كعب بن مالك».

(٣) «تهذيب اللغة» ١٢/ ٢٧٦ (سدد).

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٥٣، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٧.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٣، وعزاه الكلبي، و «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٧ عن الحسن.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ ب.

(٧) انظر: «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٧، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٥٣.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٤.

أن يصلح أعمالهم فقال:

٧١- ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم[١]. قال مقاتل: يزكي أعمالكم[٢].

٧٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[٣] قال ابن عباس: الأمانة الفرائض التي افترضها الله على العباد[٤].

وقال الحسن: هو الدين، فالدين كله أمانة[٥].

وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه[٦].

وقال مقاتل: الأمانة هي الطاعة[٧]. والأمانة في هذه الآية في قول جميعهم: الطاعة والفرائض التي[٨] يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب[٩].

وروى زيد بن أسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأمانة ثلاثة: الصلاة**

---

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٨٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ ب.

(٣) قوله: (والجبال) ساقط من (ب) وهو خطأ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٨٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٤.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٦٨، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ ب.

(٨) في (ب): (الذي).

(٩) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٧، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٨٤، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٥٤.

والصيام والغسل من الجنابة»(١).

وروي عن الحسن في هذه الآية قال: عرضت الأمانة على السموات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قلن(٢) لها: إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتم. قلن: لا، ثم عرضت على الأرضين السبع اللاتي شددن بالأوتاد وذللت للمهاد وأسكنت العباد، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قلن لها(٣): إن أحسنتن جزيتنن وإن أسأتن عوقبتن(٤). قلن: لا، ثم عرضت على الجبال الصم الشم الشوامخ البوادخ الصلاب الصعاب، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن، قلن: لا. فذلك قوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾.

وقال ابن جريج: قالت السموات: يا رب خلقتني وجعلتني سقفا محفوظًا، وأجريت في الشمس والقمر، لا أتحمل فريضة ولا أبتغي ثوابًا ولا عقابًا(٥).

---

(١) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠٢، وفي «تفسير البغوي» ٦/ ٣٨٠ عنه الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع. وقد رجح الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٢٢/ ٥٧ أن المراد بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات.

(٢) كذا في النسخ وهي في «الوسيط» قبل لهن.

(٣) في (ب): (وإن أسأتن جوزيتن عقوبتين)، وهو خطأ.

(٤) لم أقف عليه وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣١٦٠ نحو هذا القول عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» ١٠/ ٣١٥٩ عن ابن جريج.

وقال مقاتل بن حيان: بدأ الله بالسموات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة ولكن علي الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ قلن: يا رب إنا لا نستطيع هذا الأمر وليست بنا قوة ولكنا لك مطيعون.وقال للأرض مثل ذلك، فقالت: لا صبر لنا على هذه يا رب ولا نطيقه، ولكنا لك سامعون مطيعون ولا نعصيك في شيء تأمرنا به. ثم قربت الجبال كلها فقلن مثل ذلك وهذا قول جميع المفسرين(١). وعلى هذا يكون العرض على أعيان هذه الأشياء بأن ركب الله تعالى فيهن العقول ويفهمن(٢) خطابهن حتى فهمن ونطقن بالجواب، ومعنى قوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ أي: مخافة وخشية، لا معصية ومخالفة، والعرض كان تخييرًا لا لزامًا.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ قال ابن عباس: قال الله لآدم: إني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها أفتحملها أنت [بما فيها](٣)؟ قال: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت(٤). قال: فأنا أتحملها بما فيها، فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين الأولى والعصر حتى أخرجه الشيطان منها(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٣، وما بعدها، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٢٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٥٣، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٦، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٨.

(٢) هكذا في النسخ، والذي يظهر أنه خطأ، والصواب هو كما في «الوسيط» ٣/ ٤٨٤ أفهمهن خطابه.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٤) في (ب): (عوقبتم).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٤، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٥٣، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٧.

وقال في رواية عطاء: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يريد آدم ﵇، عرض عليه أداء الفرائض والصلوات الخمس في مواقيتها، وأداء الزكاة عند محلها، وصيام رمضان وحج البيت، على أن له الثواب وعليه العقاب، فقال: بين أذني وعاتقي[(١)].

وقال ابن حيان: قال الله تعالى لآدم: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال آدم: وما لي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فذلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك.قال: قد رضيت ربي وتحملها، فقال الله قد حملتها فذلك قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[(٢)].

وقال ابن عثمان: عرضت على آدم الطاعة والمعصية وعرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية[(٣)]. قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، قال الكلبي: ظلمه حين عصى ربه فأخرج من الجنة وجهله حين احتملها[(٤)]. وقال المقاتلان: ظلومًا لنفسه جهولًا بعاقبة ما تحمل[(٥)]. وهذا معنى قول المفسرين.

---

(١) ذكره الطبري نحوه عن ابن زيد الطبري ٢٢/ ٥٥، ولم أقف على رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٠ عن مجاهد، وابن كثير ٥/ ٥٢٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) لم أقف عليه. وقد ذكر القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٢٥٣ نحو هذا القول عن ابن عباس.

(٤) لم أقف عليه. وانظر: المصدر السابق.

(٥) لم أقف على قول ابن حبان، وانظر: قول ابن سليمان في «تفسيره» ٩٦ ب.

وقال قتادة: ظلومًا للأمانة جهولًا بحقها(١).

هذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآية مذهب الجمهور أهل التفسير، وقال السدي: الأمانة هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانته إياه في قتل أخيه، وذلك أن الله تعالى قال لآدم إن لي بيتًا بمكة فأته. قال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، فقال لقابيل، قال: نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فانطلق آدم ثم رجع وقد قتل قابيل هابيل(٢).

وقال أبو إسحاق: حقيقة تفسير هذه الآية- والله أعلم- أن الله تعالى ائتمن بني آدم على ما افترض عليهم من طاعته، وائتمن السموات والأرض والجبال بقول: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فعرفنا الله أن السموات والأرض لم تحمل الأمانة أي: [أدتها](٣) فكل من خان الأمانة فقد حملها وكذلك من أثم فقد حمل الإثم ويسمى حاملًا للإثم والسموات والأرض أبين أن يحملن الأمانة وأديتها وأداؤهما طاعتهما فيما أمر الله به وترك المعصية، وحملها الإنسان، قال الحسن: أراد الكافر والمنافق حملا الأمانة أي: خانا ولم يطيعا، قال: فهذا المعنى والله أعلم صحيح، ومن أطاع الأنبياء والصديقين والمؤمنين لا يقال ظلومًا جهولًا وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾(٤).

قال الأزهري: [وما علمت أحد شرح في هذه الآية ما شرحه أبو

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٦-٥٧، «تفسير زاد المسير» ٦/ ٤٢٨.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في جميع النسخ والتصويب من «معاني القرآن وإعرابه».

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٣٨ باختصار واختلاف في العبارة.

إسحاق قال: ومما يؤيد قوله[١] في حمل الأمانة أنه خيانتها وترك أدائها قول الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة　　وتحمل أخرى أفرحتك الودائع)[٢][٣]

أراد بقوله: وتحمل أخرى أي: تخونها فلا تؤدها يدلك على ذلك قوله أفرحتك الودائع أي: أثقل ظهرك الأمانات التي تخونها ولا تؤديها، قال أبو علي: وحملها الإنسان أي: لم يؤدها؛ لأن حمل الحامل الشيء إمساك له وخلاف لأدائه وكأنه لم يؤد الأمانة[٤].

٧٣- قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ قال المقاتلان: ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذي أقروا به حين أخرجهم من ظهر آدم ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بأدائهم الأمانة ووفائهم بالعهد والميثاق[٥].

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ فقالا: هؤلاء الذين خانوهما وهم الذين ظلموها[٦].

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هؤلاء أدوها. وقال ابن قتيبة:

---

(١) في (أ): قلبه. وهو خطأ.

(٢) «تهذيب اللغة» ٥/ ٩٣.

(٣) البيت من الطويل وهو لبيهس العذري في «لسان العرب» ٢/ ٥٤١ (فرح)، و«التنبيه والإيضاح» ١/ ٢٥٨، «تاج العروس» ١٧/ ١٣ (فرح). وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٥/ ٩٣، «المخصص» ١٢/ ٣١٤.

(٤) «الحجة» ٥/ ٢٤٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦/ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٠.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٨٧، «تفسير هود» ٣/ ٣٨٦.

أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشارك[١] فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه)[٢] أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في نقص الطاعات، ولذلك ذكرنا بلفظ التوبة وخص بالعذاب والمشرك فدل أن المؤمن العاصي خارج من العذاب وداخل في قوله: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ غفورًا للمؤمنين رحيمًا بهم قاله ابن عباس ومقاتل[٣].

والله تعالى أعلم بالصواب.



(١) هكذا في النسخ وهو عند ابن قتيبة: المشرك.

(٢) انظر: «مشكل القرآن» ص٨٢.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٤٢٧ بهامش المصحف، «تفسير مقاتل» ٩٦/ب.

سورة سبأ

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: له كل ذلك خلقًا وملكًا. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، قال ابن عباس: يريد حيث لا يحمد أحد[1] غيره. وقال مقاتل: يعني يحمده أولياؤه في الآخرة، إذا دخلوا الجنة، فقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده، والحمد لله الذي هدانا لهذا[2]. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ قال ابن عباس: حكيم في خلقه أن يميتهم ثم يحييهم، الخبير لمن أطاعه ومن عصاه[3].

وقال قتادة: حكيم في أمره خبير بخلقه[4].

٢- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من[5] مطر أو كنزًا[6]. قاله

---

(١) في (أ): (أحدًا)، وهو خطأ؛ لأنه نائب فاعل.ولم أقف على القول منسوبًا لابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٦ ب.

(٣) لم أقف عليه. وهكذا جاء في النسخ! ولعل الصواب: الخبير لمن أطاعه؛ لأنه يتعدى بالباء.

(٤) ذكره الماوردي ٤/ ٤٣٢ غير منسوب لأحد، والمؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٨٦.

(٥) (من) ساقطة من (ب).

(٦) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: أو كنز.

الكلبي وغيره[١]. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من مطر أو مصيبة أو رزق. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأشباه ذلك من أعمال العباد. ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبهم ومساوئهم. قاله ابن عباس[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ قال مقاتل: (قال أبو سفيان لكفار مكة: واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدًا، أي: لا نبعث، فلما حلف على ذلك بالأصنام قال الله لنبيه: قل يا محمد: بلى وربي لتأتينكم الساعة)[٣] ثم عاد إلى تمجيد نفسه فقال: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قال أبو إسحاق: (الرفع على وجهين: أحدهما: الابتداء، ويكون ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ الخبر، والثاني: على جهة المدح لله ﷻ، المعنى هو عالم الغيب. ومن قرأ بالكسر فهو صفة لله ﷻ، على تقدير: الحمد لله عالم)[٤]. وقرأ حمزة والكسائي: «علام الغيب» على المبالغة لقوله: علام الغيوب[٥]. وباقي الآية مفسر في سورة يونس[٦].

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٢. وذكره غير منسوب: السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ٦٤، الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٣٢.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وذكره غير منسوب: الماوردي ٤/ ٤٣٢، الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٠.

(٥) انظر: «الحجة» ٦/ ٥، «علل القراءات» ٢/ ٥٤٧، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٩١.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ آية: ٦١.

٤- قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال مقاتل: لكي يجزي في الساعة الذين آمنوا[١]. قال أبو إسحاق: (دخلت اللام جوابًا لقوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: للمجازاة، يعني: من أجل المجازاة)[٢].

٥- ثم بين جزاء الفريقين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا إلى قوله: ﴿رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾. وقرئ: أليم، رفعا وخفضًا. قال أبو إسحاق: (الخفض نعت للرجز، والرفع نعت للعذاب)[٣].

قال أبو علي: (الرجز: العذاب؛ بدلالة قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩]. وإذا كان العذاب، جاز أن يوصف بأليم كما أن نفس العذاب قد جاز أن يوصف به، ومن رفع فهو على نعت قوله: ﴿عَذَابٌ﴾، ومثل هذا في أن الصفة تجري في المضاف، وعلى المضاف إليه أُجري قوله: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ و(خُضر) فالرفع على أن يتبع الثياب، والجر على أن يتبع السندس، وإذا كان الثياب سندسًا، والسندس خضر، فالثياب كذلك، وتقدير قوله: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ عذاب رجز، كما أن قوله: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ معناه: ثياب من سندس. والجر في الأليم أبين؛ لأنه إذا كان عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليمًا، وإذا أجريت الأليم على العذاب كان المعنى عذاب، فالأول أكثر فائدة)[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤١.

(٤) «الحجة» ٦/ ٦.

٦- قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال الفراء: يرى في موضع نصب معناه: ليجزي الذين وليرى الذين[١]. ونحو هذا قال أبو إسحاق[٢]. وليس المعنى ما ذكر؛ لأن اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على ما بيناه، ولا يجوز أن يكون المعنى: لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق، فإنهم[٣] وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حق[٤].

قال الفراء: وإن شئت استأنفت ويرى[٥] فرفعتها[٦]. وهذا هو الوجه لا ما قاله أولا. ومعنى الرؤية هاهنا العلم، قال مقاتل: (يعني: ويعلم الذين أوتوا العلم بالله، يعني: مؤمني أهل الكتاب)[٧]. وقال ابن عباس: يريد أصحاب رسول الله ﷺ[٨].

وقوله: ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ هو فعل عند البصريين، ويسميه الكوفيون عمادًا، وقد بينا الكلام فيه عند قوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. قال الفراء:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٠.

(٣) في (ب): كرر قوله: (فإنهم)، وفي (أ): كرر الجملة: (فإنهم وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حق).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٥٦، «البحر المحيط» ٨/ ٥٢١، «الدر المصون» ٥/ ٤٣٠.

(٥) في (أ): (ترى)، وهو خطأ.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٢.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

(٨) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وقد ذكره أكثر المفسرين عن قتادة.
انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٨٧، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٣، «تفسير الطبرسي» ٨/ ٥٩٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٣.

(ولو رفعت الحق على أن تجعل هو اسما كان صوابًا، أنشد الكسائي:

ليت الشباب هو الرجيع[١] على الفتى
والشيب كان هو البديء الأول[٢]

فرفع ونصب في بيت واحد)[٣].

قوله: ﴿وَيَهْدِي﴾ معناه: الهادي، ولفظ المستقبل كثيرًا ما يراد به لفظ الحال، يقول: تعلمون الحق القرآن الحق الهادي. ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ قال مقاتل: ويدعو إلى دين العزيز في ملكه، الحميد عند خلقه في سلطانه[٤].

وقال الكلبي: يعني المنيع بالنعمة ممن لم يجب الرسل، المحمود في أفعاله[٥].

٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: منكري البعث. قال أبو إسحاق: (هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظامًا ورفاتًا وترابًا)[٦]. وهذا الذي ذكره موافق لما قاله المفسرون[٧].

---

(١) في (ب): (الرجع).

(٢) البيت من الكامل، لم أهتد إلى قائله، وهو في: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٥٢، «الزاهر» ٢/ ٢٢٤، «الدر المصون» ٦/ ٤٣، «الجنى الداني» ص٤٩٣ بلا نسبة.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٢، وقوله: فرفع ونصب، يعني رفع في كان، ونصب في ليت، فالمرفوع هو البديء، والمنصوب الشباب.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤١.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦٠، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٣، «بحر العلوم» ٣/ ٦٦.

ومعنى: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[(١)] إذا صار[(٢)] قطعًا باليًا، قال: فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع، والمزق خرق الأشياء، والتمزيق تفعيل منه، يقال: ثوب مزيق ممزوق متمزق ممزق إذا صار قطعًا باليًا[(٣)].

قال ابن عباس: يريد إذا متم وبليتم[(٤)].

وقال مقاتل: إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم ترابًا، وهذا من قول أبي سفيان يقوله لكفار مكة[(٥)].

قال أبو إسحاق: وفي هذه الآية نظير في العربية لطيف، ونحن نشرحه إن شاء الله. ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب بمزقتم، ولا يجوز أن يعمل فيها جديد؛ لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، والتأويل: هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون، ويكون إذا بمنزلة إن الجزاء يعمل فيها الذي يليها. قال قيس بن الخطيم:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها
خطانا إلى أعدائنا فنضارب

المعنى: يكون وصلها، الدليل على ذلك جزم فنضارب، قال: ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمر، يدل عليه أنكم لفي خلق جديد، ويكون المعنى: هل ندلكم على رجل يقول إنكم إذا مزقتم كل ممزق

---

(١) (إذا) ساقط من (أ).

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: إذا صرتم.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (مزق)، «اللسان» ١٠/ ٣٤٢ (مزق).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس. انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٤، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

بعثتم، كما قال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢، الصافات: ١٦] كأنهم قالوا: أئذا متنا وكنا ترابًا نحاسب ونعذب! قال: ويجوز إنكم لفي خلق جديد؛ لأن اللام إذا جاءت لم يجز [كسر][١] إن، انتهى كلامه[٢].

قال أبو علي الفارسي: (يسأل في هذه الآية عن موضع إذا، وبأي الأفعال يحكم على موضعه، وفي الآية مما يمكن أن ينتصب به الظروف ثلاثة أشياء: قوله: ﴿يُنَبِّئُكُم﴾، وقوله: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾، وقوله: ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، فلا يجوز أن يكون موضع إذا نصبًا بقوله: ﴿يُنَبِّئُكُم﴾؛ لأن إذا لا يجوز أن تكون ظرفًا لهذا الفعل، لأن التنبؤ إنما تقع مثل[٣] الموت وأن يمزقوا بعد الموت، فامتنع أن ينتصب إذا به، وحمل ينبئكم على أنه بمعنى القول؛ لأنه ضرب منه.

فأما قوله: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ فإن جعل موضع إذا نصبا به لزم أن يحكم على موضعه بالجزم[٤]؛ لأن إذا هذه لا يجوز أن تنتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط [بها][٥] بما لا يسوغ أن يحمل عليه الكتاب، لأنه إنما يجزم بها في ضرورة الشعر، وإذا لم يجر[٦] بها أضيف إلى الفعل،

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤١-٢٤٢.

(٣) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: «قبل».

(٤) في (ب): (لزم أن يحكم عليه بالجزم).

(٥) «بها» ساقطة من (ب)، «وبما» ساقطة من (أ).

(٦) هنا سقط في النقل عن أبي علي، فكلام أبي على كما في «المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات» ص٢١٤، جاء هكذا: « إنما يجزم بها في ضرورة الشعر، =

والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله، وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض، وكما لا يعمل[1] المضاف إليه فيما قبله كذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصبا بمزقتم إذا كانت قبلها وحتى مضافة إليها.

ولو قلت: زيدًا غلام ضارب عندك لم يجز، وكذلك سائر ما يتعلق بالمضاف إليه لا يجوز أن يتقدمه. ومما يدل على أن موضع الفعل بعد إذا خفض بالإضافة ارتفاع الفعل المضارع بعدها، نحو: إذا يجيء زيد أكرمه، والفعل المضارع ليس يرتفع حتى يقع موقع اسم مرفوع أو مجرور أو منصوب، وهذا علة ارتفاعه، وإنما ارتفع بعد إذا لوقوعه موقع اسم مجرور، ولا يجوز أن يكون موضع إذا نصب بقوله جديد على تقدير: إنكم لفي خلق جديد إذا مزقتم؛ لأن إذا قبل إن، وما قبل أن لا يجوز أن يعمل فيه ما بعدها، لا يجوز: طعامك إن زيدًا أكل؛ لأن إن للابتداء فهو منقطع عما قبله، وإذا امتنع هذه الوجوه فالناصب لـ (إذا) مضمر يدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ كأنه في التقدير: ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو نشرتم أو ما أشبه هذا من الأفعال التي يكون قوله: إنكم لفي خلق جديد دالًا عليه ومفسرًا له. وإن قدر هذا الفعل قبل إذا كان سابقًا، فيكون ينبئكم يقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق. قال: وقد أجاز شيخ لنا- يعني: السراج-[2] أن يكون

= وإن حمل موضع (إذا) على أنه نصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز؛ لأنه إذا لم يجاز بها أضيفت إلى الفعل والمضاف إليه لا يعمل..».

(١) في (أ): (يفعل).

(٢) هو: أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن أحمد البغدادي السراج القارئ، أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة، ولد سنة ٤١٧هـ وقيل: ٤١٩ له مؤلفات منها: «مصارع العشاق»، و«مناقب الحبش»، ونظم كتاب الخرقي في فقه الحنابلة جعله نظما، توفي رحمه الله سنة ٥٠٠هـ. =

موضع إذا نصبًا بمزقتم)[١] وهو عندي ممتنع لما ذكرت لك. ومثل هذا عندي قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[٢] الآية، وقد تقدم الكلام فيها.

٨- قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ هذا أيضًا من قول الكفار بعضهم لبعض، قالوا: افترى محمد على الله كذبًا حين زعم أنا نبعث بعد الموت، والألف في ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ ألف الاستفهام، وهو استفهام تعجب وإنكار ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقولون: أزعم كذبًا أم به جنون، فرد الله عليهم فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون، هم لأجل ما قالوا ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة، ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا. وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي[٣].

٩- وفي هذه الآية وعظهم وخوفهم ليعتبروا فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال مقاتل: وذلك أن الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض، إن نظر قدامه وإن نظر خلفه[٤].

= انظر: «إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين» ص ٧٥، «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٢٢٨، «الأعلام» ٢/ ١٢١.

(١) «المسائل البغداديات» ص٢١٣/ ٢١٨.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٢٩، انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ. والقول غير منسوب لأحد عند: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٤، «بحر العلوم» ٣/ ٦٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٣.

(٤) لم أقف عليه عن مقاتل. وقد ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٣٥، ولم ينسبه.

وقال قتادة: إنك إذا نظرت عن يمينك وعن[١] شمالك أو من بين يديك أو من خلفك كانت السماء والأرض[٢].

ثم هددهم فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فتبتلعهم .﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ يعني: جانبًا .﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيهلكهم. والمعنى أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم، أنا القادر عليهم لا يعجزونني، إن شئت خسفت بهم أرضي، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء، أفلا يعتبرون ولا يخافون.

وأدغم الكسائي[٣] وحده الفاء من قوله: ﴿نَخْسِف بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾. قال أبو علي: (إدغام الفاء في الباء لا يجوز، فإن جاز إدغام الباء في الفاء نحو: أذهب في ذلك، وذلك أن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الشفايا العليا، فانحدرت الصوت إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الباء صارت بمنزلة حرف من موضع التاء، فلم يجز إدغامها في الباء كما لا يجوز إدغام التاء فيه؛ لزيادة صوت الفاء على صوت التاء. وكذلك الباء[٤] أدغمت في الميم نحو: اصحب مطرًا، وإن لم تدغم هي في الباء نحو: اضمم بكرا، لما فيها من زيادة الغنة التي ليست في التاء. وكذلك الراء لم تدغم في اللام نحو: احتر ليلة، وإن كانت اللام أدغمت في الراء نحو: اغسل راحتك، فما كان من الحروف فيه زيادة وصوت لم يجز إدغامه في مقاربه العادي من تلك، كذلك الفاء مع الباء.

---

(١) في (ب): (أو عن)، زيادة همزة.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٤، «الطبري» ٢٢/ ٦٤، «بحر العلوم» ٣/ ٦٧.

(٣) انظر: «الحجة في القراءات السبع» ص٢٩٢.

(٤) في (ب): (التاء).

اختلفوا في النون من قوله: (نشأ نخسف) أو (نسقط)؛ فقرأ حمزة والكسائي: بالياء، في الأحرف الثلاثة؛ لقوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، والباقون؛ بالنون لقوله فيما بعد: ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾، والنون أشبه بآتينا)[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما يرون من السماء والأرض، لآية تدل على قدرة الله على البعث، وعلى ما يشاء من الخسف بهم وإهلاكهم. ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ قال ابن عباس: راجع إلى مرضات الله[(٢)].

وقال قتادة: تائب[(٣)]. وقال السدي: مقبل إلى طاعة الله[(٤)]. وقال أبو إسحاق: (إن في ذلك علامة تدل على من أناب إلى الله وتأمل ما خلق على أنه قادر على أن يحي الموتى)[(٥)].

١٠- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ أي: أعطيناه من عندنا فضلًا. قال ابن عباس: يريد تفضلت عليه وأعطيته ما لم أعط أحدًا قبله ولا بعده[(٦)]. وقال مقاتل: يعني بالفضل: النبوة والكتاب[(٧)].

قال الكلبي: يعني: النبوة وما أعطي من الدنيا[(٨)]. قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾،

---

(١) «الحجة» ٦/ ٧-٨.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٤٢٩، قال: مقبل إلى الله وإلى طاعته.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦٤، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٩٤.

(٤) لم أقف عليه عن السدي. وقد ذكر «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٥ نحوه عن قتادة، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٣٥، ولم ينسبه.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٢.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٣٥ نحوه، ولم ينسبه.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

(٨) لم أقف عليه منسوبًا للكلبي، وقد ذكره أكثر المفسرين غير منسوب. انظر: «تفسير=

قال أبو عبيدة والزجاج: هو مختصر، المعنى: وقلنا يا جبال ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ ورجعي التسبيح[(١)]. قال المفسرون كلهم: سبحي معه.

قال أبو إسحاق: أوبي معه معناه: رجعي، يقال: آب يؤوب إذا رجع ومعنى رجعي معه أي: سبحي معه ورجعي التسبيح[(٢)].

وقال غيره: التأويب في كلام العرب. سير النهار كله إلى الليل، يقال: أوب تأويبًا، والمعنى: يا جبال أوبي النهار كله إلى الليل بالتسبيح[(٣)]. قال سلامة بن جندل:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وروى أبو عبيد عن أبي عمرو: التأويب أن يسير النهار وينزل الليل[(٤)].

وهذا اختيار ابن قتيبة، (وأنشد للراعي فقال:

لحقنا بحي أوبوا السير بعد ما

دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح[(٥)]

= الماوردي» ٤/ ٤٣٥، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٧، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٦٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٥.

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٢، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٦٠٨ (آب)، «اللسان» ١/ ٢٢٠ (أوب)، «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٢.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٦٠٨ (آب).

(٥) البيت من الطويل، وهو للراعي النميري في «ديوانه» ص٣٩، ونسبه ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص٣٥٣، لابن مقبل. وكذا أبو حيان في «البحر» ٧/ ٦٣، والقرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٢٦٥، و الثعلبي في «الكشف والبيان» ٠٣/ ٢١١ ب.

قال: كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل)[١] .

قال المفسرون: وكانت إذا سبح داود سبحت الجبال معه[٢] .

وقال وهب[٣]: كان داود إذا نادى أجابته الجبال بصداها، فصدى الجبل الذي يستمعه الناس من ذاك[٤] .

قوله ﷻ: ﴿وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ قال أبو إسحاق: (في نصب والطير **ثلاثة أوجه**:

أحدها: أن يكون عطفًا على قوله فضلا[٥]، كأنه آتينا داود فضلا والطير، أي: وسخرنا له الطير)[٦].

وروى هذا يونس عن أبي عمرو[٧].

وقال الفراء في هذا الوجه هو كقولك: أطعمته طعامًا وسقيته ماء[٨].

الوجه **الثاني**: أن يكون نصبًا على النداء، كأنه قيل: ادعوا الجبال والطير، فالطير معطوف على موضع [الجبال][٩] في الأصل، وكل منادى في موضع نصب[١٠].

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦٥، «بحر العلوم» ٣/ ٦٦، «الماوردي» ٤/ ٤٣٥.

(٣) هو: أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الذماري، تقدمت ترجمته.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٦٥.

(٥) في (أ): (فضلنا).

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٣.

(٧) انظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٤٩، «البحر المحيط» ٨/ ٥٢٥، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٨٦- ١٨٧.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٥.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١٠) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٣.

وقال أبو عبيدة: زعم النحويون أن سبيل نصبها كقولك: يا زيد والصلت أقبلا[(١)].

قال الفراء: نصبت الصلة؛ لأنه إنما يدعى بياء أها[(٢)]، فإذا فقدها[(٣)] كان كالمعدول عن جهته فنصب[(٤)]. هذا كلامه. وقول أبي إسحاق: [أوجه][(٥)].

الوجه **الثالث**: أن يكون الطير منصوبًا على موضع مع، كما تقول: قمت وزيدًا، المعنى: مع زيد. والمعنى في الآية: أوبي معه ومع الطير[(٦)]. قال ابن عباس: كانت الطير تسبح معه إذا سبح[(٧)].

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال ابن عباس: حتى صار عنده مثل الشمع[(٨)]. وقال الحسن: كان يأخذ الحديد بيده، فيصير كأنه عجين[(٩)].

وقال قتادة: ألان[(١٠)] الله له الحديد، فكان يعمله بغير نار[(١١)].

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٣.

(٢) في (ب): (بيائها).

(٣) في (ب): (بعدها).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٥.

(٥) هكذا في النسخ! والذي يظهر لي أن ما بين المعقوفين زيادة.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٣.

(٧) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٨٨، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٦.

(٨) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٦٧، «البحر المحيط» ٨/ ٥٢٥.

(٩) نفسه.

(١٠) في (أ): (ألانه)، وهو خطأ.

(١١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٩٦.

وقال الأعمش: ألين له حتى كان مثل الخيوط[١].

وقال مقاتل: كان داود يسرد الدرع لا يفرغها بحديد ولا يدخلها النار، ويفرغ من الدرع في بعض اليوم أو بعض الليلة ثمنها ألف درهم[٢].

١١- قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال أبو إسحاق: (أن اعمل هاهنا في تأويل التفسير، كأنه قيل: وألنا له الحديد؛ لأن يعمل سابغات، ويكون بمعنى: وألنا له الحديد؛ لأن يعمل سابغات، وتصل إن بلفظ الأمر، ومثل هذا من الكلام قولك: أرسل إليه أن قم إلى فلان)[٣]. فأما معنى سابغات، فقال الليث: سبغت الدرع، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ، يقال: مطر سابغ، ونعمة سابغة، وقد أسبغها الله، والدرع السابغة التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولًا وسعة، ويقال: دروع سابغات وسوابغ[٤]، ومنه قول الهذلي[٥]:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٤.

(٤) انظر: قول الليث في: «تاج العروس» ٢٢/ ٤٩٨ (سبغ).
انظر أيضًا: «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٠ (سبغ)، «اللسان» ٨/ ٤٣٢، (سبغ).

(٥) هو: أبو ذؤيب خالد بن محرث الهذلي، مشهور بكنيته، شاعر فحل من أشعر شعراء هذيل، عده ابن سلام في الطبقة الثالثة من طبقات فحول شعراء أهل الجاهلية، شاعر مخضرم قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب، فمات سنة ٢٧هـ تقريبًا رحمه الله.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٢٣، «الشعر والشعراء» ص٤٤٠، «الأعلام» ٢/ ٣٢٥.

أو صنع السوابغ تبع[(١)]

وقال عبد الله بن الزبير:

وسابغة تغشى البنان كأنها

أضاة بضحضاح من الماء ظاهر.

قال أبو إسحاق: (ومعنى سابغات: أي: دروع سابغات، فذكر الصفة؛ لأنها تدل على الموصوف، ومعنى السابغ الذي يغطي ما تحته حتى يفضل)[(٢)]. قال ابن عباس: في قوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ يريد: دروع الحديد[(٣)]. وقال مقاتل: يعني: الدروع الطوال، وكانت الدروع قبل داود إنما هي صفائح الحديد مضروبة[(٤)].

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال أبو عبيدة: (في سردها، يقال: درع مسرودة. وقال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما)[(٥)]

وقال الليث: (السرد: اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الخلق، ويسمى سردًا؛ لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار)[(٦)].

---

(١) هذا جزء من بيت وهو: وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع. وهو من الكامل، لأبي ذؤيب الهذلي في: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٨، «اللسان» ٨/ ٣١ (تبع)، ٨/ ٢٠٩ (صنع)، «المعاني الكبير» ص١٠٣٩، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٦٠، قال هذا البيت يصف متبارزين.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٤.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٥٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٣.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٥٦ (سرد)، «تاج العروس» ٨/ ١٨٧ (سرد).

وقال ابن قتيبة: [والسرد: سجع المدرع][1]. (ومنه قيل، لصانع الدروع: سَرَّاد وزَرَّاد، تبدل من السين زايًا)[2] .

وقال المبرد: السرد نقب المسامير، يقال: درع مسرودة[3] إذا أحكمت مساميرها[4]. قال الأعشى:

ومن نسج داود [مصردة][5] مسرودة

تساق مع الحي عيرا فعيرا[6]

قال الزجاج: (السرد في اللغة: مقدمة شيء إلى شيء حتى ينسق أثره في أثر بعض سابغًا، يقال: سرد فلان الحديث سردا)[7] إذا تابعه، وسرد فلان الصوم إذا والاه، والمتتابع[8] يسمى سردًا. وقيل لأعرابي: ما أشهر الحرم؟ فقال: ثلاثة سرد وواحد فرد. ويسمى الحرز سردا؛ لأنه متتابعة من المحرز[9]، والمحرز يقال له: السراد والمسرد، فجاء من هذا أن اعمل

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في «غريب القرآن» لابن قتيبة، ويظهر أنه زيادة من النساخ؛ إذ لا معنى له والله أعلم.

(٢) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٤.

(٣) في (ب): (مسرود).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (ب)، وهو خطأ.

(٦) البيت من المتقارب، هو للأعشى في: «ديوانه» ص١٤٩، «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٨، «اللسان» ١٣/ ٤٥٠ (وضن)، فقد جاءت الرواية في اللسان: موضونة بدل مسرودة، والموضونة: هي المنسوجة.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٤.

(٨) في (ب): (والتابع).

(٩) في (ب): (الحروف)، وهو خطأ.

الدرع وكل شيء منه يسمى سردًا[(١)].

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: لا تدق المسامير وتوسع الحلق فيسلس، ولا يغلظ المسامير ويضيق الحلق فينقصم[(٢)]، اجعله قدرًا[(٣)].

وقال ابن قتيبة: السرد: المسامير التي في حلق الدرع[(٤)]. وهذا هو الأشبه بالمعنى؛ لأن الكل من أهل التأويل قالوا في معنى الآية: لا تجعل المسامير دقاقًا فتقلق، ولا غلاظًا فتكسر الحلق[(٥)].

وقال مقاتل: يقول قدر المسامير في الحلق، ولا تعظمه فينفصم، ولا تصغره فيسلس[(٦)].

وقال أبو إسحاق: (وهو أن لا يجعل المسمار غليظًا والثقب دقيقًا، ولا يجعل المسمار دقيقًا والثقب واسعًا فيتقلقل، قدر في ذلك أي: اجعله على القصد وقدر الحاجة)[(٧)].

وقال مقاتل[(٨)]: ثم قال الله لآل داود: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قال ابن عباس: يريدوا اشكروا الله بما هو أهله مثل قوله:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٥٦، «اللسان» ٣/ ٢١١، «تاج العروس» ٨/ ١٨٦.

(٢) في (ب): (فينقهم)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٦٨، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٩٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٩٨، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٥٦، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٤.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٤.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾[١].

١٢- ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة، فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قال الفراء: (نصب الريح على: وسخرنا لسليمان الريح، وهي منصوبة في الأنبياء ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [سبأ: ٨٢] أضمر وسخرنا، ورفع عاصم: ولسليمان الريح، لما لم يظهر التسخير، وأنشد:

ورأيتما لمجاشع نعما   وبني أبية جاملا[٢] رغب[٣]

يريد رأيتم لبني أبية، فلما لم يظهر[٤] الفعل رفع باللام)[٥]. فقال أبو إسحاق: (النصب في الريح على الوجه، على معنى: وسخرنا لسليمان الريح، ويجوز الرفع على معنى: [ثبتت][٦] له الريح، وهو يؤول إلى معنى: سخرنا كما أنك إذا قلت: لله الحمد، فتأويله: استقر لله الحمد[٧]، وهو يرجع إلى معنى: أحمد الله الحمد)[٨].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: جامل.

(٣) البيت من الكامل، ولم أهتد إلى قائله، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٥٦- ٤٠١، «ديوان الأدب» ١/ ٣٥٨.
والجامل: جماعة الجمال والنوق، اللسان (جمل) ١١/ ١٢٤، والرغب: كل ما اتسع فقد رغب رغبًا، «اللسان» (رغب) ١/ ٤٢٤.

(٤) في النسخ: (يضمر)، والتصحيح من «معاني القرآن» للفراء.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٦.

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في جميع النسخ، والتصحيح من «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج.

(٧) في (أ): (الوحد).

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٥.

وقال أبو علي: (وجه النصب أن الريح حملت على التسخير في قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [ص: ٣٦] كذلك ينبغي أن تحمل هنا عليه، ووجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان، جاز أن يقال: له الريح على معنى: له تسخير[١] الريح، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب؛ لأنه المصدر المقدر في تقدير الإضافة إلى المفعول به)[٢].

قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا﴾ أي: سير غدو تلك الريح المسخرة له شهر، أي: مسيرة شهر، وعلى هذا التقدير قوله: ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: سير رواحها سير شهر. قال الحسن: (كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر[٣]، وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل[٤]، وما بينهما مسيرة شهر للمسرع)[٥].

وقال السدي: كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب.

---

(١) في (ب): (لتسخير).

(٢) «الحجة» ٦/ ١٠.

(٣) اصطخر: بالكسر وسكون الخاء المعجمة، والنسبة إليها اصطخري، بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس، وبها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك، ومن أشهر مدنها: البيضاء، ومائين، ويزد وغير ذلك، ينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم. انظر: «معجم البلدان» ١/ ٢١١.

(٤) (كابل) بضم الباء الموحدة ولام، من ثغور طخارستان، ولها من المدن: واذان وخواش وخشك وجزه، غزاها المسلمون في أيام بني مروان وافتتحوها، قلت: هي عاصمة جمهورية أفغانستان اليوم.
انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٤٢٦.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٧، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٠٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٨، «البحر المحيط» ٨/ ٥٢٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٦٩.

وهذا قول جماعة المفسرين[١]. قالوا: والمعنى إلى غدوها، إلى انتصاف النهار، إلى الليل مسيرة شهر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: أذبنا له عين النحاس.

وقال ابن عباس والسدي وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل: أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كمجرى الماء في صنعاء، يعمل بها ما أحب كما يعمل بالطين، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان[٢].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: سخرنا له من الجن.

﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمر ربه. قال مقاتل: يعني رب سليمان[٣].

قال ابن عباس: سخرهم وأمرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم به[٤].

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ أي: ومن يعدل .﴿مِنْهُمْ﴾ من الجن .﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ لهم بطاعة سليمان. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ قال مقاتل: يعني الوقود في الآخرة.وهو قول أكثر المفسرين.

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الوقود.وهذا القول على هذا الإطلاق يحتمل ما قال بعضهم: إن هذا العذاب لمن زاغ عن أمر سليمان كان في الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكَّلَ ملكًا بيده سوط من نار،

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٧، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٧٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب.

(٤) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٨، «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٢٩.

فمن زاغ من الجن عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته[١].

١٣- قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ قال مجاهد: بنيانًا دون القصور[٢].

وقال قتادة: قصور ومساجد[٣].

وقال الضحاك ومقاتل: يعني المساجد[٤].

وقال ابن زيد: هي المساكن[٥].

وقال أبو عبيدة: المحراب سيد البيوت[٦].

وقال أبو إسحاق: أشرف موضع في الدار وفي البيت يقال له: محراب[٧].

وقال المبرد: أطبقوا على أنها لا تكون إلا أن يرتقى إليها بدرج[٨]، ومن ذلك قوله: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]. وذكرنا تفسير المحراب في سورة آل عمران[٩].

قوله تعالى: ﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ قال المبرد: جمع تمثال، وهو كل شيء

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٨، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٩.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٥٢٤.

(٣) انظر: «الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٨، «زاد المسير» ٦/ ٤٣٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ أ، «الطبري» ٢٢/ ٧٠.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٠٩.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٧١.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٦.

(٨) لم أقف على قول المبرد.

(٩) عند الآية ٣٧.

مثلته بشيء[١]. وقال الأزهري: (التمثال اسم للشيء المصنوع مشبهًا بخلق من خلق الله، وأصله من: مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهًا، واسم ذلك الممثل تمثال)[٢].

قال المفسرون: هي صورة من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها، قالوا: وهي صورة الأنبياء والملائكة، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، هذا يدل على أن التصوير كان مباحًا في ذلك الزمان[٣].

قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة، وهي[٤] القصعة الكبيرة، والعدد الجفنات[٥] كالجوابي جمع الجابية، وهي الحوض الكبير يجبي الماء أي: يجمعه. قال الأعشى:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق[٦]

قال المفسرون: يعني قصاعًا في العظم كحياض، الإبل يجلس على

---

(١) لم أقف على هذا القول منسوبًا للمبرد، وانظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٩٨ (مثل)، «اللسان» ١١/ ٦١٤ (مثل).

(٢) «تهذيب اللغة» ١٥/ ٩٨ (مثل).

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «بحر العلوم» ٣/ ٦٨، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٩١، «القرطبي» ١٤/ ٢٧٢، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٠.

(٤) في (أ): (وهو).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ١١٢، «اللسان» ١٣/ ٨٩ (جفن).

(٦) البيت من الطويل، وهو للأعشى في «ديوانه» ص٢٢٥، وانظر: منسوبًا إليه في: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٦، «الدر المصون» ٥/ ٤٣٥، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٧٥ والمعنى هنا يقول: صان آل المحلق أعراضهم بالجود، ونفى عنهم الذم جفنة ضخمة تقدم للضيفان كأنها حوض الماء يمده نهر العراق. انظر: «الديوان» ص٢٢٥.

القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها[١]. والقراء يختلفون في إثبات الياء في الجوابي؛ فقرأ ابن كثير بالياء فيها وصلا[٢] ووقفًا، وهو الأصل والقياس؛ لأن هذه الياء تثبت مع الألف واللام، ووقف أبو عمرو بغير ياء؛ لأنه شبهها بالفاصلة والوقف)[٣]. قال أبو إسحاق: لأن الكسر ينوب عنها.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ قال المفسرون: قدور عظام، لها قوائم لا يحركن عن أماكنها ولا يحركن لعظمها، ثوابت على أثافيها، تنحت من الجبال وكانت بأرض اليمن، وكان ملك سليمان ما بين كابل ومصر[٤].

ثم قال: قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ لما أعطيتكم من الفضل والخير[٥] أي: وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما آتاكم. قال أبو إسحاق: (شكرًا ينتصب على وجهين: أحدهما: اعملوا للشكر، أي: اشكروا الله على ما آتاكم. والثاني: ينتصب على المصدر، كأنه قيل: اشكروا شكرًا)[٦]؛ لأنه معنى اعملوا آل داود شكرًا.

قال مجاهد: لما نزلت ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ قال داود لسليمان:

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٦٨، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٠، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٧٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٠.

(٢) في (ب): تقديم وتأخير (وقفًا ووصلا).

(٣) «الحجة» ٦/ ١٠، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٩٣، «البحر المحيط» ٨/ ٥٢٨.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٦٨، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٠، «القرطبي» ١٤/ ٢٧٦، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٠.

(٥) في (ب): (من الخير والفضل).

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٦.

إن الله قد ذكر الشكر، فاكفني قيام النهار أكفك قيام الليل، قال: لا أستطيع. قال: فاكفني إلى صلاة الظهر فكفاه[(١)].

١٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قال المفسرون: كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب الذي يكون في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات سليمان متكئًا على عصاه وبقي كذلك ميتًا سنة، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان، لا يشعرون في موته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتًا، فحينئذ علموا بموته، وعلموا الإنس أن الجن لا تعلم الغيب، فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قال المفسرون: يعني الأرضة[(٢)].

وقوله: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قالوا: عصاه. قال السدي: هي بلسان الحبشة[(٣)]. وقال ميسرة: هي بلغة اليمن[(٤)].

وقال أبو عبيدة: المنسأة التي ينساء بها الغنم[(٥)].

وقال الفراء: هي العصاة العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٦٣، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٠١، «روح المعاني» ٢٢/ ١٢٠ وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٨٠، وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤١، «بحر العلوم» ٣/ ٦٨، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٤٢، «غرائب القرآن» ٢٢/ ٤٥.

(٣) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤١، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٧٨، «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٥.

نسأت البعير: إذا زجرته ليزداد سيره[١].

وقال أبو إسحاق: المنسأة التي ينسأ بها، أي: يطرد ويزجر[٢].

وقال أبو عبيدة: هي التي يضرب بها[٣]. وقال أبو علي الفارسي: هي من نسأت الغنم، إذ سقيتها[٤] وأنشدوا قول طرفة:

أمون كألواح الأران نسأتها   على لا حب كأنه ظهر برجد[٥][٦]

وقال المبرد: المنسأة: العصا؛ لأنها ينسأ[٧] بها الطريق، أي يقصد، يقال: نسأت الناقة، إذا حملتها على الطريق، وأنشد قول طرفة)[٨].

وأكثر القراء على همزة المنسأة. وقرأ نافع وأبو عمرو بغير همز. قال أبو عبيدة: (تركوا همزها كما ترك بعضهم همز البرنة والذرية والنبئ. قال المبرد: بعض العرب يبدل من همزتها ألف فيقول: منساة وينشدون:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: سقتها. انظر: «الحجة» ٦/ ١١.

(٥) في (ب): (حدد)، وهو خطأ.

(٦) البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في: «ديوانه» ص٢٢، «شعراء النصرانية في الجاهلية» ٣/ ٣٠٠، «لسان العرب» ١/ ١٧٣ (نسأ)، ١٣/ ١٥ (أرن)، كتاب «العين» ٨/ ٢٧٨.

ومعنى البيت: الأمون: هي الناقة الموثقة الخلق التي يؤمن عثارها وزللها، والإران: هو النشاط ونسأتها: أي حملتها على السير في هذا الطريق اللاحب هو البين، والبرجد، كساء فيه خطوط وطرائق، فشبه الطرائق بطرائق البرجد. «شرح القصائد السبع الجاهليات» ص١٥١.

(٧) في (أ): (تنسئ).

(٨) لم أقف على القول منسوبًا للمبرد.

وانظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ٨٤، مادة: (نسأ)، «اللسان» ١/ ١٦٩ (نسأ).

إذا دببت على المنساة من كبر   فقد تباعد عنك اللهو والغزل)[١][٢]

وقال أبو علي: (قياس تخفيف الهمزة أن يجعلها بين بين، إلا أنهم خففوا همزتها على غير قياس)[٣].

قوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط ميتًا. ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ الآية. قال المفسرون: تبينت الإنس أن الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾، قالوا: وكذا[٤] كان ابن عباس يقرأها، بتبينت الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب[٥].

وأما معنى قراءة العامة، فقد ذكر [فيه][٦] الفراء وأبو إسحاق وجوهًا بعيدة[٧]. والصحيح ما ذكر أبو عبيدة فقال: (تبينت الجن للناس، أي: تبين للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، ما غيب عنهم لما كانوا في نصبهم وهو ميت)[٨]. ويدل على صحة هذا المعنى قراءة يعقوب: تُبِينت، بضم التاء

---

(١) البيت من البسيط، ولم أقف على قائله، وهو في «اللسان» ١/ ١٦٩ (نسأ)، «الصحاح» ١/ ٦٧ (نسأ)، وكذا هو في «الدر المصون» ٥/ ٣٤٦، «مجمع البيان» ٨/ ٥٩٥، بلا نسبة.

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٥.

(٣) «الحجة» ٦/ ١٢.

(٤) في (ب): (وكذلك).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٤، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤٢، «علل القراءات» ٢/ ٥٤٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨١.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط في (ب).

(٧) انظر: هذه الوجوه في: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٥٧، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٤٧.

(٨) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٦.

وكسر الباء، أي: علم من حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب. وأن على[١] قراءة العامة في محل الرفع على البدل من الجن، هذا وجه قراءة العامة. ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن الجن كانت تتوهم أنها تعلم الغيب، فلما ابتلوا بموت سليمان ولم يقفوا عليه حتى دلتهم الأرضة، علمت أنها لا تعلم الغيب. وعلى هذا الوجه أن في موضع نصب وتبينت بمعنى علمت. وعلى الوجه الأول معناه: ظهرت وانكشفت[٢]. وذكر ابن قتيبة الوجهين معًا[٣].

قال أبو إسحاق: (المعنى أنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم، ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت، وهم يظنون أنه حي يقف على عملهم)[٤].

قال مقاتل: العذاب المهين: الشقاء والنصب في العمل[٥].

١٥- قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ ذكر الكلام والقراءة في سبأ في سورة النمل[٦]. وذكر المفسرون هاهنا ما روي عن فروة بن مسيك[٧] أن رجلًا

---

(١) في (ب): (وأن في).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٢٠٦، «البحر المحيط» ٨/ ٥٣٢، «التبيان» ٢/ ٢٧٧.

(٣) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٧ أ.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ آية: ٢٢. قال: قرئ من سبأ بالإجراء والتنوين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو غير مجرى. قال الفراء: من أجراه فلأنه فيما ذكروا رجل.

(٧) هو: فروة بن مسيك، وقيل: مسيكة بن الحرث بن سلمة المرادي القطيعي، أبو عمر، له صحبة، وفد على النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، فأسلم، فبعثه على =

قال: يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ ما هو، رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «**ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من العرب، فتيامن ستة وتشام أربعة، فأما الذين تساموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومدلج وحمير وأنمار**». فقال رجل: ما أنمار يا رسول الله؟ قال: «**الذين منهم خثعم وبجيلة**»(١).

وقال مقاتل: هو رجل من يشجب بن يعرب بن قحطان، يقال: سبأ بن يشجب، والمراد بسبأ هاهنا: القبيلة(٢).

قوله: (في مساكنهم) وقرئ: مسكنهم، على الواحد، بفتح الكاف وبكسرة(٣).

قال أبو علي: (الوجه الجمع؛ ليكون اللفظ موافقًا للمعنى، لأن لكل(٤) ساكن مسكنًا(٥)، ومن قال: مسكنهم، أي: يكون جعل المسكن

= مراد وزبيد ومذحج، وقد روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الشعبي وأبو سبرة النخعي وغيرهم.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١٩٤، «الإصابة» ٣/ ٢٠٠.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٢٠٣، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٤. وأخرجه أحمد في «مسنده» ١/ ٣١٦، من حديث ابن عباس إلا أنه قال: سأل رجل النبي ﷺ، والترمذي في «سننه» كتاب التفسير: تفسير سورة سبأ ٥/ ٣٩، وقال: هذا حديث غريب حسن، رقم الحديث (٣٢٧٥)، والحاكم في «المستدرك» في تفسير سورة سبأ ٢/ ٤٢٤، وصححه ووافقه عليه الذهبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ أ.

(٣) انظر: «النشر» ٢/ ٣٥٠، «حجة القراءات» ص٥٨٥.

(٤) في (ب): (كل)، وهو خطأ.

(٥) في (ب): (مسكن).

مصدرًا وحذف المضاف، والتقدير: في مواضع سكناهم[١]، فلما جعل المسكن كالسكنى أفرد كما يفرد المصادر، وهذا أشبه من أن يحمله على نحو: كلوا في بعض بطنكم، وجلد الجواميس، وعلى هذا قوله: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥] أي: مواضع قعود، ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود، وهذا التأويل أشبه من أن يحمله على الآخر الذي لا يكاد يجيء إلا في شعر، وأما كسر الكاف؛ فاسم المكان والمصدر من هذا الجنس الذي هو فعل يفعل مفتوحًا، مثل: المحشر ونحوه، وقد يشذ عن القياس المطرد، هكذا وكالمسجد، وسيبويه يحملها على أنه اسم البيت وليس المكان، من فعل يفعل، وكذلك المطلع، والقياس: الفتح)[٢].

وقال أبو الحسن: المسكن بكسر الكاف لغة فاشية، وهي لغة الناس اليوم، والفتح لغة أهل الحجاز، وهي اليوم قليلة[٣].

وقال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة[٤].

قال المفسرون: وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن[٥]. يدل عليه قول النابغة:

مِن سبأَ الحاضرينَ مأربَ إذْ يبنونَ من دونِ سيلهِ العَرِما[٦]

---

(١) في (ب): (مسكنهم).

(٢) «الحجة» ٦/ ١٢-١٤.

(٣) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٣، «البحر المحيط» ٨/ ٥٣٣.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٧.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٣٨.

(٦) البيت من المنسرح، وهو للنابغة الجعدي في «ديوانه» ص١٣٤، «الكتاب» ٣/ ٢٥٣، «جمهرة اللغة» ص٧٧٣، «سمط الآلئ» ص١٨، «اللسان» ١/ ٣٩٦ مادة: (عرم).

قوله: ﴿ءَايَةٌ﴾ أي: علامة تدلهم على قدرة الله، وأن المنعم عليهم هو الله، ثم ذكر تلك الآية فقال: ﴿جَنَّتَانِ﴾. قال الفراء: جنتان مرفوعتان؛ لأنهما تفسير للآية[(١)]. وذكر الزجاج وجهًا آخر فقال: كأنه لما قيل: آية، قيل: الآية جنتان)[(٢)]، وعلى هذا ارتفع بخبر الابتداء المحذوف.

قوله تعالى: ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: يمنة ويسرة. قال مقاتل: عن يمين الوادي وعن شماله[(٣)].

وقال الآخرون: عن يمين من أتاهما وشماله[(٤)].

وقال الفراء: أراد عن أيمانهم وشمائلهم[(٥)]. والمعنى أن الجنتين أحاطت بهم وبمساكنهم يمنة ويسرة.

قوله: ﴿كُلُوا﴾ قال أبو إسحاق: المعنى: قيل لهم ذلك[(٦)].

وقوله: ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ يعني: ثمار الجنتين. قال السدي وأهل التفسير: كانت المرأة تخرج، فتحمل مكتلًا على رأسها وتمر في البستان فتملأ مكتلها من ألوان الفاكهة، من غير أن تمس شيئًا بيدها[(٧)].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ أ.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٧٠، «مجمع العلوم» ٨/ ٦٠٤، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٤٨.

(٥) «معاني القرآن» ٣/ ٣٥٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٨.

(٧) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩٠ عن السدي، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٥ عنه كذلك، و «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٧ عن قتادة، و الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٤، ولم ينسبه.

قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾ أي: على ما رزقكم من النعمة، والمعنى: اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بما أنعم، وهاهنا تم الكلام.

ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾. قال أبو إسحاق: المعنى: هذه بلدة طيبة[١].

قال مقاتل: أرض سبأ بلدة طيبة؛ لأنها أخرجت ثمارها[٢]. فعلى هذا طيبها: كثرة ثمارها. وقال الفراء: ليست بسبخة[٣].

وقال ابن زيد: ليس فيها شيء مؤذ، من بعوضة أو ذباب.

قال: ولم يكن يرى في بلدهم بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب، ويمر الغريب في بلدهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها. وعلى هذا طيبها: طيب هوائها[٤].

قوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ أي: والله رب غفور. قال مقاتل: وربكم إن شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب[٥].

١٦- قوله: ﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾ قال مقاتل: عن الحق[٦].

وقال ابن عباس: يريد فكفروا وكذبوا أنبيائهم[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ أ.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣١٦٥ عن ابن زيد، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩٠ عنه كذلك.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٦) المصدر السابق.

(٧) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٠.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ قال المفسرون: كان الماء يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن، فردموا ردمًا بين جبلين وحبسوا الماء، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وكان يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذًا نقب ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم ففرقها، ودفن السيل بيوتهم[1]، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾.

واختلفوا في العرم ما هو؟ فأكثر المفسرين على أن العرم: السكر[2] والمسناة، وهي التي تحبس الماء[3].

قال السدي وأبو ميسرة: أهل اليمن يسمون المسناة العرم[4]. وهو اختيار الفراء[5]، وابن قتيبة[6]، والمبرد، قال: العرم جمع عرمة، وهي الحاجز بين الشيئين، يسمى السكر[7]، واحتجوا بقول الجعدي[8]:

إذ يبنون دون سيله العرما

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٩، «القرطبي» ١٤/ ٢٨٥، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٥.

(٢) قال في «اللسان» ٤/ ٣٧٥: سكر النهر يسكره سكرًا، سد فاه، وكل شق سد فقد سكر، والسكر ما سد به، والسكر: أيضًا المسناة. اهـ. والمسناة بلغة أهل اليمن.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٥، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٠٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٧٩، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤١٤، «البحر المحيط» ٨/ ٥٣٣، ولم أقف على من نسبه للسدي.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٨.

(٦) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٥.

(٧) «الكامل» ٣/ ١٠٣٣.

(٨) هو النابغة الجعدي، وقد سبق التعريف به، وتخريج البيت كذلك.

وقال مقاتل: العرم اسم الوادي[١].

وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق[٢]. وعلى هذا دل كلام ابن عباس، قال: [يريد][٣] لا يمر بشيء إلا غرقه[٤]. وقال مقاتل: العرم اسم الوادي[٥].

وحكى أبو إسحاق في العرم قولين آخرين: أحدهما: أن العرم اسم الجرذ الذي بنوا[٦] للسكر عليهم، وهو الذي يقال له: الخلد، وذكر ابن الأعرابي أن العرم من أسماء الفأر[٧]. الثاني: أن العرم هو المطر الشديد[٨]. وأصل هذا كله من العرامة، وهي الشدة، ومثله: العرام، ورجل عارم: شديد لا يطاق[٩].

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قال ابن عباس: يريد اللتين كان فيهما الفواكه والثمار .﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الأراك. وهو قول مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي، قالوا:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٩٠ مادة: (عرم).

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ب).

(٤) ذكر المفسرون تفسير ابن عباس للعرم بأنه الشديد. انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨٠، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤١٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٦) هكذا في النسخ! وهو خطأ، إذ الصواب: الجرذ الذي ثقب السكر عليهم. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٨.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٩١.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٨.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٩٠، «اللسان» ٢/ ٣٩٥.

الخمط: الأراك[١]. قال قتادة: وأكله البرير[٢].

وقال أبو عبيدة: الأكل الجني، والخمط: كل شجرة [ثمرة][٣] ذات شوك[٤]. ونحو هذا قال ابن قتيبة، فإن الأكثرين على أن الخمط اسم شجرة[٥]. وإذا كان كذلك، فالأحسن قراءة من لم ينون الأكل وأضافه، وذلك أن الأكل إذا كان الجناء، فإن جنا[٦] كل شجرة منه، والتنوين في هذا ليس في حسن الإضافة، وذلك؛ لأن[٧] الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف للأكل، وإذا[٨] لم يكن وصفًا، لم يجر على ما قبله كما يجري على الموصوف، والتبدل ليس بالسهل أيضًا؛ لأنه ليس هو ولا بعضه؛ لأن الجنا من الشجرة وليس الشجرة من الجنا[٩].

قال أبو الحسن: (في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا، مثل: دار آجر، وثوب خز.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨١، «القرطبي» ١٤/ ٢٨٦، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٦.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨١، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٩٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٦ والبرير: هو ثمر الأراك. انظر: «اللسان».

(٣) ما بين المعقوفين لعلها زيادة من النساخ، إذ ليست من كلام أبي عبيدة.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٧.

(٥) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٦.

(٦) في (ب): (الجنا).

(٧) في (ب): (أن).

(٨) في (ب): (وإذا كان) زيادة كان، وهو خطأ.

(٩) انظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٥١، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٣، «البحر المحيط» ٨/ ٥٣٦.

قال: و ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بالتنوين، ليس بالجيد في العربية)[١]. واختار أبو عبيد التنوين، قال: لأن الأكل هو الخمط في التفسير، فالنعت أولى به من الإضافة، هذا قول أبي عبيد[٢]. والمفسرون على خلاف ما قال، فإنهم جعلوا الخمط الشجر لا الأكل[٣]. وقد قال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجر يقال له: فوه الضبع، على صورة الخشخاش، ينفرك ولا ينتفع به[٤].

قال أبو إسحاق: (يقال لكل نبت قد أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله: خمط)[٥]. ونحو هذا قال المبرد.

ومنه قيل للبن إذا أحمض: خمط[٦]. فهؤلاء جعلوا الخمط اسمًا للمأكول، فيصح على هذا التنوين في الأكل.

قوله: ﴿وَأَثْلٍ﴾ قال مقاتل: يعني شجرة تشبه الطرف، يتخذ منه الأقداح[٧].

وقال الفراء: الأثل شبه بالطرف، إلا أنه أعظم منه طولا[٨].

قال الأزهري: (هو يشبه الطرف إلا أنه أكرم منه، تسوى منه الأقداح الصفر الجياد، ومنه اتخذ منبر النبي ﷺ، وللأثل أصول غليظة يسوى منها

---

(١) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٣، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٧.

(٢) لم أقف عليه. وقد ذكره النحاس في «إعراب القرآن» ص٦٦٤، وأنه اختيار المبرد.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨١، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٩٤، «بحر العلوم» ٣/ ٧٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٦.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٢٦٠، «اللسان» ٧/ ٢٩٦، «روح المعاني» ٢٢/ ١٢٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٩.

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٦، «إعراب القرآن» للنحاس ص٤٦٤.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٩.

الأبواب وغيرها، وورقه عبل كورق الطرف)[(١)].

قال ابن الأعرابي: والأثيل منبت الأراك[(٢)].

قوله: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قال الأزهري: (السدر من الشجر سدران: أحدهما: سدر بري لا ينتفع بثمره، ولا يصلح ورقه للغسول، وربما خمط للراعية، وله ثمر عفص لا يؤكل، والعرب تسميه الضال. والجنس الثاني من السدر ينبت على الماء، وثمره النبق، وورقه غسول، يشبه شجر العناب إلا أن ثمره أصفر مر يتفكه به)[(٣)].

وقال الفراء: ذكروا أنه الثمر[(٤)]. وقال مقاتل: ثمرة السدر النبق[(٥)].

وقال السدي: هذا السدر قليل، يعني: أن الخمط والأثل كانا أكثر في جنتيهم من السدر[(٦)]. قال قتادة في الآية: بينما شجر القوم من خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجرة[(٧)].

١٧- قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾][(٨)] إشارة إلى ما ذكر من التبديل. قال أبو إسحاق: (وموضع ذلك نصب، المعنى ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ ذلك ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾[(٩)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٣٢.

(٢) انظر: قول ابن الأعرابي في «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٣١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٥٣.

(٤) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: السمر، واحدته سمرة. «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٩.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٦) لم أقف عليه منسوبًا للسدي. وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩١، و «الطبرسي في مجمع البيان» ٨/ ٦٠٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٤٦، بدون نسبة.

(٧) انظر: المصادر السابقة، و «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٧.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٩.

﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ بالنون قرأ حمزة والكسائي؛ لقوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ ولم يقولوا جوزوا، من قرأ يجازي بالضم بنى الفعل للمفعول به، والمجازي هو الله، فمعنى القراءتين سواء. وفي تخصيص الكفور بالمجازاة أقوال: أحدها[١]: أن المؤمن يكفر عنه ذنوبه بطاعاته، فلا يجازى بذنوبه التي تكفر، قال الله تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [محمد: ٢] وقال: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، والكافر يجازى بكل سوء يعمله، وهذا قول أبي إسحاق وأبي علي[٢].

وقال الفراء: (معنى جزيناه كافيناه[٣]، والسيئة للكافر بمثلها سيئة، وأما المؤمن فيجزى ولا يجازى؛ لأنه يزاد ويتفضل عليه، وقد يقال: جازيت بمعنى جزيت وأبين الكلام على ما وصفت)[٤]. هذا كلام أهل المعاني[٥].

وأما المفسرون؛ فقال مقاتل: وهل نكافئ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه[٦]. وهذا كقول الفراء.

وقال طاوس: يجازى الكفور ولا يغفر له، والمؤمن لا يناقش الحساب[٧].

---

(١) في (ب): (أحدهما).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٩، «الحجة» ٦/ ١٧-١٨.

(٣) في (ب): (جزيناهم افيناهم).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٠٩، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٥٩، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٤٩.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٠٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٨، «تفسير ابن كثير» ٥/ ٥٤٣.

وقال مجاهد: وهل يجازى: يعاقب[١]. وهذا معنى وليس بتفسير. وبيانه ما ذكر ابن عباس في رواية عطاء قال: يريد لا أجازي بالعقاب إلا من كفر ربوبيتي وجحد نعمتي. فأضمر العقاب والمجازاة[٢]. (وأدغم الكسائي لام هل في نون نجازي، وهو جائز، حكاه سيبويه، قال سيبويه: البيان أحسن؛ لأنه قد امتنع أن يدغم في النون شيء سوى اللام، فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها)[٣].

١٨- قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ قال أبو إسحاق: هذا عطف على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾[٤] الآية. يعني: وكان من قصتهم أنا ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين سبأ ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾. قال المفسرون: قرى الشام والأرض المقدسة: الأردن وفلسطين[٥]. قال مقاتل: باركنا فيها بالشجر والماء[٦]. قوله: ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ قال أبو إسحاق: (كان بين سبأ والشام قرى متصلة بعضها ببعض، يبيتون بقرية ويقيلون بقرية، لا يحلون عقدة حتى يرجعوا إلى أهليهم[٧] [ساعون من حيث نزلوا ما يأكلون][٨] لا

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٥٢٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «الحجة» ٦/ ١٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٠.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨٣، «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٣٩٥، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤٤، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٨٩.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨/ ب.

(٧) في (ب): «أهلهم».

(٨) ما بين المعقوفين يظهر -والله أعلم- أنه كلام زائد من النساخ؛ إذ لا معنى له.

يحتاجون من وادي شيئًا إلى زاد[(١)]. وحقيقة معنى قوله ظاهرة، أن الثانية تظهر من الأولى لقربها منها، كما قال الحسن: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية فيروح فيأوي إلى قرية، فإذا خرج من إحداها رأى الأخرى فظهرت[(٢)]. [أي][(٣)].

وقال صاحب النظم: ليس من قرية إلا وهي ظاهرة، والمعنى أنها قرى متقاربة تتوالى، فإذا كان الرجل في قرية منها كانت التي تليها ظاهرة لعينه ينظر إليها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ قال مقاتل: للمبيت والمقيل من قرية إلى قرية[(٤)]. قال الفراء: (جعل ما بين القرية إلى القرية نصف[(٥)] يوم، فذلك تقدير السير)[(٦)]. قال أبو إسحاق: (جعلنا سيرهم بمقدار، حيث أرادوا أن يقيموا حلوا بقرية)[(٧)].

وقال ابن قتيبة: (جعلنا السير بين القرية إلى القرية مقدارًا واحدًا)[(٨)].

وقوله: ﴿سِيرُوا۟﴾ أي: وقلنا لهم سيروا .﴿فِيهَآ﴾ في تلك القرى.

﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ متى شئتم السير ليلا أو نهارًا.

---

(١) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب كما هو في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٤٤٤: لا يحتاجون من وادي سبأ إلى الشام إلى زاد.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤٤، «القرطبي» ١٤/ ٢٨٩، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٨.

(٣) هكذا في النسخ! ويظهر أنها زائدة من النساخ.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٥) في (ب): (لضعف)، وهو خطأ.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٣٥٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٠.

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٦.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من الجوع والعطش والسباع والتعب، ومن كل خوف. قاله ابن عباس ومقاتل[(١)].

١٩- قال المفسرون: ثم إنهم سئموا الراحة وبطروا النعمة، وكرهوا ما كانوا فيه من الخصب[(٢)] والسعة في كفاية القدح في المعيشة كقوم موسى حين قالوا: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] وهؤلاء من جملة من دخل في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] فلم يشكروا ربهم، وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي: اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز؛ لنركب إليها الرواحل ونتزود الأزواد. وقرئ: ﴿بَعِّدْ﴾، وهو مما فيه وفعل بمعنى واحد كقولك: ضاعِف وضعِّف، وكذلك خلافه[(٣)] قارب وقرب. ومعنى قراءة من قرأ على الخبر: ﴿رَبُّنَا باعَدَ﴾، أنهم استبعدوا سفرهم على قرية بطرا وأشرا، وقراءة العامة معناها الدعاء وسؤال الله أن يبعد بين أسفارهم[(٤)].

وقوله: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قال ابن عباس: بكفرهم وتكذيبهم أنبيائهم[(٥)].

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يريد لعن بعدهم، يتحدثون بأمرهم وشأنهم.

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ مزقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق،

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٠، «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

(٢) في (ب): (الحطب)، وهو خطأ.

(٣) في (ب): (خلاف).

(٤) «الحجة» ٦/ ١٩.

(٥) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٠.

وذلك أن الله تعالى لما غرق مكانهم وأذهب جنتيهم تبددوا في البلاد فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة، فيقولوا: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ[١].

قال الشاعر:

من صادر أو وارد أيدي سبأ[٢]

وقال كثير:

أيادي سبأ يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر[٣]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني فيما فعل بسبأ. ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعبرًا ودلالات. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال ابن عباس: عن معاصي الله، (شكور) لأنعم الله[٤].

وقال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء، إذا ابتلي شاكر لله على نعمه[٥].

٢٠- قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وقرئ: صَدَقَ، بالتشديد والتخفيف.

قال أبو إسحاق: صدقه في ظنه أنه ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك، فمن شدد نصب الظن؛ لأنه مفعول به، ومن خفف نصب

---

(١) هذا مثل للعرب، يضرب للقوم إذا تفرقوا. انظر: «مجمع الأمثال» ٢/ ٤.

(٢) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله، وهو في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥١، «اللسان» ١/ ٩٤ بلا نسبة.

(٣) البيت من الطويل، هو لكثير عزة في «ديوانه» ص٣٢٨، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٦٨٧، «اللسان» ١/ ٩٤.

(٤) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وقد أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩٣، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٩١ بدون نسبة.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٨ ب.

الظن، على معنى صدق ظنا ظنه، وصدق في ظنه[1] هذا كلامه. وشرحه أبو علي فقال: معنى التخفيف أنه صدق ظنه، أي الذي ظن بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم، وذلك نحو قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] و﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] وهذا ظنه؛ ذلك عن يقين، لأنه لم يقل بظنه[2] على هذا ينتصب انتصاب المفعول به، ويجوز تعديته إلى المفعول به كما قال:

فإن تك ظني صادقي فهو صادقي[3]

ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف، على تقدير: صدق عليهم الظن، على أنه مفعول به وعدي صدق إليه كما قال:

فإنْ لم أصدِّق ظنكَ بتيقنٍ فلا سقتِ الأوصالَ منّي الرواعدُ[4].

واختلف المفسرون في هذه الآية؛ فمذهب ابن عباس في رواية عطاء أزال كناية في قوله: ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ عن أهل سبأ[5]. وقال في قوله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يريد قليلًا من الذين صدقوا الأنبياء

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥١.

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: فظنه، كما في «الحجة» ٦/ ٢١.

(٣) شطر بيت من الطويل، لم أقف على قائله، وقد ورد في «إملاء ما من به الرحمن» ٢/ ١٩٧، وكذا في «الدر المصون» ٥/ ٤٤٢. وجاء البيت بتمامه في «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٧ برواية:

إن يك ظني صادقًا وهو صادقي بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا

ونسبه محققه إلى مكبرة بنت بردام شملة، تقول: إن يك ظني بشملة صادقًا يحبسهم، أي القوم الذين قتلوا أباه بتلك المعركة محبسا صعبا يدركه فيه ثأر أبيه

(٤) بيت من الطويل ولم أقف على قائله.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨٧، «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٠.

وآمنوا بالله. وعلى هذا الاستثناء من سبأ، وهم من آمن منهم. ومذهب مجاهد[١] أن الكناية عن الناس كلهم، قال: صدق ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله. وهو ظاهر مذهب المفسرين. قال مقاتل: يعني عباده المخلصين لم يتبعوهم في الشرك[٢]، وهم الذين قال الله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

٢١- وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى ما امتحنا بإبليس إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم، وهو الذي يجازون عليه[٣]. وشرح ابن قتيبة الآيتين شرحًا شافيًا فقال: إن إبليس لما سأل الله النظرة فأنظره قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ الآية. وقال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٤] وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقنًا أن ما قرره فيهم يتم، وإنما قاله ظانا، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم، ثم قال: وما كان تسليطنا إياه[٥] إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين، يعني: نعلمهم موجودين ظاهرين فيحق القول ويقع الجزاء، فأراد جل وعز: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمن ظاهرًا، وكفر الكافر ظاهرًا موجودًا كقوله:

---

(١) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٨، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٩٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٢.

(٤) قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾.
وقال في سورة الحجر: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الآية: ٣٩.

(٥) في (ب): (إلا إياه)، وهو خطأ.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢][(١)]، وقد مر الكلام فيه[(٢)]. وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وجميع المفسرين في هاتين الآيتين[(٣)]. قوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ قال مقاتل: كل شيء من الإيمان والشك رقيب[(٤)].

٢٢- قوله: ﴿قُلِ﴾ أي: لكفار مكة. ﴿ٱدْعُواْ﴾ استنصروا، واستعينوا كقوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي: الذين زعمتم أنهم آلهة وأنهم ينصرونكم، فأضمر مفعول الزعم، قال المفسرون[(٥)]: يعني الشركاء والملائكة وجميع من عبدوهم من دون الله.

قال مقاتل: يقول: ادعوهم فليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع[(٦)]. ثم وصفهم وأخبر عنهم فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من خير وشر ونفع وضر. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ يريد: ما شاركونا في شيء من خلقهما. ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ وما لله. ﴿مِنْهُم﴾ من الشركاء والمعبودين. ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ من معين على شيء. قال مقاتل: ثم

---

(١) «تأويل مشكل القرآن»: ص٣١١-٣١٢.

(٢) عند تفسير الآية ١٤٢ من آل عمران.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨٧، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٤٧، «مجمع البيان» ٨/ ٦٠٨، «زاد المسير» ٦/ ٤٤٩، «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٨٨، «بحر العلوم» ٣/ ٧٢، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٩٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٥١.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

ذكر الملائكة الذين يرجون شفاعتهم.

٢٣- وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ يعني: شفاعة الملائكة. ﴿عِندَهُۥٓ﴾ عند الله[١]. ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ قرئ: بضم الهمزة وفتحها، فمن فتح بنى الفعل للفاعل، وأسنده إلى ضمير اسم الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، ومن ضم الهمزة بنى الفعل للمفعول وهو يريد هذا المعنى[٢]. والآذن في القراءتين هو الله تعالى، كقوله: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ والمجازي في الوجهين هو الله تعالى. قال الفراء: أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة، ويقال: حتى يؤذن له فيمن يشفع، فيكون (من) للمشفوع له[٣].

وذكر أبو إسحاق أيضًا الوجهين جميعًا فقال: ويجوز أن يكون [من][٤] في قوله: ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ للشافعين؛ لأنه كنى عنهم بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ والذين فزع عن قلوبهم هاهنا الملائكة، هذا كلامه. وتقدير الوجهين: إلا لمن أذن له في أن يشفع إذا كان (من) للشافع، وإن جعلت (من) للمشفوع فالتقدير: إلا لمن أذن له في أن يشفع له[٥].

وكلام المفسرين في هذه الآية يدل على أن (من) للمشفوع له؛ قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن وحد الله[٦] كقوله في الأنبياء

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٢) انظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٥٣، «حجة القراءات» ص٥٨٩.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٢.

(٦) انظر: «الوسيط» ٣/ ٢٩٤، «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣١.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال مقاتل: لا تنفع شفاعة الملائكة عنده لأحد إلا لمن أذن له أن يشفعوا له من أهل التوحيد. قال: ثم أخبر عن خوف الملائكة[(١)] فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ وقُرِئ: فَزَع، بفتح الفاء والزاي.

قال أبو عبيدة: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: نفس عنها[(٢)].

وقال الفراء وأبو إسحاق: فزع: كشف الفزع عن قلوبهم، وفزع: كشف الله الفزع عن قلوبهم[(٣)]. ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في أذن وأذن[(٤)].

والتفزيع يريد المعنيين: أحدهما: إزالة التفزيع بالتمريض[(٥)]، وقد جاء مثل هذا في أفعل، قالوا: أشكاه[(٦)] إذا أزال عنه ما يشكوه، ويقال: فزعه وأفزعه، إذا روعه. قال ابن عباس: يريد سوى عن قلوبهم[(٧)].

وقال قتادة والكلبي: جلي عن قلوبهم[(٨)]. وقال مقاتل: انجلى الفزع

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٧.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦١، «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٥٣.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٧. قال: معنى التأذين: النداء والتصويت للإعلام، ثم أحال على قوله ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾.

(٥) في «الوسيط»: والتفزيع إزالة الفزع كالتمريض. فلعل ما أثبت هنا خطأ، والصواب ما بينته من الوسيط.

(٦) في (ب): (مشكاه).

(٧) ذكر بعض المفسرين قول ابن عباس: جلي عن قلوبهم. انظر: «الماوردي» ٤/ ٤٨٤، «القرطبي» ١٤/ ٢٩٥.

(٨) لم أقف عليه منسوبًا لهما، وقد نسبه الطبري ٢٢/ ٩٠ لابن عباس.

من قلوبهم[١]. وهو معنى وليس بتفسير. وأما معنى الآية روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان** فـ ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ الآية»[٢].

وروي عن أنس بن سمعان[٣] أنه قال: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السموات منه رعدة شديدة خوفًا من الله، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا[٤] وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله بما أراد من وحيه، فيمضي به جبريل على الملائكة سماء سماء، كلما مر

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: التفسير: تفسير سورة سبأ ٤/ ١٨٠٤ رقم الحديث (٤٥٢٢) وتمامه: «فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع» الحديث، وأخرجه الترمذي في «سننه» كتاب التفسير: تفسير سورة سبأ ٥/ ٤٠، رقم الحديث (٣٢٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) هكذا ورد في (أ)، وفي (ب): (أنس سمعان)، وهو خطأ، والصواب هو: النواس بن سمعان، فهو راوي هذا الأثر، ولم أجد فيما عندي من مراجع راويا لهذا الحديث بهذا الاسم.

والنواس بن سمعان هو: النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط العامري الكلابي، ويقال: الأنصاري، له صحبة، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه جبير بن نفير الخضرمي وأبو إدريس الخولاني. يقال: إن أباه سمعان وفد على النبي ﷺ وأهدى إليه نعليه فقبلهما وزوج أخته من النبي ﷺ، ويقال: إنه لما دخل بها تعوذت منه فتركها، وهي الكلابية، والله أعلم.

انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٥٣٩، «الإصابة» ٣/ ٥٤٩، «أسد الغابة» ٥/ ٤٥.

(٤) في (ب): (ضعفوا).

بأهل سماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل. فيقول: الحق[١].

وروى الزهري عن أبي إدريس[٢] قال: إذا تكلم الله جل ثناؤه وجدت السموات ومن فيهن رجفة، حتى إذا ذهب ذلك عنها نادى بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾[٣].

وقال ابن عباس: إذا تكلم الله بالوحي، يسمع أهل السموات صوتا كصوت الحديد على الصفا، فيخرون سجدًا لذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا..[٤] الآية. ونحو هذا قال ابن مسعود[٥].

وقال قتادة والكلبي: لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبعث الله محمدًا، أنزل الله جبريل بالوحي، فلما نزل، ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من الساعة فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع يرفعوا رؤوسهم[٦]، وقال بعضهم لبعض: ماذا

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٢١٩.

(٢) هو: أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله، ويقال فيه: عيذ الله بن إدريس بن عائذ الخولاني، تقدمت ترجمته.

(٣) لم أقف عليه عن أبي إدريس من طريق الزهري. وقد أورد الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٢١٩ أ، هذا الأثر من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله.

(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٦٩٧، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) الأثر المروي عن ابن مسعود ﷺ، أخرجه بو داود في «سننه» كتاب: السنة، باب: في القرآن ٤/ ٢٣٥، رقم الحديث (٤٧٣٨)، و«الطبري» ٢٢/ ٩٠. وأورده السيوطي في «الدر» (٦/ ٦٩٩) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي.

(٦) هكذا جاء الكلام في النسخ! وفيه اضطراب، والصواب: فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض. انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٩٧.

قال ربكم؟ قالوا: الحق، يعني الوحي(١). ونحو هذا قال مقاتل(٢) سواء. وعلى هذا إنما يكون فزعهم من هول قيام الساعة.وهو اختيار الفراء، والزجاج(٣). وعلى ما ذكرنا أولا إنما فزعوا للوحي. هذا مذهب المفسرين في هذه الآية.

ويبقى إشكال في النظم، وهو أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كيف يليق بما تقدم من الكلام، وأين الخبر عن فزعهم حتى يذكر زوال الفزع؟ قال صاحب النظم: لا يكاد يكون حتى إلا متصلة بخبر قبلها، ولم يتقدم هاهنا في الظاهر شيء تكون هي معطوفة عليه فهي في الظاهر منقطعة مما قبلها ومبتدأة، وهي في الباطن متصلة بمعنى متقدم مضمر، ومعنى فزع عن قلوبهم قد جاء في التفسير أخرج منها الفزع، فهذا دليل على أنه يصيبهم فزع شديد من شيء يحدث عليهم من أقدار الله ﷻ، ولم يقل الله حتى إذا فزع عن قلوبهم إلا وهم يفزعون. هذا كلامه. وشرح هذا أن حتى هاهنا منقطع في اللفظ عما قبله، وقد ذكرنا جواز هذا عند قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾(٤)، وهو في المعنى متصل بمضمر دل عليه الظاهر، وذلك أن فزع معناه: أخرج الفزع، وإخراج الفزع يدل على حصوله وحدوثه، فكأنه قد ذكر فزعهم من الوحي أو من هول قيام الساعة على ما ذكر المفسرون حتى إذا أزيل ذلك الفزع قالوا: ماذا قال ربكم. ومعنى الآية: أن

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» ٥/ ٤١٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٥٣، و «القرطبي» ١٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦١، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٣.

(٤) سورة يونس: الآية ١١٠.

الله أعلمهم أن الملائكة الذين يعبدونهم بهذه الحال من الخوف والفزع، فكيف يعبدون من هو بهذه الصفة.أفلا يعبدون من تخافه الملائكة؟!

ومذهب مجاهد والحسن وابن زيد في هذه الآية: أن الكناية في قوله: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ للمشركين، يقول: حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم في الآخرة إقامة الحجة عليهم، قالت الملائكة لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ فأقروا حين لا ينفعهم[١]. وعلى هذا القول أيضًا وجه النظم ما ذكر .

وقوله: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ قال الزجاج وأبو علي: التقدير: قالوا: قال الحق[٢] .﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، قال مقاتل: يعني الرفيع الذي فوق خلقه، الكبير العظيم فلا شيء أعظم منه[٣].

٢٤- قوله: ﴿قُلْ﴾ أي: لكفار مكة .﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة يونس[٤]. وهذا احتجاج عليهم بأن الله الذي يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره مما لا يرزق، وأخبر عنهم في سورة يونس أنهم يعتقدون بأن الرزاق هو الله، وهو قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾. وهاهنا أمر النبي ﷺ بأن يقول: الرزاق هو الله، هو قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾. والمعنى: استفهم عن الرزاق، ثم أخبر أني أنا الرزاق، وذلك أنه إذا استفهم لم يمكنهم أن يثبتوا رازقًا غير الله، فثبت الحجة عليهم بقوله ﷺ،

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٧، «الطبري» ٢٢/ ٩٢، «الماوردي» ٤/ ٤٣٨، «القرطبي» ١٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٣.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ أ.

(٤) آية ٣١ .

أي: هو الله. وقال صاحب النظم: هذا محمول على أنه لما أمر بقوله: ﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾ بعد الأمر قل لهم ذلك، فقالوا له: فمن يرزقنا، فأجابهم الله بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وتم الكلام، ثم أمره بأن يخبرهم أنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ الآية، على تقدير: ثم قل: وإنا أو إياكم.

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: الألف صلة للكلام يريد ألف أو[1]. وشرح صاحب النظم هذا فقال: أو هاهنا بمنزلة واو النسق، وتأويلهما مبتدآن مجموعان لها جوابان مجموعان، فيرد إلى كل واحد منهما ما يقتضي، وهو أن يكون الهدى لقوله: ﴿وَإِنَّآ﴾، والضلال لقوله: ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾، قلنا في أشباهه مثل قوله: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] فابتغاء الفضل بالنهار والسكون بالليل، ومنه قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسًا لدي
[ذكراها][2] العناب والحشف البالي[3]

وهذا الذي ذكره صاحب النظم، هو معنى قول أبي عبيدة قال: معناه

---

(١) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩٤، ولم ينسبه لأحد.

(٢) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: وكرها.

(٣) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في «ديوانه» ص٣٨، «الكامل» ٢/ ٧٤٠، «شرح شواهد المغني» ١/ ٣٤٢، ٢/ ٥٩٥، ٨١٩.
يقول: كأن قلوب الطير رطبا: العناب، ويابسًا: الحشف البالي. انظر: «شرح ديوان امرئ القيس» ص١٦٦.

إنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين[١]. وهو معنى قول مقاتل: نحن وأنتم أمر واحد أن أحد الفريقين لعلى هدى، يعني: النبي نفسه وأصحابه، وإنكم لفي ضلال مبين، يعني: كفار مكة[٢]. وعلى هذا القول يجب أن يكون أو في، قوله: ﴿أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ وقوله: ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ يعني واو النسق، وهو مذهب المفسرين. قال الفراء: (معنى «أو» معنى الواو عند المفسرين، والعربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة الواو كما تقول: خذ درهمًا أو اثنين، فله[٣] أن يأخذ واحدًا أو اثنين، وليس له أن يأخذ الثلاثة، وفي قول من لا يبصر العربية ويجعل «أو» بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ الثلاثة؛ لأنه في قولهم بمنزلة: خذ درهمًا واثنين.

والمعنى في ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾: إنا لضالون أو مهتدون، وهو تعالى يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال، وأنت تقول في الكلام للرجل: والله إن أحدنا لكاذب، فكذبته كذبًا غير مكشوف، وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف، كقولك لمن قال فلان وهو كاذب في ذلك قل: إن شاء الله، أو قل: فيما أظن، فتكذبه بأحسن من صريح التكذيب)[٤]. ونحو هذا قال الكسائي والأخفش والمبرد، قالوا: ليس معنى أو هاهنا الشك، وقد يتكلم بمثل هذا من لا يشك، كقول القائل: أنا اختار كذا ويختار ابن[٥] كذا وأحدنا مخطئ،

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ ب.

(٣) في (ب): (قيله).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٢.

(٥) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: فلان.

وليس يشك في خطأ صاحبه، وأنشدوا لأبي الأسود.

يقول الأرذلون بني[١] قشير طوال الدهر ما ننسى عليا
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشدًا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا[٢]

فقاله عن غير شك، وقد أيقن أنه ليس بغي، ولكنه استظهار في الحجاج[٣].

وقال أبو إسحاق: في التفسير وأنا على هدى وإنكم إلى ضلال، وهذا في اللغة غير جائز لكنه يؤول إلى هذا المعنى، والمعنى: إنا لعلى هدى أو في ضلال، وهذا كما يقول القائل: إذا كانت الحال تدل على أن أحدنا صادق أو كاذب ويؤول معنى الآية إلى: إنا لما أقمنا من البرهان لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين هذا كلامه[٤]. وهو موافق لقول الفراء[٥]. وتلخيص الآية: أن أو ظاهرة للشك وليس المعنى على ذلك، والمفسرون راعوا حقيقة المعنى، ولذلك جعلوا أو بمنزلة الواو.

٢٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي: لقومك.﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ قال ابن عباس: لا تؤاخذون بجرمنا، ولا نسأل عن كفركم وتكذيبكم، وهذا

---

(١) هكذا في (أ)، وفي (ب): (بين)، وهو خطأ، والصواب: بنو؛ لأنه بدل.

(٢) الأبيات من الوافر، لأبي الأسود الدؤلي، وهي من ديوانه ص١٧٦-١٧٧، وانظرها منسوبة إليه في: «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٨، «الكامل» ٣/ ٩٣٦، «مجمع البيان» ٨/ ٦١٠، «روح المعاني» ٢٢/ ١٤٠.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٤٥، وذكر القول ونسبه للمبرد: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٢٩٩، ولم أقف على قول الكسائي.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٣.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٢.

على التبري منهم ومن أعمالهم[(١)] كقوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. وهذا مما نزل قبل السيف[(٢)].

٢٦- ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني بعد البعث في الآخرة يوم القيامة.﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ ثم يقضى ويحكم بيننا بالعدل .﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ﴾ القاضي .﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يقضى.

٢٧- قوله: ﴿قُلۡ﴾ للكفار .﴿أَرُونِيَ﴾ أعلموني.﴿ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: ألحقتموهم بالله في العبادة معه شركاء، وهو نصب على الحال، وفي الآية محذوف به يتم المعاني[(٣)] بتقدير: هل يرزقون ويخلقون وينفعون ويضرون، ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ [قال أبو إسحاق: معنى كلا][(٤)] قالوا لما قال لهم: ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ هم[(٥)] هذه الأصنام أو ما أشبه ذلك من الكلام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾.

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣١، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين، ولم ينسبوه لابن عباس.

(٢) وبهذا القول- وهو أن هذه الآية منسوخة بآية السيف- قال بعض العلماء، ومنهم: ابن القاسم البذوري في «قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن» ص٢٠، هبة الله بن سلامة المقري في «الناسخ والمنسوخ من كتاب الله ﷻ» ص١٤٥، وابن البارزي في «ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه» ص٤٥.ومن العلماء من لا يرى النسخ في هذا الموضع، وإنما فيه بيان أن كل أحد مؤاخذ بعمله، فلا تظلم نفس شيئًا.وممن قال بعدم النسخ: مكي بن أبي طالب في «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٨٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٥٥. ولعل هذا هو الراجح؛ لإمكانية الجمع بين الآيتين دون الحاجة إلى القول بالنسخ، إذ لا تعارض بينهما.

(٣) هكذا في (ب)، وفي (أ): (المعالي)، وهو تصحيف، إذ الصواب: المعنى.

(٤) ما بين المعقوفين يظهر أنه زائد؛ لأن كلام أبي إسحاق ذكر بعد سطر.

(٥) (هم) ساقط في (ب).

قال أبو إسحاق: (معنى كلا ردع وتنبيه، المعنى: ارتدعوا عن هذا القول وانتهوا عن ضلالكم)(١). وهذا يدل على أنهم أجابوا النبي ﷺ بما يوجب زجرهم وردعهم.قوله: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر على ما ذكرتم إلحاق الشركاء(٢) به الذي يضر وينفع ويخلق ويرزق.﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد لجميع الخلق(٣). وقال مقاتل: يعني عامة(٤). وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة(٥). وعلى هذا يجب أن يكون التقدير: إلا للناس كافة، كقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾، وقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾، فيكون المعنى: وما أرسلناك إلا للناس كلها عامة أحمرهم وأسودهم(٦). وذكرنا معنى الكافة(٧) فيما تقدم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٤.

(٢) هكذا جاءت العبارة، والذي يظهر أنه خطأ، فقد جاءت العبارة في الوسيط: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من إلحاق الشركاء الوسيط ٣/ ٤٩٥.

(٣) انظر: «الماوردي» ٤/ ٤٥٠، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٤٩٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ ب.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٩، «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٧.

(٦) ويزيد هذا القول ويدل عليه الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله، أخرجه مسلم في «صحيحه» ١/ ٣٧٠ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث (٥٢١)، قال جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود» الحديث.

(٧) لعله عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال: وقوله (كافة) يجوز أن يكون معناه: ادخلوا جميعًا، ويجوز أن يكون معناه: في السلم كافة، أي في جميع شرائعه.

وقال أبو إسحاق: (المعنى: أرسلناك جامعًا للناس بالإنذار والإبلاغ)[(١)].

والكافة على هذا معناه: الجامع الذي يمنع أن يشذوا[(٢)]، النبي ﷺ جامع للناس كلهم في الإنذار والتبشير [جامع][(٣)] مانع من أن يشذ واحد عن حكم رسالته.

والهاء في الكافة تكون للمبالغة، ويجوز أن يكون الكافة مصدرًا على فاعلة، كالخاينة والكاذبة واللاعنة، ويكون[(٤)] التقدير على حذف المضاف بمعنى: إلا ذا كافة للناس، أي: ذا منع لهم من أن يشذوا عن تبليغك. وهذا الوجه يقوي قول من ذهب في معنى الآية إلى أنه بعث ليكف الناس عما هم عليه من الكفر. ولا يحتاج في هذا القول إلى تقدير التقديم والتأخير، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة[(٥)].

٢٩- وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون بالوعد[(٦)] للعذاب الذي ينزل بهم بعد الموت في قول ابن عباس[(٧)]. وإنما قالوا هذا؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث. وقيل: يعنون العذاب النازل بهم في الدنيا. وهو قول

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٤.

(٢) هكذا جاءت العبارة، ولعل المراد يمنع الناس أن يشذوا، كما تفسره العبارة التالية.

(٣) هذه الكلمة زيادة من (ب)، وليست مثبتة في (أ).

(٤) (يكون) ساقطة من (ب).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ ب.

(٦) في (ب): (بالولد)، وهو تصحيف.

(٧) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣١، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٥٦، ولم ينسب لابن عباس.

الربيع[١].

٣٠- فقال الله: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ الآية. قال ابن عباس: يريد يوم القيامة[٢].

وقال الضحاك: يوم النزع والسياق.وعلى قول الربيع هو يوم بدر؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا[٣].

٣١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: مشركي مكة .﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني التوراة والإنجيل[٤].

قال الفراء: لما قال أهل الكتاب صفة محمد ﷺ في كتابنا، كفر أهل مكة بكتابهم[٥].

ثم أخبر الله عن حالهم في الآخرة بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال مقاتل: يعني: مشركي مكة[٦].

﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾، قال: يجادل بعضهم بعضًا[٧].

---

(١) لم أقف عليه عن الربيع. وقد ذكره القرطبي ١٤/ ٣٠١ نحو هذا القول، ولم ينسبه.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣١، ولم أقف عليه منسوبًا لابن عباس عند أحد من المفسرين.

(٣) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٩٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٥٦.

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٤١، وذكره «تفسير الطبري» ٢٢/ ٩٧ وعزاه لقتادة، و«تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥١ وعزاه للسدي.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ ب.

(٧) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣١.

وقال مقاتل: يرد بعضهم على بعض القول[١].

ثم أخبر عن جدالهم وما يجري بينهم فقال: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ وهم الأتباع. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ يعني: الذين تكبروا عن الإيمان، وهم الأشراف القادة. ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ معشر الكبراء. ﴿لكُنَّا مؤمنين﴾ مصدقين بتوحيد الله.

٣٣- وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، قال قتادة: بل مكركم بالليل والنهار[٢].

وقال الكلبي ومقاتل: بل قولكم لنا بالليل والنهار[٣].

قال الأخفش: الليل والنهار لا يمكران لأحد، ولكن يمكر فيهما، كقوله[٤]: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] وهذا من سعة العربية[٥].

وقال المبرد: (أي بل مكركم بالليل والنهار، كما تقول العرب: نهاره صائم وليله قائم، أي: هو قائم في ليله صائم في نهاره.

وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم)[٦][٧]

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٩٩ ب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤١٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٠٢.

(٣) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٤٠١، فقد نسب القول للكلبي، ولم أقف عليه منسوبًا لمقاتل وليس في تفسيره.

(٤) في (أ): (كقولك)، وهو تصحيف.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٣.

(٦) البيت من الطويل، وهو لجرير في «ديوانه» ص٩٩٣، «الكتاب» ١/ ١٦٠، «لسان العرب» ٢/ ٤٤٢ (ربح)، «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٥، ٨/ ٢٠٢.
والشاهد فيه: وصف الليل بالنوم اتساعًا ومجازًا.

(٧) «الكامل» ١/ ١٨٨، ٣/ ١١٧٠.

وأنشد سيبويه:

قيام لي ويحل هي..[١]

أي: نمت فيه، ونحو هذا قال الفراء[٢] والزجاج[٣]. وذكر في مكر الليل والنهار قولان آخران، كلاهما غير سائغ في اللغة والتأويل فتركتهما، وذكرنا معنى قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ في سورة يونس[٤].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال ابن عباس: غلو بها في النيران والشركاء، وهم من الشياطين[٥].

وقوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ استفهام معناه التوبيخ، والتقدير: إلا جزاء ما كانوا يعملون. قال مقاتل: من الشرك في الدنيا[٦].

٣٤- وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: نبي ينذر أهل تلك القرية .﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ قال ابن عباس: الملوك وأهل الغنى[٧]. وقال

---

(١) هكذا جاء في النسخ! وهو تصحيف، والصواب: فنام ليلي وتقضى همي.
وهو رجز لرؤبة في «ديوانه» ص١٤٢، «المحتسب» ٢/ ١٨٤.
والشاهد فيه قوله: فنام ليلي، يريد نمت في ليلي، فنسب الفعل إلى الليل للملابسة التي بين الشاعر وبيته.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٤.

(٤) آية ٥٤.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٠٥.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس، وذكره أكثر المفسرين. انظر: «الطبري» ٢٢/ ٩٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤١٩، «الماوردي» ٤/ ٤٥٢.

مقاتل: أغنياؤها وجبابرتها[١]. وقال أبو إسحاق: أو[٢] الترفه وهم رؤساؤها[٣]. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ وهو التوحيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ قال ابن عباس: يعني مشركي [مكة][٤]، افتخروا على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بأموالهم وأولادهم، وظنوا أن الله تعالى إنما خولهم بالمال والولد الكرامة لهم عنده فقالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: أن الله قد أحسن إلينا بالمال والولد فلا يعذبنا، فقال ابن عباس[٥]: أنكروا البعث والقيامة، فقال الله تعالى لنبيه:

٣٦- ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ يعني: أن بسط الرزق وتضييقه من الله تعالى يفعله ابتلاء وامتحانًا، وليس شيء منه يدل على ما في العواقب، فلا البسط يدل على رضا الله، ولا التضييق يدل على سخطه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: أهل مكة. ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك حيث ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة لهم عند الله.

٣٧- ثم صرح بهذا المعنى فقال: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي﴾ قال الفراء: (جعل التي جامعة للأموال والأولاد؛ لأن الأولاد يقع عليها التي وكذلك الأموال، فصلح أن يقع عليهما جميعًا التي، ولو قيل بالتي أو بالذين جاز، كما تقول: أما العسكر والإبل فقد أقبلا، ولو قيل: بالذين،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: أولوا، كما في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٥.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) لم أقف عليه. وانظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٠٥، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥٢.

يذهب إلى تذكير الأولاد وتغليب بني آدم لجاز، ولو قال: لو وجهت التي إلى الأموال واكتفيت بها من ذكر الأولاد لصلح، كما قال الأسدي[١]:

نحن بما عندك وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[٢][٣].

واختار أبو[٤] إسحاق هذا القول فقال: (المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم، ولا أولادكم بالذين يقربونكم، ولكنه حذف اختصارًا وإيجازًا)[٥].

قوله تعالى: ﴿تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: يريد قربي[٦].

---

(١) هو: أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي، نسبته إلى فقعس من بني أسد ابن خزيمة، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كثير الشعر، وكان مفرط القصر ضئيلا.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٤٠، «معجم الشعراء» ص٤٠٨.
والبيت من المنسرح، وهو من الأبيات المختلف في نسبتها، فقد نسبها المؤلف- رحمه الله- للأسدي، بينما نسبه سيبويه في «الكتاب» ١/ ٧٥ لقيس بن الخطيم، وأورده ابن هشام في «مغني اللبيب» ٢/ ٦٢٢ غير منسوب لأحد، وكذا في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص٦٧٧، وفي «المقتضب» ٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣. وقال الأستاذ: محمد عبد الخالق عظيمة محقق كتاب «المعتصب» ٤/ ٧٣: والبيت نسبه إلى قيس بن الخطيم سيبويه، وكذلك فعل الأعلم وصاحب «معاهد التصيص» ١/ ١٨٩. و«صحح البغدادي في الخزانة» ٢/ ١٨٩ نسبة الشعر إلى عمرو بن امرئ القيس. والقصيدة التي فيها هذا الشاهد في ديوان قيس بن الخطيم، طبع بغداد، ص٨١. أ هـ.

(٢) في (ب): (يختلف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٣.

(٤) في (ب): (ابن)، وهو تصحيف.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٥.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس. وقد نسبه إلى مجاهد: «الطبري» ٢٢/ ١٠٠، (الماوردي» ٤/ ٤٥٣، الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦١٥.

وقال مقاتل: يعني قربة(١).

قال الأخفش: زلفى هاهنا اسم المصدر، كأنه أراد بالتي تقربكم عند تقربنا(٢).

وذكرنا معنى الإزلاف عند قوله: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾](٣) ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الشعراء: ٩٠]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾(٤) قال الفراء: إن شئت أوقعت التقريب على من، أي: لا تقرب الأموال إلا من كان مطيعًا(٥). ونحو هذا قال الزجاج، قال: موضع من نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم، على معنى: ما تقرب الأموال إلا من آمن وعمل بها في طاعة(٦).

وعلى هذا يجب أن يكون الخطاب في قوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾ للمؤمنين والكافرين. والوجه أن يكون قوله: إلا من، استثناء منقطعًا، على تقدير: لكن من آمن وعمل صالحًا. وعلى هذا يدل تفسير ابن عباس، [فإنه](٧) قال في قوله: إلا من آمن وعمل صالحًا [يريد] أن عمله

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.
(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٤٥، وعبارة الأخفش: بالتي تقربكم عندنا إزلافًا.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٦٤. وموضعها بياض في (ب). وقال في هذا الموضع من «البسيط»: وقال أبو عبيدة: أزلفنا جمعنا، قال: ومن ذلك سميت مزدلفة جمعا. ثم قال: والزلف المنازل والمراقي؛ لأنها تدني المسافر والراقي إلى حيث يقصده، ومنه قوله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾.
(٤) موضع (إلا) بياض في (ب).
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٣.
(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٥.
(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

وإيمانه يقر [بأنه] مني[١]. ولم يفسر بان أمواله وأولاده تقربه حتى يكون مستثنى من الخطاب الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ قال ابن عباس: يريد يضعف الله لهم حسناتهم[٢].

وقال مقاتل: يجزي بالحسنة الواحدة عشرًا فصاعدًا[٣]. وقال أبو إسحاق: (جزاء الضعف هاهنا عشر حسنات، تأويله: فأولئك لهم جزاء الضعف الذي قد أعلمناكم مقداره، وهو من قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠])[٤].

وقال ابن قتيبة: لم يرد أنهم يجازون على الواحدة بواحدة مثله ولا [اثنين][٥]، كيف هذا والله يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ولكنه أراد لهم جزاء الضعف، أي: التضعيف، وجزاء التضعيف الزيادة، أي: لهم جزاء الزيادة. قال: ويجوز أن يجعل الضعف في معنى الجميع[٦]، أي: جزاء الأضعاف، ونحوه ﴿عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١])[٧]. وقد مر تفسير الضعف عند قوله: ﴿عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾[٨]، وتأويل

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٢.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠/أ.
(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٥.
(٥) ما بين المعقوفين غير واضح في جميع النسخ، والتصحيح من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.
(٦) في (ب): (الجمع).
(٧) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٧-٣٥٨.
(٨) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

قوله: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ وهو أن يجازي بالواحد[١] عشر إلى ما زاد، فمعنى إضافة الجزاء إلى الضعف وهو الجزاء، كإضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظ، ويضمر المضاف إليه زيادة معنى نحو: حق اليقين، وصلاة الأولى.﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: من الخير في الدنيا.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ يعني: غرف الجنة آمنون من الموت. قاله مقاتل[٢].

وقال ابن عباس: يريد غرفا من ياقوت ودر وزبرجد آمنون من الموت والعذاب[٣].

(وقرأ حمزة: في الغرفة، على واحدة؛ لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]. فكما أن الغرفة، يراد بها الكثرة والجمع، كذلك قوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ يراد بها الكثرة واسم الجنس، وحجة الجمع قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨]. وكما أن غرفا جمع كذلك الغرفات ينبغي أن تجمع، والجمع بالألف والتاء قد تكون للكثرة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقول آخر:

لنا الجفنات الغر[٤]

---

(١) في (ب): (بالواحدة).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.

(٣) انظر: «القرطبي» ٣٠٦/١٤.

(٤) جزء من بيت، وتمامه:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والبيت من الطويل، وهو لحسان بن ثابت في «ديوانه» ص١٣١، «الكتاب» =

فهذا لا يريد إلا الكثرة؛ لأن ما عداها لا يكون موضع افتخار(١).

٣٩- قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، وروى أبو عبيد عن اليزيدي: أخلف الله لك(٢). وروى سلمة عن الفراء قال: سمعت: أخلف الله عليك، ويقال: أخلف الله لك، أي: أبدل الله لك ما ذهب(٣). ويقال: قد أخلف الشجر إخلافًا، وذلك إذا أخرج ورقًا بعد ورق قد تناثر، والآية مختصرة؛ لأن المعنى فهو يخلفه لكم أو عليكم. قال سعيد بن جبير: وما أنفقتم من شيء في غير الإسراف ولا تقتير فهو يخلفه(٤).

وقال الكلبي: ما تصدقتم وانفقتم في الخير والبر من نفقة فهو يخلفه، إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة. وروى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقه وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفه ضامنًا إلا ما كان من نفقة في [بنيان](٥) أو معصية**»(٦). وقد

= ٣/ ٥٧٨، «لسان العرب» ١٤/ ١٣٦ (جدا)، «المحتسب» ١/ ١٨٧، «خزانة الأدب» ٨/ ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٦.

والغر: الأبيض، جمع غراء، يريد بياض الشحم، يقول: جفاننا معدة للضيفان ومساكين الحي بالغداة، وسيوفنا تقطر بالدم لنجدتنا وكثرة حروبنا.

والشاهد فيه: جمع جفنة على جفنات مع أنها للقلة مرادًا بها جمع الكثرة. «الكتاب» ٣/ ٥٧٨.

(١) إلى هنا انتهى النقل من الحجة من قوله: وقرأ حمزة. «الحجة» ٦/ ٢٢.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٠٣ (خلف).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٣٩٦ مادة: (خلف).

(٤) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٠١، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٧٠٦ وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٦١.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٤٦١.

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في جميع النسخ، والتصحيح من الدر ومجمع البيان.

بان بقول هؤلاء أن الآية ليست على ظاهرها من حيث أن كل منفق يستحق خلفًا عاجلًا، بل هو للمقتصدين والمتصدقين، ثم قد يكون عاجلًا في الدنيا ويكون مدخرًا في الآخرة، وقد قال مجاهد في هذه الآية: فإن الرزق مقسوم، فلعل رزقه قليل وهو ينفقه نفقة الموسع عليه(١)، وربما أنفق الإنسان ما له في الخير ثم لم يزل عائلا حتى يموت. وهذا يؤكد ما قدمنا.

٤٠- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين(٢). وقال مقاتل: يعني الملائكة ومن عبدها(٣).

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ معنى هذا الاستفهام كالذي في قوله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾(٤) الآية، وهو استفهام توبيخ للعابدين، فنزهت الملائكة ربها عن الشرك وتبرأوا منهم، وهو قوله:

٤١- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك ما أضافوه إليك من الشركاء والمعبودين.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ قال ابن عباس: ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم، ولسنا نريد غيرك وليا(٥). ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ قال قتادة:

---

(١) انظر: «مجمع البيان» ٦١٦/٨، وأورده السيوطي في «الدر» وعزاه لابن عدي والبيهقي.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ٧٠٦/٦، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤٩٧/٣، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤٦٣/٦، ولم ينسبه لأحد.

يعني الشياطين[١]. وقال مقاتل: بل أطاعوا الشيطان[٢] في عبادتهم إيانا[٣]. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ يعني: المصدقين بالشياطين.

٤٢- ثم يقول الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني: الآخرة. ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني: العابدين والمعبودين. ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي: نفعا بالشفاعة، ولا ضرًا بالتعذيب، يريد أنهم عاجزين[٤] لا نفع عندهم ولا ضر، وإنما يملكهم الله تعالى. وقال مقاتل: لا تملك الملائكة ولا تقدر أن تدفع عنهم سوءًا إذا عبدوهم[٥]. وعلى هذا يكون التقدير: ولا دفع ضر، فحذف المضاف.ثم أخبر عنهم أنهم يكذبون بمحمد والقرآن، ويسمون القرآن إفكًا وسحرًا، وهو قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

٤٤- ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة، ولم يكذبوا محمدًا عن ثبت عندهم، وهو قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ قال قتادة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ قال قتادة:][٦] ما أنزل على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًا قبل محمد ﷺ[٧].

ونحو هذا قال ابن عباس والكلبي[٨].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) في (ب): (الشياطين).
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ أ.
(٤) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: عاجزون.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠ ب.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) انظر: «الطبري» ٢٢/١٠٣، «زاد المسير» ٦/٤٦٣، «الوسيط» ٣/٤٩٨.
(٨) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٣.

قال الفراء: أي من أين كذبوا بك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه[1].

وقال مقاتل: يقول ما أعطيناهم كتابًا بأن مع الله شريكًا، ولا أرسلنا إليهم رسولًا بذلك[2].

٤٥- ثم خوفهم وأخبر عن عاقبة من كان قبلهم من المكذبين فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني: الأمم الكافرة.

﴿وَمَا بَلَغُواْ﴾ يعني: أهل مكة في قوله الجميع .﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾][3] المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة. [قال المفضل][4]: لم يرد في العدد مفعال إلا هذا، والمرباع الربع[5][6]، وأنشد:

لـك الـمـربـاع مـنـهـا والـصـفـايـا[7]

والمعشار والعشر في قول الجميع. قال ابن عباس: يقول: وما بلغوا قومك معشار ما آتينا[8] من قبلهم، من القوة وكثرة المال وطول العمر

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٤. (٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ ب.

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

(٥) في (ب): (الرفع).

(٦) لم أقف على هذا القول عن المفضل، وقد ذكره ابن منظور في «اللسان» ٨/ ١٠١ (ربع) عن قطرب، وكذا الزبيدي في «تاج العروس» ٢١/ ٣١ (ربع).

(٧) صدر بيت، وعجزه:

وحكمك والنشيطة والفضول

وهو من الوافر، لعبد الله بن عنمة الضبي في: «الأصمعيات» ص٣٧، «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٦٩، ١١/ ٣١٤، ١٢/ ٤١، ٢٤٩، «لسان العرب» ١١/ ٥٢٦ (فضل)، ١٤/ ٤٦٢ (صفا)، «تاج العروس» ٢١/ ٢٠ (نشط).

(٨) في (أ): (آتيناهم).

وعمران الأرض[١].

وقال قتادة: ما بلغوا هؤلاء معشار ما أتوا[٢] أولئك من القوة والجلد، فأهلكهم الله وهم أقوى وأجلد[٣]. وهو قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قال ابن عباس: يقول كيف رأيت ما صنعت بالمكذبين[٤].

وقال مقاتل: فكيف كان نكير يعني: تغييري أليس وجدوه حقًّا، يعني: العذاب، يحذر أهل مكة مثل عذاب الذين كانوا أشد منهم قوة[٥]. والنكير اسم بمعنى الإنكار. قال أبو عبيدة: نكيري: عقوبتي[٦]. [وعناي][٧].

قال الزجاج: وحذفت الياء لأنه آخر آية[٨].

٤٦- وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: آمركم وأوصيكم، أمر الله نبيه ﷺ قال الزجاج: [أمره][٩] أن يقول لقومه: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾[١٠].

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/١٠٣-١٠٤، «مجمع البيان» ٨/٦١٨، «زاد المسير» ٦/٤٦٤، وعزاه للجمهور.

(٢) هكذا في (أ)، وهي بياض في (ب)، والصواب: ما أوتي.

(٣) انظر: «المصادر السابقة، «معاني القرآن» للنحاس ٥/٤٢٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١٠٠ أ.

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٠.

(٧) ما بين المعقوفين يظهر أنها زيادة من النساخ؛ إذ لا معنى لها.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/٢٥٦.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(١٠) المصدر السابق.

قال مجاهد: لا إله إلا الله[١]. وروي ذلك عن ابن عباس[٢].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: بطاعة الله[٣].

وقال مقاتل: بكلمة واحدة الإخلاص[٤].

وقال أبو إسحاق: والطاعة تتضمن التوحيد والإخلاص، أي: فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ يصلح أن يكون محل (أن) خفضًا على البدل من واحدة، ويصلح أن يكون نصبًا، على تقدير: لأن تقوموا، فحذفت اللام، وهو قول الزجاج[٦]. ويصلح أن يكون رفعًا بتقدير: هي أن تقوموا لله مثنى وفرادى، تقوموا منفردين ومجتمعين ثم تتفكروا، أي: الواحدة التي أعظكم بها قيامكم وتشمركم لطلب الحق بالفكرة مجتمعين ومنفردين[٧]. وتم الكلام عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ لتعلموا صحة ما أمرتكم به. قال مقاتل: يقول: ألا يتفكر الرجل منكم وحده ومع صاحبه، فينظر أن في خلق السموات والأرض دليلًا على أن خالقها واحد لا شريك له[٨].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٦/ ٤٦٤، «القرطبي» ١٤/ ٣١١. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٧١٠، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٣.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٨، «الطبري» ٢٢/ ١٠٤، «الماوردي» ٤/ ٤٥٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٦٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ ب.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٧.

(٧) انظر: «إملاء ما من به الرحمن» ٢/ ١٩٨، «البحر المحيط» ٨/ ٥٦٠.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠/ ب.

ثم ابتدأ فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية.وأما أصحاب المعاني فإنهم جعلوا الآية متصلة. قال الفراء: أي يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره، ثم تتفكروا هل جربتم على محمد كذبًا أو رأيتم به جنونًا، ففي ذلك ما يتيقنون به أنه نبي[١].

وقال أبو إسحاق: المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما يقولون[٢][٣]. وعلى هذا الآية نظمها منفصل، ومعنى قوله: بواحدة، أي: بخصلة واحدة، وهو معنى قول الفراء: يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره.

وشرح ابن قتيبة الآية على هذا المعنى شرحًا شافيًا فقال: (تأويله أن المشركين قالوا: إن محمدًا مجنون وساحر وأشباه هذا، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي أن تنصحوا لأنفسكم ولا يميل بكم هوى عن الحق، فتقوموا لله وفي ذاته مقامًا يخلو فيه الرجل بصاحبه فيقول له: هلم فلنتصادق هل بهذا الرجل جنة قط أو جربنا عليه كذبًا؟ وهذا موضع قيامهم مثنى، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر ويعتبر (فهذا موضع فرادى، [فإن][٤] في ذلك ما دلهم على أنه نذير، وكل من يخبر في أمر قد)[٥] اشتبه عليه [واستبهم][٦] أخرجه من الحيرة فيه: أن

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٣.

(٢) في (أ): (يقولون)، وهو تصحيف.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٧.

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

(٥) ما بين القوسين مكرر في (أ).

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

يسأل ويناظر، ثم يتفكر ويعتبر انتهى كلامه)[١]. ومعنى القيام [هاهنا][٢] التجرد والانكماش لطلب الحق، كما يقال: قام فلان بهذا الأمر، إذا تجرد [لكفايته][٣]. ونظير هذه الآية في اللفظ والمعنى قوله في سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٤] وقد مر الكلام فيه.

والقراء أيضًا مختلفون في الوقف على قوله: ﴿وَاحِدَةٍ﴾، وكان نافع يرى الوقف عندها، وغيره لا يرى ذلك. وكذلك قوله ثم تتفكروا، كان أبو حاتم يقول: هو تمام، وهو على المذهب[٥] الأول في تفسير الآية[٦].

قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: يريد بين يدي القيامة[٧]. وقال مقاتل: بين يدي عذاب شديد في الآخرة[٨].

٤٧- وقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، قال أبو إسحاق: (معناه ما سألتكم من أجر على الرسالة التي أؤديها إليكم ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ وتأويله أي: لست أجر إلى نفسي عرضًا من أعراض الدنيا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: أني إنما أطلب ثواب الله بتأدية الرسالة)[٩].

(١) «تأويل مشكل القرآن» ص٣١٢- ٣١٣.
(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب)
(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب)
(٤) آية ١٨٤.
(٥) في (أ): (مذهب)، وهو تصحيف.
(٦) انظر: «القطع والإئتناف» ص٣٤٥، «منار الهدى في الوقف والابتداء» ص٢٢٧.
(٧) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٣.
(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ ب.
(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٧.

[أجرًا فتتهموني بذلك][(١)]. ومعنى ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لم أسألكم شيئًا، كما يقول القائل: مالي في هذا فقد وهبت لك، يريد ليس فيه شيء.

وذكر الكلبي ومقاتل ما دل على أنه كان قد سألهم شيئًا ثم تركه لهم كما يقتضي ظاهر اللفظ، وهو أنهما قالا: إنه سألهم أن لا يؤذوا قرابته فانتهوا عن ذلك، ثم سمعوه يعيب آلهتهم فقالوا: نهانا أن لا نؤذي[(٢)] قرابته ففعلنا، وهو يذكر آلهتنا ويعيبها، فأكثروا في ذلك فنزل[(٣)]: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: إن شئتم فآذوهم وإن شئتم فلا تؤذوهم. وعلى هذا الأجر الذي سألهم هو الكف عن أقاربه، ثم تركه لهم؛ لقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾. والقول الأول أصح؛ لأنه وإن سألهم الكف عن أقاربه، فليس ذلك بأجر على تبليغ الرسالة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قال ابن عباس: يريد لم يغب عنه شيء[(٤)]. وقال مقاتل: شهيد باني نذير وما بي جنون[(٥)].

٤٨- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، قال الليث: القذف: الرمي بالسهم[(٦)] والحصى والكلام وكل شيء، حتى يقال: قذفت

---

(١) ما بين المعقوفين يظهر أنه كلام زائد.

(٢) في (أ): (يؤذي)، وهو تصحيف.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٠ ب، ولم أقف عليه عن الكلبي، وقد ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ٧٧، و الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٠ بدون نسبة.

(٤) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٩٩.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ أ.

(٦) في (أ): (بألسنتهم).

الناقة باللحم، أي: رميت به فأكثرت منه[١]. وقول النابغة:

مقذوفة بدخص النحض بازلها[٢]

ومن القذف الذي هو الرمي بالكلام قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾[٣] وقد مر. قال ابن عباس: يقذف بالحق يريد: يدفع الباطل بالحق[٤]. وعلى هذا التقدير: يقذف الباطل بالحق. وقال مقاتل: نتكلم بالوحي[٥].

وقال الكلبي: يرمي[٦] بالحق ننزل الوحي من السماء[٧]. وهو اختيار

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٧٤ (قذف)، وفيه: فاكتنزت منه.

(٢) صدر بيت، هكذا أثبت في النسخ، وهو تصحيف، والبيت هو:

مقذوفة بدخيس النحض بأزلها   له حريف صريف القعو بالمسد

وهو من البسيط، للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٦، «تهذيب اللغة» ٩/ ٧٤، «اللسان» ٩/ ٢٧٧ (قذف)، ١١/ ٥٢ (بزل)، ١٥/ ١٩١ (قعا)، «الكامل» ٣/ ٨٤٤، «الكتاب» ١/ ٣٥٥.

ومعنى البيت: يصف ناقة بالقوة والنشاط، فيقول: كأنما قذفت باللحم لتراكمه عليها، والنحض هو اللحم، ودخيسة ما تداخل منه وتراكب، والبازل: السن تخرج عند بزول الناقة وذلك في التابع من عمرها، والصريف: صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض نشاطا، والقعو: ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب. «الكتاب» ١/ ٣٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٨ .

(٤) انظر: القرطبي ١٤/ ٣١٢.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ أ.

(٦) في (ب): (نرمي)، وهو تصحيف.

(٧) انظر: «الوسيط» ٣/ ٤٩٩، وبعض المفسرين ذكروا هذا القول عن قتادة . انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥٧، «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٠، «القرطبي» ١٤/ ٣١٢.

ابن قتيبة قال: يلقيه إلى أنبيائه[١].

وقوله: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، قال الفراء: (الوجه الرفع؛ لأن النعت إذا جاء بعد الخبر رفعته العرب في أن يقول[٢]: إن أخاك قائم الظريف، ومثله قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤])[٣]. وقال أبو إسحاق: (ورفعه على وجهين: أحدهما: أن يكون صفة على موضع: إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب)[٤]. قال ابن عباس: علم ما غاب عن خلقه في السموات والأرض[٥].

٤٩- وقوله: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ قال ابن عباس: يريد الدين والإيمان[٦]. وقال مقاتل: يعني الإسلام[٧]. وقيل: القرآن[٨].

وقال أبو إسحاق: جاء أمر الله الذي هو الحق[٩]. ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: ذهب ذهابًا كليًا وزهق فلم يبق له بقية، ويقال: لكل ذاهب ما يبدي وما يعيد، ومنه قول عبيد:

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص٣٥٨.

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: كما هو عند الفراء: يقولون.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٧.

(٥) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ أ.

(٨) ونسب هذا القول لقتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠٦، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥٧.

(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٨.

فاليوم لا يبدئ ولا يعيد[١]

وهذا معنى قول ابن عباس: يريد إقبال الباطل وإدباره[٢].

وقال قتادة: الباطل: السلطان[٣]، ما يبدئ[٤] وما يعيد، أي[٥]: ما خلق ابتداء ويبعث[٦]. وهو قول مقاتل والكلبي[٧].

وقال الحسن: الباطل كل معبود من دون الله، يقول ما يبدي لأهله خيرًا في الدنيا وما يعيده في الآخرة[٨].

٥٠- وقوله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ قال مقاتل: إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: لقد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ كما تزعمون فإنما أضل على نفسي، أي: إثم ضلالتي على نفسي[٩]. ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من الحكمة والبيان. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ مني. قاله ابن عباس[١٠].

---

(١) عجز بيت، وصدره:

أقفر من أهله عبيد

وهو من البسيط لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» ص٤٥، «الشعر والشعراء» ص١٤٤، «شعراء النصرانية» ٤/ ٦٠١، «اللسان» ٥/ ١١٠، كتاب «العين» ٥/ ١٥١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هكذا في النسخ! وهو تصحيف، والصواب: الشيطان.

(٤) (يبدي) مكررة في (ب).

(٥) (أي) ساقطة من (ب).

(٦) انظر: «الوسيط» (٣/ ٤٩٩)، «القرطبي» ١٤/ ٣١٣، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٢٥.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١/ أ، «الوسيط» ٣/ ٤٩٩.

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٢ ب

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ أ.

(١٠) لم أقف عليه عن ابن عباس. انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣١٤.

٥١- وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾ قال ابن عباس: يريد حتى بهتوا[(١)].

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ يقول: لا يفوتني أحد ولا ينجو مني ظالم. ومذهب أكثر أهل التفسير أن هذا الفزع لهم عند البعث، وهو اختيار أبي إسحاق قال: هذا في وقت بعثهم[(٢)]. وهو قوله: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: القبور. وذهب آخرون إلى أن هذا الفزع لهم في القيامة. وهو مذهب الحسن وابن معقل[(٣)] وبلال بن سعد[(٤)]، قال بلال: إن الناس يوم القيامة حوله، وهو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ قال ابن معقل[(٥)]: أفزعهم يوم القيامة فلم يفرقوا.

---

(١) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣١٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٦٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٨.

(٣) انظر: قول ابن معقل والحسن في كل من: «الطبري» ٢٢/ ١٠٨، «الدر المنثور» ٦/ ٧١٢. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٦٧، ونسبه للأكثرين.

(٤) هو: أبو عمرو، وقيل: أبو زرعة بلال بن سعد بن تميم الأشعري، وقيل: الكندي الدمشقي، شيخ أهل دمشق في زمانه، تابعي جليل، وكانت لأبيه سعد صحبة، روى عن أبيه سعد وعن جابر بن عبد الله وأبي الدرداء وغيرهم. وروى عنه خلق كثير، وكان واعظًا بليغًا عابدًا مجتهدًا، توفي رحمه الله سنة نيف وعشرة ومائة. انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» ٣/ ٣١٨، «تهذيب الكمال» ٤/ ٢٩٠، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٩٠.

(٥) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن محفوظ بن معقل النيسابوري، شيخ محتشم، وكان أحد المجتهدين في العبادة، سمع أبا بكر بن خزيمة وأبا العباس بن السراج، وروى عنه الحاكم، توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة ٣٨١هـ.

انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» ٣/ ٣١٨، «تهذيب الكمال» ٤/ ٢٩٠، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يريد من تحت أقدامهم[١].

وقال آخرون: من حيث كانوا؛ لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب، لا يبعدون عنه ولا يفوتونه[٢].

وقال أبو إسحاق: وجواب لو محذوف، المعنى: لو ترى ذلك لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة[٣].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ منظوم بما بعده، وهو قوله: ﴿وَأُخِذُواْ﴾ والتقدير: ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت، أي: فلا يفوتون.

وقال الزجاج: أي فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يفوتوا[٤].

٥٢- وقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ قال مقاتل: بالقرآن[٥]. وقال غيره: بمحمد ﷺ[٦].

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قال أبو إسحاق: (التناوش: التناول، أي: وكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولًا لهم، وهو الإيمان والتوبة، وكان قريبًا

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥٨ ونسبه لمجاهد، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٦٩ ونسبه لمقاتل.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠٩، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٥٨، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٢٦.

(٣) لم أقف على قول الزجاج، وليس هو في «معاني القرآن» له.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٨.

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل، وليس في «تفسيره».

(٦) وبه قال قتادة. انظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣١٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٦٩.

منهم، وكيف يتناولونه حين بعد عنهم، ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة وكل واو مضمومة ضمتها لازمة جاز إبدال الهمزة منها، نحو: أدور وتقاوم، قال: يجوز أن يكون التناوش من النئيش، وهو الحركة في الإبطاء والمعنى: من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه)[١].

وقال الفراء: (هما متقاربان، مثل: ذمت الرجل وذأمته، إذا عبته)[٢].

وقال أبو علي: المعنى كيف[٣] يتناولونه من بعد، وهم لم يتناولونه من قرب في حين الاختيار والانتفاع بالإيمان، والتناوش: التناول من: نشت تنوش، قال:

تنوش البرير حين نال اهتصارها[٤]

وقال: وهي تنوش الحوض نوشًا من علا فمن علا[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٥.

(٣) في (ب): (وكيف).

(٤) عجز بيت هكذا جاء في النسخ، وهو تصحيف، والبيت هو:

فما أم خسف بالعلاية شادن   تنوش البرير حيث طاب اهتصارها

وهو من الطويل، لأبي ذؤيب الهذلي في «شرح أشعر الهذلين» ١/ ٧١، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٢ (نوش)، ١٥/ ٩٢ (علا)، «تاج العروس» ١٧/ ٤٣١ (نوش).

ومعنى البيت: العلاية: موضع، وفارد: تروى شادن ومشدن، والمعنى توي وتحرك، وتنوش: أي تتناول، والبرير: ثمر الأراك، واهتصارها: جذبها غصن الأراك وكسرها إياه. «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٧١.

(٥) صدر بيت من الرجز لغيلان بن حريث، وعجزه:

نوشأ به تقطع أجواز الفلا

وصدره جاء في جميع النسخ كما أثبته، والصحيح: وهي تنوش الحوض نوشًا من علا.

انظره منسوبًا إليه في: «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٠، «اللسان» ٦/ ٣٦٢، «تاج العروس»=

فمن لم يهمز جعله تفاعلًا من النوش الذي هو التناول، ومن همز احتمل أمرين: أحدهما: أنه أبدل من الواو الهمزة لانضمامها مثل: أقتت وأدؤر، والآخر: أن يكون من النأش، وهو التطلب[(١)]، والهمزة منه عين، قال رؤبة:

أقحمني جار أبي الخاموش   إليك نأش القدر النئوش

وهذا القول الثاني هو قول أبي عبيدة[(٢)]. وذكر بيت رؤبة وفسره: وتطلب القدر.

قال ابن عباس: يريد تناول التوبة يومئذ لا يقبل[(٣)].

وقال قتادة: أني لهم أن يتناولوا التوبة[(٤)].

روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال: يسألون الرد وليس بحين رد[(٥)]. وهذا معنى وليس بتفسير.

= ١٧/ ٤٣١، «الكتاب» ٣/ ٤٥٣، «الطبري» ٢٢/ ١١٠، «القرطبي» ١٤/ ٣١٦. ولم أقف لقائل البيت غيلان بن حريث الربعي على ترجمة.
ومعنى البيت: يصف إبلًا وردت حوضًا وتناولت ما فيه تناولًا من فوق، والأجواز: جمع جوز، وهو الوسيط.

(١) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: الطلب، كما في «الحجة» ٦/ ٢٤.

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٢٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٧١٥، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١١٠، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٢٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٧١٥، وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ونحو هذا قول الكلبي ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ يقول: الرجعة إلى الدنيا، ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ بعد الموت[١]. وقال عطية: وأني لهم الرد حين لا رد، والتوبة حين لا توبة[٢].

وقال مقاتل: من أين لهم التوبة حين لا توبة [وقال مقاتل: من أين لهم التوبة][٣] عند نزول العذاب[٤]. ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ من الدنيا، وهذا كله معنى. وتفسير التناوش ما ذكره أصحاب المعاني.

٥٣- وقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ واو الحال، أي: كيف يبلغون إلى التوبة وقد كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل نزول العذاب وقبل ما عاينوا من الأهوال.

وقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يرمون محمدًا بالظن [لا باليقين][٥]، وهو قولهم: إنه ساحر وكاهن وشاعر[٦]. واختار الفراء هذا القول فقال: يقولون ليس بنبي، وقد باعدهم الله أن يعلموا ذلك؛ لأنه لا علم لهم إنما يقولون بالظن[٧]. فعلى هذا الغيب الظن، وهو ما غاب علمه عنهم، والمكان البعيد: بعدهم عن علم ما يقولون.

---

(١) أورده بعض المفسرين منسوبًا لابن عباس ومجاهد. انظر: «الطبري» ٢٢/ ١١٠، «الماوردي» ٤/ ٤٥٩، ولم أقف عليه عن الكلبي.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في (أ)، وليس هو في (ب).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ ب.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٩، وانظر: «الطبري» ٢٢/ ١١٢.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٥.

وقال قتادة: يقذفون بالغيب يرجمون بالظن، يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار[(١)]. وعلى هذا المعنى: وقد كانوا يتكلمون بما غاب عنهم ويحكمون عليه بالكذب في الدنيا، وهو قوله: ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾. قال مجاهد: في الدنيا، وقد بعدت الدنيا من الآخرة جدًا عند انقضائها وقيام الساعة[(٢)]. وعلى هذين القولين، قوله: ﴿وَيَقۡذِفُونَ﴾ معطوف على ما قبله.

وقال مقاتل: ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: ويتكلمون بالإيمان وقد غاب عنهم الإيمان عند نزول العذاب، فلم يقدروا عليه[(٣)]، وهو قوله: ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾. وعلى هذا، ويقذفون مستأنف؛ لأنه خبر عنهم أنهم آمنوا حين لا ينفعهم الإيمان بعد أن كفروا في الدنيا.

وشرح ابن قتيبة هذه الآيات فقال: (يقول: ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فوت ولا مهرب لهم ولا ملجأ يفوتون به ويلجأون إليه، وهذا نحو قوله: ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: نادوا حين لات مهرب .﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ يعني: القبور.

٥٢- ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بمحمد .﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أي: التناول، أي: كيف لهم بنيل ما طلبوا من الإيمان في هذا الوقت الذي يقال فيه كافر ولا يقبل فيه توبة .

وقوله: ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ يريد بعد ما بين مكانهم يوم القيامة، وبين

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١١٢، «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٢، «القرطبي» ١٤/ ٣١٧.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٩، «الماوردي» ٤/ ٤٥٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٢٩.

(٣) في تفسير مقاتل سقطت هذه الآية من الأصل، وعلقت بالهامش، ولكنها غير واضحة، ولم أقف عليه.

المكان الذي تقبل فيه الأعمال.

٥٣- ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: بمحمد، يقول: كيف ينفعهم الإيمان[(١)] وقد كفروا به في الدنيا .﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: بالظن أن التوبة تنفعهم ﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيد من موضع يقبل فيه التوبة .﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ الأمم الخالية)[(٢)].

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ غير ما قدمناه، قال: (وكان بعض المفسرين يحمل الفزع عند نزول بأس الله من الموت أو غيره، وتعبيره بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] إلى آخر السورة)[(٣)]. وهذا مذهب مقاتل، قال: هذا عند نزول العذاب بهم في الدنيا[(٤)] .

وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هذا الفزع وما ذكر كله هو يوم بدر، إذ نزل بهم العذاب وشدة الموت قالوا: آمنا به، ولم ينفعهم ذلك[(٥)].

٥٤- وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني الرجعة إلى الدنيا[(٦)] .

وقال الحسن: يعني الإيمان. وهو قول سفيان[(٧)].

---

(١) مكذا في الأصل ولعل الصواب في الآخرة.
(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٣٠-٣٣١.
(٣) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٣١.
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١/ب.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٠٧، «القرطبي» ١٤/ ٣١٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٦٧.
(٦) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٤، «الوسيط» ٣/ ٤٩٩، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٠.
(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١١٢، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٦٠، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٣١.

وقال مجاهد: ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من مال وولد[(١)] .

وقال مقاتل: يعني من أن تقبل التوبة منهم[(٢)].

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾، قال ابن عباس: بنظرائهم[(٣)]. قال مجاهد: الكفار من قبلهم[(٤)] .

وقال الزجاج: أي بمن كان مذهبه مذهبهم[(٥)].

قال أبو عبيدة: شيعة وشيع وأشياع[(٦)]. وهذا مما تقدم القول فيه[(٧)].

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، قال مقاتل: من قبل هؤلاء[(٨)].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ قال: من العذاب أنه نازل بهم .

قال الكلبي: في شك مما نزل بهم[(٩)]. والكناية في ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعود إلى الكفار الذين أخبر عنهم في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ لا إلى الأشياع .﴿مُرِيبٍ﴾ موقع لهم الريبة والتهمة.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١١٢، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٣١، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٠.

(٢) ليس هو في تفسيره، ولم أقف على هذا القول منسوبًا إليه.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٧١ نحو هذا القول عن الزجاج.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٢٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٥٩.

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥١.

(٧) عند تفسير قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: الآية ٦٥] .

(٨) ليس في تفسيره، ولم أقف على هذا القول منسوبًا له، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٧١، ونسبه للمفسرين.

(٩) لم أقف عليه عند الكلبي. وانظر: «تفسير هود » ٣/ ٤٠٧، «زاد المسير» ٦/ ٤٧١.

سورة فاطر

تفسير سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل وغيرهما: خالق السموات والأرض[١]. [قال المبرد: فاطر][٢] خالق مبتدي، يقول: فطر الله الخلق، أي: ابتدأهم، [وأنا فاطر هذه البئر][٣]، أي: ابتدأت حفرها[٤]. ونحو هذا قال الزجاج[٥]. وهذا مما سبق فيه الكلام.

قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ قال مقاتل: منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والكرام الكاتبين[٦].

وقوله: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ يقول: من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة. وذكرنا الكلام في مثنى وثلاث ورباع في أول سورة النساء[٧].

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش من المصحف ص٣٦٤، «بحر العلوم» ٣/ ٧٩، «تفسير مقاتل» ١٠١ ب

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب)

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٤٦١.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠١ ب.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ الآية. وقال هناك: بدل مما طاب، ومعناه: اثنتين وثلاثًا وأربعًا، =

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال مقاتل: يزيد في خلق الأجنحة على أربعة أجنحة[(١)]. ورأى رسول الله ﷺ جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح، وقال له جبريل: إن لإسرافيل اثني عشر [جناحًا][(٢)]، جناح منها بالمشرق، وجناح منها بالمغرب[(٣)]. وهذا الذي ذكرنا في زيادة الخلق هو قول الفراء والزجاج[(٤)]. وروى قتادة في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: الملاحة في العينين[(٥)].

وروي عن الزهري قال: حسن الصوت[(٦)]. وعن أبي هريرة مرفوعًا: الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن[(٧)]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يريد أن يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ قاله ابن عباس[(٨)].

٢- قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ قال أبو إسحاق: أي ما ياتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أن يمسكه، وما يمسك

= والواو دالة على تفرق الأنواع وتجنيس المباح من الزوجات، فمن تزوج مثنى لم يضم إليهما ثلاثًا، وكذلك من تزوج ثلاثًا لم يضم إليهن أربعًا.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ أ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٣ ب، «بحر العلوم» ٣/ ٧٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٦، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦١.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٣ ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٦٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٣.

(٦) انظر: المصادر السابقة، «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٧٠.

(٧) لم أقف عليه مرفوعًا للنبي ﷺ.
وانظر: «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٢٠، «الثعلبي» ٣/ ٢٢٣ ب، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٣.

(٨) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٦.

من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله[(١)]. وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية[(٢)].

٣- وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة[(٣)]. ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال: يريد حيث أسكنكم الحرم ومنعكم من جميع الغارات[(٤)]. وقد ذكرنا معنى النعمة فيما تقدم.

وقال الفراء: (وما كان من هذا في القرآن فمعناه: احفظوا، كما تقول: اذكر أيادي عندك أي: احفظها)[(٥)].

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: (هذا ذكر بعد قوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فأكد ذلك بان جعل السؤال لهم: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: ورفع غير على معنى هل من خالق غير الله؛ لأن من مؤكدة)[(٦)].

وقال أبو علي: (من جر ﴿غَيْرِ﴾ جعله صفة على اللفظ، وذلك حسن لاتباعه الجر الجر. وقوله: ﴿مِنْ خَٰلِقٍ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره قوله: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وزيادة من في غير الإيجاب كثير، نحو: هل من رجل، و﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]. ومن رفع

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٢.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٤، «الطبري» ٢٢/ ١١٥، «الماوردي» ٤/ ٤٦٢، «بحر العلوم» ٣/ ٨٠.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٤، وذكره الطبري ٢٢/ ١١٥، بدون نسبة وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٧٤ ونسبه للمفسرين.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٢.

احتمل غير وجه، يجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ، ويجوز أن يكون صفة على الموضع بتقدير: هل خالق غير الله يرزقكم، ويجوز أن يكون غير استثناء، تقديره: هل من خالق إلا الله)[1]. فلما كانت ترتفع ما بعد إلا حملت رفع ما بعد إلا في غير، كما تقول: ما قام من أحد غير أبيك، ويدل على جواز هذا الوجه قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وذكرنا مثل هذا في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ في سورة الأعراف [٥٩].

قال المفسرون وابن عباس: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ومن ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات[2].

ثم وحد نفسه فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ قال مقاتل: من أين تكذبون بأن الله لا شريك له، وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم[3].

قال أبو إسحاق: (من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث)[4].

٤- ثم عزى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: الأمر راجع إلى الله في مجازاة من كذب، ونصرة من كذب من رسله.

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: كفار مكة .﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قال ابن

---

(١) «الحجة» ٦/ ٢٦- ٢٧.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٤، «السمرقندي» ٣/ ٨٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٤، «البغوي» ٣/ ٥٦٥.

(٣) لم أقف على قول مقاتل.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٣.

عباس: يريد بالثواب والعقاب(١). وقال مقاتل: في البعث(٢).

وباقي الآية مفسر في سورة لقمان: ٣٣].

٦- وقوله: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ قال مقاتل: فعادوه بطاعة الله، ثم بين عداوته فقال: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ أي: يدعو شيعته إلى الكفر(٣). ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

٨- وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة(٤).

وقال سعيد بن جبير: يحسب الناس أن هذا في تزيين الخطايا لمن ركب منها شيئًا وليس كذلك، ولكنها الزينة في الملل والأهواء التي خالفت الهدى، فإن أهلها يحسبون أنهم يحسنون(٥). ألا ترى النصارى يدعون لله ولدًا ويحسبون أنهم يحسنون، وتتقرب بذلك إلى الله ولا يحب أن يزني ويسرق، وله الدنيا وما فيها، واحتج على هذا بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ قال: ألا ترى ذلك صار في الضلالة والهدى وليس فيما يذهب الناس إليه من العمل.

وأما نظم الآية وجواب قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾ فقال أبو إسحاق: (هو على ضربين: أحدهما: أن يكون المعنى أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، ودل على هذا الجواب قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ أ.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ أ.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ أ، «البغوي» ٣/ ٥٦٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٥.

(٥) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠١، «البغوي» ٣/ ٥٦٥.

عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ وهذا قول الفراء والكسائي[١] قال: ويجوز أن يكون محذوفًا والمعنى: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، ويكون دليله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾[٢]. وهذا قول أبي عبيدة، لأنه قال في هذه الآية: هو مختصر مكفوف عن خبره لتمامه عند المستمع[٣].

ثم استأنف فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾، قال ابن عباس: يقول لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات على تركهم الإسلام[٤]، كقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الكهف: ٦] الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ يعني: عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك. ثم أخبر عن صنعه جل وعز ليعتبروا.

٩- قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾، قال الكلبي: فتنشئ سحابًا[٥]. والمعنى: فنزعجه من حيث هو ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ قال أبو عبيد: (فنسوقه، وأنشد قول قعنب:

إن يسمعوا زينة[٦] طاروا بها فرحًا[٧]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٦. انظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٥٩، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٠. وانظر: قول الكسائي في: إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٨٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٤.

(٣) لم أقف على أبي عبيدة.

(٤) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠١، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٦.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: ريبة.

(٧) هذا صدر بيت وعجزه:

مني وما سمعوا من صالح دفنوا

وهو من البسيط، لقعنب بن أم صاحب في: «الحماسة» ٢/ ١٧٠، «مجاز القرآن» ١/ ١٧٧، ٢/ ١٥٢، «سمط اللآلئ» ص٣٦٢، «عيون الأخبار» ٣/ ٨٤.

أي إن سمعوا يطيروا)[١].

وقوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الأرض الجرز[٢]. وقال الكلبي: إلى مكان ليس عليه نبات[٣]. وقوله: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ قال ابن عباس: أنبتنا فيها الزرع والأشجار بعد ما لم يكن[٤].

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

١٠- وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ قال الفراء: (معناه من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنها لله جميعًا، أي: كل وجه من العزة لله)[٥].

والآية على ما ذكرنا من باب حذف المضاف، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليعتزز بطاعة الله[٦] يعني: أن قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة ليعتز بطاعته، كما يقال: من أراد المال فالمال لفلان، أي: فليطلب من عنده من حيث يجب أن يطلب، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء؛ لأنه قال: يؤمن بالله فيعتز بعزه[٧].

وقال مجاهد ومقاتل: من كان يريد العزة بعبادته غير الله فليعتزز

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي. وقد ذكره هو بن محكم في «تفسيره» ٣/ ٤١١ ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٧.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٠، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٤٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٧.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس. و انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٠، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٢٨، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٧.

بطاعة الله، فإن العزة لله جميعًا[١]. وعلى هذا في الآية محذوف دل عليه الكلام، والمعنى: أن عبدة الأصنام طلبوا التعزز بها، يدل على هذا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]. فأخبر الله تعالى أن العزة لله جميعًا لا غيره، فلا يعتز أحد بعبادة غيره وإنما التعزز بطاعة الله. ثم بين كيف يتعزز بطاعته فقال: قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ قال مقاتل والمفسرون: إلى الله يصعد كلمة التوحيد، وهو: قول لا إله إلا الله[٢].

وقال أبو إسحاق: (أي إليه يصل الكلام الذي هو توحيده، والله تعالى يرتفع إليه كل شيء)[٣]. وعلى ما ذكر، معنى الصعود إليه: الارتفاع، وهو بمعنى العلم كما يقال: ارتفع هذا الأمر إلى القاضي وإلى السلطان، أي: علمه، وفي تخصيص الكلم الطيب بعلمه إثبات للثواب عليه[٤] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] فنثيبك[٥] عليه.

وقال بعض أهل المعاني: يعني إليه يصعد إلى سمائه، والمحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم[٦]. ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٣١، «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ أ. وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٦٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٢٩، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٥.

(٤) يبدو أن هناك سقط في الكلام يمكن تقديره بنحو: يدل عليه قوله تعالى.

(٥) في (ب): (فشبك).

(٦) كلام المؤلف رحمه الله في هذا الموضع فيه تأويل لصفة العلو والفوقية، وهذا=

ابن عباس: يريد العمل بما افترضه الله ﷻ، يقول الله تعالى: «**إذا قال العبد: لا إله إلا الله بنية صادقة، نظرت الملائكة إلى عمله، فإن كان عمله موافقًا لقوله صعدا جميعًا، وإن كان عمله مخالفًا وقف قوله حتى يتوب من عمله**[(١)]».

وقال الحسن: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله، يعرض القول على الفعل فإن وافق القول الفعل قبل وإن خالفه رد، ونحو هذا[(٢)] قال سعيد بن جبير[(٣)]. وعلى هذا الكناية في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ تعود إلى الكلم الطيب.

وقال قتادة: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه[(٤)]. وعلى هذا تم الكلام عند قوله: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ الله إليه، أي: يقبله، والكناية للعمل الصالح. وقال مقاتل: التوحيد يرفع العمل الصالح إلى السماء[(٥)]. والمعنى على هذا: لا يقبل الله عمل صالح[(٦)] إلا من موحد، والرافع على هذا القول الكلم الطيب، وعلى القول الثاني

= خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فإنهم يثبتون لله جل وعلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٣٨١.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ١٢١ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) (هذا) ساقط في (ب).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٤٠، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٦٤، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٨.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب.

(٦) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: عملًا صالحًا.

الرافع هو الله تعالى، وعلى القول الأول الرافع العمل الصالح، وهذا الأوجه، وقد ذكره الفراء والزجاج والمبرد[١].

قال مقاتل: ثم ذكر من لا يوحد الله فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: والذين يقولون الشرك[٢]. وهذا معنى قول ابن عباس: والذين يشركون بالله لهم عذاب شديد[٣].

وقال الكلبي: يعني يعملون السيئات[٤].

وقال سعيد بن جبير: والذين يعملون بالرياء، وهو قول مجاهد وشهر ابن حوشب[٥].

وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله في دار الندوة[٦]، وهو اختيار أبي إسحاق[٧]. ثم أخبر أن مكرهم يبطل فقال: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٧، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٥. ولم أقف على قول المبرد، وترجيح المؤلف -رحمه الله- للقول الأول القائل بأن الرافع هو العمل الصالح؛ لأنه قول صحيح ثابت عن حبر الأمة وترجمان القرآن ﷺ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب.

(٣) أورده الطبري» ٢٢/ ١٧ ونسبه لقتادة، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٧٩، ونسبه لمقاتل، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٤) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٣٢، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٦٧.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٧١، «البغوي» ٣/ ٥٦٧، «الدر المنثور» ٧/ ١٠ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن مجاهد ولسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن شهر بن حوشب.

(٦) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٢٩، «زاد المسير» ٦/ ٤٧٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٥.

﴿هُوَ يَبُورُ﴾ قال قتادة: يفسد[١]. وقال مقاتل: يهلك ولا يكون شيئًا[٢]. وقال السدي: يهلك وليس له ثواب في الآخرة[٣].

ثم دل على نفسه بصفة ليوحد فقال:

١١- قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني آدم[٤]. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: نسله. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال السدي ومقاتل: ذكرانًا وإناثًا[٥]. ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ قال مقاتل: يقول: من قل عمره أو كثر عمره، فهو يعمر إلى أجله الذي كتب له[٦]. فالمعمر على هذا الذي قدر له شئ من العمر وإن قل، وليس المعمر بمعنى الطويل العمر، وهو قول المفسرين[٧].

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ كل يوم حتى ينتهي إلى أجله. قال سعيد بن جبير: يكتب في أول الصحيفة عمره، ثم يكتب في أسفل من ذلك: ذهب

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٧١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٦٥، «معاني القرآن» للنحاس٥/ ٤٤٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب.

(٣) أورده السيوطي في «الدر» ٧/ ١٠ وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي، «تفسير السدي الكبير» ص٣٩٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب، ولم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وبعض المفسرين ذكر القول منسوبًا لقتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٢، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٣٢.

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل، وقد أورده د/ محمد عطا في «تفسير السدي الكبير» ص٣٩٩٣ وعزاه للسيوطي في «الدر»، ولم أقف عليه عند السيوطي.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ ب.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٢، «الماوردي» ٤/ ٤٦٥، «البغوي» ٣/ ٥٦٧.

يوم، ذهب يومان، حتى لا يبقى شيء[١].

قال السدي[٢]: يعمر الإنسان الستين والسبعين وينقص ما مضى من أيامه وذلك نقصان من عمره، وذلك كله ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هذا الذي ذكرنا قول الجمهور.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ما يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره[٣].

وعلى هذا المعمر: الطويل العمر، والذي ينقص من عمره غيره. وعلى القول الأول الذي ينقص من عمره هو المعمر الأول. واختار الفراء هذا القول الثاني فقال: (ولا ينقص من عمره، يريد [أخبر][٤] غير الأول، وكنى عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه، المعنى نصف آخر، وجاز أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن اللفظ الثاني قد يظهر واللفظ الأول يكنى عنه كالكناية عن الأول، قال: وهذا أشبه بالصواب)[٥]. وإنما اختار هذا؛ لأن القراءة المشهورة (ولا يَنقُص مِنْ

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٥ ب، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٦٥. وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ١١ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن سعيد بن جبير.

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٧٥، وأورده الطبري ٢٢/ ١٢٣ عن ابن مالك.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٢، «زاد المسير» ٦/ ٤٨١.

(٤) هكذا في (أ)، وهي ساقطة في (ب)، وهو خطأ، والصواب: آخر، كما في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٦٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٨.

عُمرهِ﴾ بفتح الياء كما قراه الحسن وابن سيرين[١]، ولأن المعمر في ظاهر اللغة الطويل العمر، وقل ما يقال لمن قصر عمره: معمر.

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يريد اللوح المحفوظ [مكتوب][٢] قبل أن يخلق[٣]. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ يعني العذب والمالح. ثم ذكر ذلك فقال ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ أي: جائز في الخلق.وهذه القطعة مر تفسيرها في سورة الفرقان[٤].

وقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ إلى آخر الآية تفسيره قد سبق في سورة النحل[٥]. وقوله هنا: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: من المالح دون العذب.

١٣- وقوله تعالى: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال أبو عبيدة: هو الفوقة التي النواة فيها[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق، «النشر» ٢/ ٣٥٢.

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٢ب، «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٥.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ آية: ٥٣. وقال هناك: عذب طيب. وأصله من المنع، والماء العذب هو الذي يمنع العطش، فرات الفراة أعذب المياه.

(٥) آية ١٤. انظر: «البسيط»، وذكر فيه: قال ابن عباس: يريد السمك والحيتان.

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٣، والفوقة: هي الغشاء الرقيق المحيط بالنواة. يقول السمين الحلبي في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ويقال: إنه اجتمع في النواة أربعة أشياء، يضرب بها المثل في القلة والحقارة، وقد ذكرت منها ثلاثة في =

وقال ابن السكيت: هو القشرة الرقيقة التي على النواة[١].

قال الزجاج: هو لفافة النواة[٢].

وقال مقاتل: يعني قشرة النواة الأبيض[٣]. وهو السحاة التي تكون على النوى.

وقال الحسن: قشر النوى[٤].

وقال مجاهد: لفافة النواة، وهذا قول الجميع[٥].

وروي عن ابن عباس أنه شق النواة، وهو اختيار المبرد[٦].

١٤- وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ قال مقاتل: يتبرأون من عبادتكم إياها[٧].

وقال الزجاج: يقولون ما كنتم إيانا تعبدون، والمعنى: بإشراككم إياها مع الله في العبادة، يقولون: ما أمرناكم بعبادتنا[٨].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمد، ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني

= القرآن العزيز: الفتيل وهو ما في شق النواة مما يشبه الخط الرقيق، والنقير: وهو النقرة في ظهرها، والقطمير: وهو اللفافة على ظهرها. اهـ. ٣/ ٢٣٦- ٢٣٧.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٠٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ أ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٣١، «الطبري» ٢٢/ ١٢٥. وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٣٦.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ أ.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٧.

نفسه ﷻ، يقول: فلا أحد أخبر منه بخلقه، وبأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام هو كائن يوم القيامة[١].

وقال أبو إسحاق: لأن ما أنبأ الله ﷻ مما يكون فهو وحده يخبره ولا يشركه فيه أحد[٢]. هذا كلامه، والمعنى: لا ينبئك مثل خبير يعلم الأشياء ويخبرها؛ لأنه لا مثل له، فلا ينبئك مثله في علمه.

١٥- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، قال ابن عباس: يريد أهل مكة[٣]. ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ المحتاجون إلى رزقه ومغفرته. (وهو الغني) عن عبادتكم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى خلقه وغير خلقه[٤].

١٦- وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ مفسر فيما مضى[٥] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾، قال الفراء والزجاج: أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ أ ولم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره بعض المفسرين منسوبًا إلى المفسرين. انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٣، «بحر العلوم» ٣/ ٨٣، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هذه العبارة خطأ، ولعلها وهم من المؤلف رحمه الله أو خطأ من الناسخ؛ لأنه لا شيء في الكون غير مخلوق لله جل وعلا.

(٥) الآيتان: ١٩-٢٠ من سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾. وقال هناك: قال ابن عباس والكلبي: يريد أمتكم يا معشر الكفار، وأخلق قومًا غيركم خيرًا منكم وأطوع.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٨، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٧.

قال الفراء: (والنفس تعبر عن الذكر والأنثى، كقوله[١]: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧])[٢].

١٨- وقوله: ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: ما حمل من الخطايا والذنوب. ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾ أي: من حملها.

[وقوله][٣] ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ﴾ قال مقاتل: ولو كان بينهما ما حملت عنها شيء من وزرها[٤][٥].

قال ابن عباس: يقول: يا بني احمل عني، فيقول: حسبي ما علي[٦].

قال أبو إسحاق: أي ولو كان الذي يدعوه ذا قربى، مثل الأب والابن ومن أشبه هؤلاء[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قال ابن عباس: يريد أولياؤه، يقول: خافوني وخافوا ما غاب عنهم من عذابي[٨].

وقال أبو إسحاق: تأويله أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم[٩]، فكأنك تنذرهم دون غيرهم مما لا ينفعهم إنذارك، كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ

---

(١) في (أ): (كقولك)، وما في الصلب هو الصواب.
(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٦٨.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)
(٤) في (ب): (أوزارها).
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣/ أ.
(٦) يدل على ذلك قوله تعالى في سورة عبس آية ٣٤: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.
(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٧.
(٨) لم أقف عليه.
(٩) المصدر السابق.

﴿مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

وقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ قال ابن عباس: من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه[(١)].

وقال مقاتل: من صلح فصلاحه لنفسه[(٢)]. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيجزي بالأعمال في الآخرة.

١٩- وقوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ قال ابن عباس: لا يستوي المشرك والمؤمن[(٣)].

وقال مقاتل: وما يستوي في الفضل الأعمى عن الهدى [يعني][(٤)] الكافر، والبصير بالهدى يعني المؤمن يبصر رشده[(٥)].

٢٠- ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ يعني: الشرك والضلالات. ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ يعني: الهدى والإيمان بالله.

٢١- ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾ قال الكلبي: أما الظل فالجنة، وأما الحرور فالنار[(٦)].

وقال ابن عباس: يريد ظل الليل، والحرور هو الذي يكون مثل السموم بالنهار[(٧)].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «زاد المسير» ٦/ ٤٨٣، «تفسير هود» ٣/ ٤١٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ أ.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٦.

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (ب)

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ أ.

(٦) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٤، «مجمع البيان» ٨/ ٦٣٣.

(٧) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٤٠، «البغوي» ٣/ ٥٦٩.

وقال قتادة: هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن، يقول: لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن(١).

قال أبو عبيدة: الحرور ريح حارة تكون بالنهار مع الشمس، وأنشد لحميد الأرقط(٢):

إنا وإن تباعد المسير وسفعت ألواننا الحرور
وأوقدت نيرانها القبور(٣)

قال أبو إسحاق: الحرور استيقاد الحر ولفحه بالليل والنهار، والسموم لا يكون إلا بالنهار(٤).

٢٢- قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

قال ابن عباس: الكافر وإن كان يأكل ويشرب ويجيء ويذهب(٥)، فهو مثل الميت، ودليل هذا في صفتهم قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٥٠، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٤٠، «زاد المسير» ٦/ ٤٨٤.

(٢) هو: حميد بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقيل: هو أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، عاصر الحجاج، سمي الأرقط لآثار كانت بوجهه،وهو بخيل لئيم، يقال له: هجاء الأضياف.

انظر: «خزانة الأدب» ٥/ ٣٩٥، «العقد الفريد» ٧/ ٢٠٨.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٨.

(٥) في (ب): (ويذهب ويجيئ)، ترتيب.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ قال ابن عباس: يسمع أولياءه[١] الذين خلقهم لجنته وعصمهم من الكفر[٢]. والمعنى: يسمع كلامه من يشاء حتى يتعظ يهتدي. وقال السدي: يهدي من يشاء[٣].

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ يعني: الكفار، شبههم حين صموا ولم يجيبوا إذا دعوا إلى الإيمان بأهل القبور. ثم قال للنبي ﷺ حين لم يجيبوه إلى الإيمان:

٢٣- ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول: ما أنت إلا نذير، وليس عليك إلا البلاغ.

٢٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ قال ابن عباس: وما من أمة من خلقي إلا وقد بعثت فيها نبيًّا[٤].

وقال مقاتل: يقول: ما مر أمة فيما مضى إلا جاءهم رسول[٥].

وقال ابن قتيبة: خلا فيها نذير سلف فيها نبي[٦].

---

(١) في (أ): (أوليائهمن)، وهو خطأ.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ١٣٠، نحو عن قتادة، والقرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٣٤٠ ولم ينسبه لأحد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣١٧٩ عن السدي.

(٤) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس.
وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٥٢، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٦، «مجمع البيان» ٨/ ٦٣٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٦) «تفسير غريب القرآن» ص٣٦١.

٢٦- وقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: عاقبتهم فكيف كان عقوبتي. قاله أبو عبيد[1]. قال مقاتل: يخوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية[2].

٢٧- ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[3] إلى قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ قال الفراء: (الجدد: الطرق تكون في الجبال مثل العروق، بيض وسود وحمر[4]، واحدها جدة[5]، وأنشد لامرئ القيس:

كأن سراتيه[6] وجدة ظهره كنائن يجري فوقهن دليص[7].

يعني: الخطة السوداء في متن الحمار، والدليص: الذي يبرق)[8].

وقال أبو عبيدة: (جدد: طرائق، وأنشد لذي الرمة يصف الليل:

---

(١) لم أقف على قول أبي عبيد.

(٢) لم أقف على قول مقاتل.

(٣) قوله: (من السماء ماء) ساقط من (أ).

(٤) في (ب): (بيض وحمر وسود).

(٥) في (أ) بعد قوله: (واحدها جده)، قال: فقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ﴾ إلى قوله ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ وسودهم من الناسخ.

(٦) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: سراته.

(٧) البيت من الطويل، لامرئ القيس في: «شرح ديوانه» ص١٢٤، «تهذيب اللغة» ٤٥٨/١٠، «اللسان» ١٠٨/٣ (جدد)، ٣٧/٧ (دلص)، «معان القرآن» للفراء ٣٦٩/٢، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢٦٩/٤. وسراته: هو أعلى ظهره، وجدة ظهره: العلامة يخالف لونها لون جلده، والكنائن: هي الخطوط البيض بظهره.

(٨) انظر: «معاني القرآن» ٣٦٩/٢.

حتى إذا حان من حضر قوادمه ذي جدتين يكف الطرف تعميم[١][٢].

وقال أبو إسحاق: (جدد جمع جدة، وهي الطريقة، وكل طرقه جدة وجادة)[٣].

وقال ابن قتيبة والمبرد: جدد: طرائق وخطوط[٤]. ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الجدد: أنها الطرائق[٥].

وقال مقاتل: يعني بالجدد الطرائق التي تكون في الجبال، منها بيض ومنها حمر ومنها غرابيب سود[٦]. وهو جمع غربيب، وهو الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب، يقال: أسود غربيب وغرابي[٧].

وذكر عن الفراء أن هذا التقديم والتأخير، بتقدير: وسود غرابيب؛ لأنه يقال: أسود غربيب، وقل ما يقال: غربيب أسود[٨].

---

(١) البيت من البسيط، وهو لذي الرمة في «ديوانه» ١/ ٤٤٤، وانظرها منسوبة إليه «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٥، ومعنى البيت: يريد من ليس سود اوائله. ذي جدتين أي ناجيتين من الليل، ويكف الطرف يرده حتى لا يجوزه، وتغييم إلباس يقول: جاء الليل مثل الغيم

(٢) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٩.

(٤) «تفسير غريب القرآن» ص٣٦١، وانظر: «فتح القدير» ٣/ ٣٧٤.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٢٦ أ، «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٣١، «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٧٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١١٧ (غرب)، «اللسان» ١/ ٦٣٨ (غرب).

(٨) لم أقف على قول الفراء في معاني القرآن له. ونقل كلام الفراء: الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٣٥، والمؤلف في «الوسيط» (٣٥٠٤)، والشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٣٤٧.

وقال الأخفش في هذه الآية: قوله: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ نصب مختلفًا؛ لأن كل صفة متقدمة فهي التي تجري على الذي قبلها إذا كانت من سببه، والثمرات في موضع نصب، هذا كلامه[١]. و (مختلفًا) ينتصب بكونه نعتًا لقوله ثمرات، وجاز تذكيره على الفعل فجاز أن يجري مجرى الفعل، ولو كان فعلًا جاز تذكيره كقوله: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾، والاختلاف الألوان، وجرى صفة للثمرات، كقوله: ﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥] فالظالم للأهل، وقد جرى صفة للقرية[٢]. وشرحنا الكلام فيه هاهنا وتم الكلام عند قوله: ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ أي: ومما خلقنا من الجبال جدد بيض، يعني: طرائق، وليس يريد الطرائق التي تسلك وإنما أراد الطرائق[٣] التي تكون مستقيمة على ضرب واحد كطرائق النحل، وكذلك يكون الجبال ممتد منها طريقة[٤] بيض ومنها طريقة حمرة وطريقة سود وهي الغرابيب. قال أبو إسحاق: وهي الحرار من الجبال التي تكون ذات صخور سود[٥].

هذا الذي ذكرنا هو الوجه في تفسير الجدد والطرائق؛ لأن الطرائق في اللغة كل مستطيل، ويجوز أن يكون المعنى ما ذكره الفراء من قوله: هي طريق تكون في الجبال كالعروق.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٨٦.

(٢) انظر: «مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب» ٢/ ٢١٦، «الدر المصون» ٥/ ٤٦٦، «البحر المحيط» ٧/ ٢٩٦.

(٣) في (ب): (الطريق).

(٤) في (أ): (منها طريقة منها بيض)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٩.

٢٨- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ قال الزجاج: المعنى: وفيما خلقنا مختلفًا ألوانه من الناس والدواب والأنعام، خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال[(١)]. وتم الكلام ثم ابتدأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال الكلبي ومقاتل: في هذه الآية تقديم وتأخير[(٢)]. يعنيان تقديم المفعول على الفاعل. قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني[(٣)]. وقال مقاتل: أشد الناس لله خشية أعلمهم به[(٤)]. وقال الكلبي: العلماء بالله هم الذين يخشونه[(٥)]. وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا[(٦)]. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: عزيز في ملكه، غفور لذنوب المؤمنين[(٨)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٩.

(٢) لم أقف على قول الكلبي.
انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٣) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٤٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٨٦، انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٩٩ ب.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٤٣، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٧. وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٢٠ وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والطبراني عن ابن مسعود.

(٧) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٧، «زاد المسير» ٦/ ٤٨٦. وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٢١ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد.

(٨) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٧، «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

٢٩- قوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ قال مقاتل وأبو عبيدة: لن تهلك[١].

وقال أبو إسحاق: لن تفسد ولن تكسد[٢]. وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] في مواضع.

قال ابن عباس في قوله: ﴿تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: يعني الجنة[٣]. وقوله: ﴿يَرْجُونَ﴾ قال الفراء: (هو جواب لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ * يَرْجُونَ﴾[٤] فيرجون جواب لأول الكلام)[٥].

وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلق بما ذكر من قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ ليوفيهم، أي: فعلوا ما فعلوا ليوفيهم الله جزاء أعمالهم بالثواب.

٣٠- ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٦]. ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠ ب، «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٦٩.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس. وقد ذكره هود في «تفسيره» ٣/ ٤١٧ ولم ينسبه.

(٤) في (أ): (ويقيمون)، بدلًا من (وأقاموا).

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٩.

(٦) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس، ولكن ورد عن أبي هريرة في الصحيحين، في البخاري كتاب: التفسير، تفسير سورة تنزيل السجدة ٤/ ١٧٩٤ رقم الحديث (٤٥٠١- ٤٥٠٢) عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». وبرقم (٤٥٠٣) عن أبي هريرة أيضًا.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٧٤ رقم الحديث (٢٨٢٤)، وعن سهل بن سعد الساعدي رقم (٢٨٢٥).

للذنوب. ﴿شكور﴾ لحسناتهم. قاله مقاتل[١]. وقال ابن عباس: غفر العظيم من ذنوبهم، وشكر اليسير من أعمالهم[٢].

٣١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ قال ابن عباس: حيث جعلت نعمتي كرامتي فيمن خافني وعظم حقي[٣].

٣٢- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هذه الآية منتظمة بقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾. لما ذكر أن الأمم الماضية كذبوا الرسل الذين أتتهم بالبينات وبالزبور وبالكتاب المنير وأنه عاقبهم على ذلك، ذكر هذه الآية المصدقة بالكتاب فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن[٤] والمعنى: ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم؛ لأن من ورث شيئًا كان ذلك الشيء منتهيًا له.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمة محمد ﷺ[٥].

ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ قال ابن عباس: بدأ بشرهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب منها[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٧، وانظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٠.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٣ ب.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٣٣، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٠، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٩.

(٦) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٥، «زاد المسير» ٦/ ٤٨٩.

وقال مقاتل: يعني أصحاب الكبائر من أهل التوحيد[(١)].

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قال ابن عباس: وهو والذي لم يصب كبيرة[(٢)].

وقال مقاتل: هو صاحب اليمين[(٣)].

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يعني: المقربين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة. وقال الحسن: الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته، والسابق من رجحت [حسناته على سيئاته][(٤)(٥)].

وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: «**السابق والمقتصد يدخلان**[(٦)] **الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة**»[(٧)].

وقال عقبة قال[(٨)] لعائشة: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٨/أ، عن بكر ابن سهل الدمياطي.

(٣) لم أقف عليه عن مقاتل، وقد ذكره القرطبي ١٤/ ٣٤٦ عن مجاهد.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٨ أ، «البغوي» ٣/ ٥٧١، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٩.

(٦) في (ب): (يدخلون)، وهو خطأ.

(٧) هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٩٨، ٦/ ٤٤٤، والحاكم في «المستدرك» كتاب: التفسير، تفسير سورة الملائكة ٢/ ٤٢٦ وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم في «التفسير» ١٠/ ٣١٨٢.

(٨) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: قلت.

وعقبة هو: ابن صهبان الأزدي الحداني، وقيل: الراسبي، وقيل: الهنائي البصري، وحدان وراسب وهناءة من الأزد، روى عن عبد الله بن مغفل المزني=

الآية، فقالت: أما السابق فمن مضى في حياة رسول الله ﷺ، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فيعمل بأعمالهم حى لحق بهم فمثلي[١] ومثلك ومن اتبعتك[٢]، وكل في الجنة[٣]. وقال ابن الحنفية: الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنات، والسابق في الدرجات العلى[٤].

وروي عن ابن عباس أنه سأل كعبًا[٥] عن هؤلاء الأصناف الثلاثة فقال: تحاكت مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم[٦].

= وعثمان بن عفان وعائشة أم المؤمنين وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم: صبيح أبو الوسيم وعلي بن زيد بن جدعان وقتادة بن دعامة، وهو ثقة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، توفي في أول ولاية الحجاج على العراق.
انظر: «تهذيب الكمال» ١٧/ ٢٠٠ الترجمة (٣٩٧٧)، «الطبقات الكبرى» ٧/ ١٤٦، «الجرح والتعديل» ٦/ ٣١٢، الترجمة ١٧٣٦.

(١) هكذا في النسخ! وفيه سقط من الأثر نصه: وأما الظالم لنفسه فمثلي.

(٢) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: اتبعنا.

(٣) هذا الحديث رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب: التفسير، تفسير سورة الملائكة ٤/ ٤٢٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وابن حجر في «المطالب العالية» ٥/ ٣٦٠ وقال: لأبي داود، والثعلبي في «تفسيره».

(٤) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٢٨ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٥) هو: إسحاق بن كعب بن نافع بن ذي هجن الحميري التابعي، اشتهر بكعب الأحبار، من علماء اليهود في اليمن، أسلم في خلافة أبي بكر وقدم المدينة فأخذ عنه الصحابة كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ الكتاب والسنة من كبار الصحابة بالمدينة، ثم رحل إلى الشام وتوفي بها.
انظر: «حلية الأولياء» ٥/ ١٦٤، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٥٢، «تهذيب التهذيب» ٨/ ٤٣٨.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٣٤، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٣٩، أورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٢٧ وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

وقال كعب أيضًا: وقرأ هذه الآية إلى قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ فقال: دخلوها ورب الكعبة[١].

وروي عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: فيعذب الله من اصطفاه وجعلهم يدخلون الجنة[٢].

هذا الذي ذكرنا مذهب جمهور أهل التأويل. وذهب قوم إلى أن الظالم لنفسه ليس من أهل الجنة. فقال الكلبي: فمنهم ظالم لنفسه في الكفر وذلك في النار[٣].

وروي عن عمرو بن دينار أن ابن عباس كان يقول: الظالم لنفسه هو المنافق[٤].

وروي عوف عن الحسن: نجا السابق والمقتصد، وهلك الظالم لنفسه[٥].

وقال مجاهد: صنفيان[٦] نانجيان وصنف هالك قال: وهذه الآية كالتي في الواقعة: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٢٧ وعزاه لعبد بن حميد. قلت: ولعل هذا القول وسابقه لا فرق بينهما، فكلاهما يدل على أن الأصناف الثلاثة داخلة الجنة.

(٢) هكذا وردت هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنها في جميع النسخ، ويظهر أن في الكلام خطأ، ولم أقف على رواية عن ابن عباس قريبة منها بعد طول بحث، فيظهر- والله أعلم- أنها خطأ من النساخ والله أعلم.

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي، وانظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٤٦، «زاد المسير» ٦/ ٤٨٩ ونسبه لعمرو بن دينار عن ابن عباس.

(٤) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٣٩، وبعض المفسرين ذكر هذا القول منسوبًا للحسن. انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٣٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٨٩.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٣٥، «زاد المسير» ٧/ ٤٨٩، «مجمع البيان» ٨/ ٦٣٩. وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٢٧ وعزاه لعبد بن حميد والبيهقي عن الحسن.

(٦) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: صنفان.

أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨، ٩][(١)]. وعلى هذا القول الكناية في منهم ومنهم تعود إلى قوله: ﴿عِبَادِنَا﴾. والقول هو الأول؛ لأن الله تعالى ذكر الأصناف بعد الاصطفاء؛ ولأنه ختم ذكرهم بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾.

ولقد أحسن أبو بكر الوراق كل الإحسان حيث قال: رتب الله هذه الأمة على ثلاث طبقات؛ لأن أحوالهم على ثلاث: معصية ثم توبة ثم قربة، فإذا عصى العبد كان ظالمًا لنفسه، ثم إذا تاب صار مقتصدًا فإذا ثبت على التوبة دخل[(٢)] في السابقين[(٣)].

ولهذا المعنى بدأ في ذكرهم بالظالمين[(٤)]. على أن الواو عند أهل التحقيق لا توجب ترتيبًا. وذكرنا معنى المقتصد في اللغة عند قوله: ﴿أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقوله: ﴿سَابِقُۢ﴾ أي: سابق إلى الجنة أو إلى

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٣٥، «بحر العلوم» ٣/ ٨٦، «القرطبي» ١٤/ ٣٤٦.

(٢) في (ب): (صار من السابقين).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٧ أ، «البغوي» ٣/ ٥٧٢.

(٤) وقد ذكره القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٣٤٩ أوجهًا أخرى في سبب تقديم الظالم على المقتصد والسابق فقال: وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق، فقيل: التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفًا، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾.

وقيل: قدم الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقين أقل من القليل ذكره الزمخشري ولم يذكر غيره. وقيل: قدم الظالم لتأكيد الرجاء في حقه؛ إذ ليس له شيء يتكل عليه إلا رحمة ربه، وأتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق على طاعته.- قلت: وفي هذا القول نظر إذ لن يدخل أحد الجنة بعمله كما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ وقيل: قدم الظالم لئلا ييأس من رحمة الله وأخر السابق لئلا يعجب بعمله.

قلت: وقيل غير ذلك، ولا مانع من إرادة الكل والله أعلم.

رحمة الله. ﴿بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: بأعماله الصالحة بإذن الله بأمر الله وإرادته.

قوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: إيراثهم الكتاب.

٣٣- ثم أخبر بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ فقال ابن عباس: أدخلهم الجنة أفضل الجنان وأشرفها[١].

وقال مقاتل: يعني: هؤلاء[٢] الأصناف الثلاثة يدخلون الجنان[٣].

قال أبو علي: (جنات عدن نكرة ويدخلونها أو يدخلونها- على ما قرأ أبو عمرو- صفة لها؛ لأنها جملة والنكرات توصف بالجمل، وأما ارتفاع جنات، فيجوز أن يكون تفسيرا للفضل كأنه قيل: ما ذلك الفضل؟ فقال: الفضل جنات عدن، أي: دخول جنات. قال: ويجوز أن تجعل الجنات بدلًا من الفضل، كأن ذلك الفضل جنات عدن، أي: دخول جنات عدن)[٤]. هذا كلامه، والمعنى: إيراثنا إياهم الكتاب الفضل الكبير، وذلك الفضل جنات عدن أي: دخولها؛ لأن إيراث الكتاب هو[٥] سبب دخول الجنات. وباقي الآية مفسرة في سورة الحج[٦].

قال مقاتل: فلما دخلوها واستقرت بهم الدار، حمدوا ربهم على ما صنع بهم[٧]. وهو:

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٧.

(٢) في (ب): (هذه).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٤) «الحجة» ٦/ ٢٨.

(٥) «هو» ساقطة من (ب).

(٦) آية: ٢٣ ، وأحال على سورة الكهف.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

٣٤- قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾. قال أبو عبيدة والزجاج: الحزن والحزن واحد كالبخل والبخل والرشد والرشد[١].

قال ابن عباس: يعنون ما يعاينون[٢] في الموقف من الأهوال والزلازل والشدائد[٣].

قال مقاتل: لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم[٤].

وقال الكلبي: يعني الذي كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة[٥].

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: حزن النار[٦].

وقال سعيد بن جبير: همُّ الخبز في الدنيا[٧].

وقال الحسن: أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت، ولكن أحزان الآخرة[٨].

وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات[٩].

وقال أبو إسحاق: اذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٥، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٠.

(٢) في (أ): (عاينون).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٩ أ، «الماوردي» ٤/ ٤٧٥، «البغوي» ٣/ ٥٧٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٢٩ أ، «البغوي» ٣/ ٥٧٢، «فتح القدير» ٤/ ٣٥٠.

(٦) انظر: المصادر السابقة، ولعله لا فرق بين القولين.

(٧) انظر: «البغوي» ٣/ ٥٧٢، «زاد المسير» ٦/ ٤٩٢، «فتح القدير» ٤/ ٣٥٠. ولعل المقصود بهذا القول هو هم طلب الرزق.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) انظر: المصادر السابقة.

لمعاش أو لمعاد[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قال ابن عباس: يعنون بذلك أنهم غفر لنا العظائم من ذنوبنا، وشكر لنا من محاسن أعمالنا[٢].

٣٥- وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون ولا يتحولون عنها أبدًا[٣].

قال الفراء والزجاج: المقامة مثل الإقامة، يقال: أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقامًا[٤].

وقوله: ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ قال أبو إسحاق: أي ذلك بتفضله لا بأعمالنا[٥].

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة في أجسامنا[٦].

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ اللغوب: الإعياء من التعب. قال الفراء في المصادر: لغب بالفتح يلغب الضم لغوبا، ولغب بفتح الغين قليلة[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٦٧، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥٠٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤/أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٠، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧١.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧١.

(٦) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٧، «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٧) لم أقف على قول الفراء. وانظر: «اللسان» ١/ ٧٤٢ (لغب)، إلا أن ابن منظور قال: ولغب بالكسر لغة ضعيفة. وما ذكر هنا خطأ فالمراد: ولعب بكسر العين، فلعله وهم من النساخ والله أعلم.

الأزهري: ولغب فلان دابته، إذا تحامل عليها حتى أعيا[١][٢].

والمفسرون يقولون في اللغوب: إنه الإعياء[٣]. قال مقاتل: يقول: فلا يصيبنا في الجنة من إعياء[٤]. وقال عطاء عن ابن عباس: مثل ما يلغب الرجل حين يلاعب أهله ويجامعها[٥].

٣٦- فلما بلغ هذا الموضع انقطعت صفة أهل التوحيد، وهم أمة محمد ﷺ، ثم قال في صفة الكفار[٦]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ قال أبو إسحاق: فيموتوا جواب النفي، المعنى: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا[٧]. هذا كلامه. ويجوز أن يكون معنى لا يقضى عليهم لا يهلكون، من قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[٨] وقد مر، وحينئذ لا يحتاج إلى تقدير محذوف. قال ابن عباس: فيموتوا فيستريحوا مما[٩] هم فيه من العذاب.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين كذلك يعن ما ذكر[١٠].

---

(١) في (ب): (عيا) بدون همزة.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٣٩ (لغب).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٤٠، «بحر العلوم» ٣٠/ ٨٨، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ب): (الكافرين).

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧١.

(٨) سورة القصص: آية ١٥.

(٩) في (أ): (بما)، وهو خطأ.

(١٠) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٧، وقد ذكره بعض المفسرين غير منسوب.

وقال ابن عباس ومقاتل: هكذا نجزي كل كفور كل كافر[١].

٣٧- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يستغيثون. قاله ابن عباس[٢]. والجميع، وهو [قول][٣] من الافتعال من الصراخ، يقال اصطرخ[٤] القوم وتصارخوا[٥].

قال مقاتل: والاستغاثة أنهم ينادون[٦]: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾، قال ابن عباس: نقل: لا إله إلا الله ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يعني: الشرك[٧]. فوبخهم الله تعالى فقال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد ثماني عشرة سنة، وهو قول قتادة[٨]. وقال الحسن: أربعين سنة[٩]. وهو قول الكلبي، قال: تعمير العبد بعد أربعين سنة[١٠].

انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٨٨، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤٠، «البغوي» ٣/ ٥٧٣.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ. وانظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» ص٤٣٨ بهامش المصحف.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ب)

(٤) في (ب): (أصرخ).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ١٣٥ (صرخ)، «اللسان» ٣/ ٣٣ (صرخ).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٧) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٦، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٥٢.

(٨) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤١، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٩٤.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٦١، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٣، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٥٣.

(١٠) لم أقف عليه عن الكلبي. وقد ذكره الماوردي في «تفسيره» ٤/ ٤٧٦ عن ابن عباس ومسروق. وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٨٥ عن الحسن.

روى منصور، عن هلال، قال: كان أهل المدينة إذا أتى على أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة(١).

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: يعني ستين سنة(٢). وهذا أولى الأقاويل؛ لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا بلغ الرجل ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر**»(٣)، وقوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال ابن عباس(٤): يريد النبي ﷺ، وهو قول مقاتل والجمهور(٥).

وقال آخرون: يعني به الشيب. روى ذلك عكرمة وسفيان بن عيينة(٦).

وذكر الفراء والزجاج القولين في النذير(٧).

وقال أبو علي: من قال: إن النذير محمد ﷺ، كان اسم فاعل كالمنذر، ومن قال: إنه الشيب، كان الأولى أن يكون مصدرًا كالإنذار(٨).

والقول هو الأول؛ لقوله تعالى في صفة محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، الفتح: ٨].

---

(١) لم أقف عليه عن منصور بن هلال، وقد ذكره القرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٣٥٣ ونسبه لمالك

(٢) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٤١، «بحر العلوم» ٣/ ٨٩، «زاد المسير» ٦/ ٤٩٤.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب: التفسير، تفسير سورة الملائكة ٤/ ٤٢٧ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم في «التفسير» ١٠/ ٣١٨٥.

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٧.

(٥) وهو قول جمهور المفسرين كما حكاه «البغوي» ٣/ ٥٧٣، والنحاس في «معاني القرآن» ٥/ ٤٦٢، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤١.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٠ أ، البغوي ٣/ ٥٧٣، «زاد المسير» ٦/ ٤٩٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٠، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٢.

(٨) «الحجة» ١/ ٢٥٥.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا﴾ قال مقاتل: فذوقوا العذاب. ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ من مانع يمنعهم العذاب[١].

٣٨- وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تفسير هذه الآية قد تقدم فيما مضى[٢]. قال الكلبي ومقاتل: في هذه الآية يعني أنهم لو ردوا[٣] لما نهو عنه[٤].

٣٩- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد خلفًا من بعد قوم كانوا من قبلكم[٥]. قال أبو إسحاق: أي جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به[٦]. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: جزاء كفره.

ثم أمر نبيه ﷺ بالاحتجاج عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية. قال أبو إسحاق: معناه: قل أخبروني عن شركائكم[٧].

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال أبو علي: (قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ في موضع النصب؛ لأنه المفعول الثاني لأرأيتم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٢) عند قوله تعالى في سورة آل عمران آية ١١٩، ١٥٤.

(٣) هكذا في النسخ! وهو خطأ، إذا الصواب هو: لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: آية ٢٨ ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(٤) لم أقف عليه منسوبًا للكلبي. و انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ، «بحر العلوم» ٣/ ٨٩، «القرطبي» ١٤/ ٣٥٥.

(٥) لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس. ونسبه بعض المفسرين لقتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٤٣، «مجمع البيان» ٨/ ٦٤٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٢.

(٧) المصدر السابق.

وقوله تعالى: ﴿أَرُونِي﴾ تأكيدًا لما دل عليه أرأيتم. ألا ترى أن أرأيتم بمنزلة أخبروني، ومثله قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٧١].

٤٠- وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ﴾ [فصلت: ٥٢] في الاستفهام في الآيتين، في[1] المفعول الثاني لـ (أرأيتم)[2].

وقال مقاتل: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كما خلق الله آدم إن كانوا آلهة[3].

قال الفراء: أي أنهم لم يخلقوا شيئًا[4]. فعلى هذا من بمعنى في.

وقال الزجاج: (أي بأس شيء أوجبتم لهم شركة الله ﷻ)[5] أي شيء خلقوه من الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أم لهم شركة في خلق الموات. ثم ترك هذا النظم فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يقول: بل آتيناهم، يعني: أهل مكة. ﴿كِتَٰبًا﴾ قال ابن عباس: يريد بعثت إليهم قبلك يا محمد نبينا، وأنزلت عليهم كتابًا[6].

(١) حرف الجر (في) طمس من (ب).

(٢) لم أقف على قول أبي علي، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٧٠١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٣.

(٦) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٣٩، وذكر هذا القول الماوردي في «تفسيره» ٤/ ٤٧٨ ونسبه للكلبي.

وقال مقاتل: يقول هل أعطينا كفار مكة كتابًا[١]. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ﴾ يعني: ما في الكتابين[٢] من ضروب البينات.

وقرأ أبو عمرو: بينة، جعل ما في الكتاب بينة على لفظ الإفراد وإن كانت عدة أشياء، كما قال: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [هود: ٢٨][٣].

ثم استأنف: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: ما يعد الظالمون. ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ يعني: أباطيل تغر. قال ابن عباس: يريد ما يعدهم به إبليس وجنوده[٤].

وقال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا باطلًا ليس بشيء[٥].

٤١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ قال مقاتل: يعني لئلا تزولا عن مواضعهما[٦]. وعلى هذا، تكون هذه الآية كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواۗ﴾[٧] وقد مر.

وقال أبو إسحاق: يمسك بمعنى: يمنع[٨][٩].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٢) هكذا في النسخ بالتثنية! وهو خطأ؛ لأن الإشارة لم تسبق إلا إلى كتاب واحد، وهكذا وردت بالإفراد في «الوسيط» ٣/ ٥٠٧.

(٣) انظر: «الحجة» ٦/ ٢٩-٣٠، «حجة القراءات» ص٥٩٤.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ أ.

(٦) المصدر السابق.

(٧) سورة النساء: آية ١٧٦.

(٨) في (أ): (يمنعني)، وهو تصحيف.

(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٣.

وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار؛ لأن المعنى يمنعهما الزوال. وقال أبو عبيدة: في هذه الآية سبيلهما سبيل قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠](١). يعني: أنه ذكر السموات والأرض، ثم أعاد الكناية إليهما كما تعاد إلى الاثنين. قال الأخفش: جعل السموات صنفا كالواحد(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ قال الفراء: (يعني ولو زالتا، كقوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولئن ولو، وهما متآخيتان يجابان بجواب واحد)(٣).

وقال أبو إسحاق: هذا على وجهين:

أحدهما: أنه أراد زولانهما في القيامة قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]. **والثاني**: أن يقال: إن زالتا وهما لا يزولان. هذا كلامه(٤). والمعنى في الوجه الأول أن زوالهما جائز ولان(٥) في القيامة، وفي الوجه الثاني قيل: ولئن زالتا، على التقدير: لا أنهما تزولان ما دامت الدنيا.

وقال مقاتل: يعني: ولئن أرسلتهما فزالتا(٦)، وأضمر الإرسال.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ قال أبو عبيدة: أي لا يمسكهما(٧).

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٨٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٤.

(٥) هكذا في النسخ! ولعله تصحيف، والصواب: وكائن.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب.

(٧) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٦.

وقال الفراء: يعني: ما أمسكهما[(١)] .

قال مقاتل: يقول لم يمسكهما أحد من بعد الله[(٢)] .

وقال الكلبي في سبب النزول[(٣)]: إن اليهود لما قالوا: عزير ابن الله، [وقالت][(٤)] النصارى: المسيح ابن الله، كادت السموات والأرضون أن تزولا عن أمكنتهما، فمنعها الله ﷻ ونزل هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ قال: حليمًا عما يقال له، غفورًا لمن تاب من مقالته. واختار الزجاج قول الكلبي، وذكر في النزول مثل قوله .﴿حَلِيمًا﴾ حلم عمن قال: اتخذ الرحمن ولدًا فلم يعجل عليهم العقوبة[(٥)]. وسائر المفسرين لم يذكروا هذا السبب، والآية على قولهم احتجاجًا على المشركين بقدرة الله تعالى على حفظ السموات والأرض وإمساكهما عن الزوال، وإخبار[(٦)] عن عظم قدرته، وعلى هذا يقال: لم قال إنه كان حليمًا غفورًا؟ وأين هذا المكان عن ذكر الحلم والمغفرة وهذا موضع يدل على القدرة؟ والجواب عن هذا ما ذكر مقاتل، قال: هذا على التقديم، إنه كان حليمًا عن قولهم[(٧)] الملائكة بنات الله، غفورًا إذا أخر

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب.

(٣) انظر: «القرطبي» ١٤/ ٣٥٧، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٤٩٦ عن الزجاج.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط في (ب)

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٣.

(٦) في (ب): (وإجار).

(٧) في (ب): (للملائكة).

العذاب عنهم ولم يعجل عليهم بالعقوبة[١]. يعني أن هذا يعود إلى ما قبله من ذكر كفار مكة والمشركين.

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني: كفار مكة. وهذه ألفاظ قد سبق تفسيرها في سورتين[٢].

قال ابن عباس: حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول .﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى﴾ أصوب دينا.﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يريد: اليهود والنصارى والصابئين .﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ : ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الهدى[٣].

٤٣- ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: عتوا[٤].

وقال مقاتل: تكبرا في الأرض عن الإيمان[٥]. وانتصب استكبارا -عند الأخفش- على البدل من قوله: ﴿نُفُورًا﴾[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٩، قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾. والآية ٥٣ من سورة النور، قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٨، وأورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥٠٨، وذكره أكثر المفسرين غير منسوب لابن عباس.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٠ ب، «بحر العلوم» ٣/ ٩٠، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤٣.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «بحر العلوم» ٣/ ٩٠، «الوسيط» ٣/ ٥٠٨، «القرطبي» ١٤/ ٣٥٨.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب.

(٦) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٧٣، «البحر المحيط» ٨/ ٣٠٥.

وقال الفراء: فعلوا ذلك استكبارا[١]. وهذا محتمل المصدر، ويحتمل أن يكون معناه للاستكبار، وهو قول الزجاج قال: هو منصوب؛ لأنه مفعول له، المعنى: ما زادهم إلا نفورًا للاستكبار[٢].

﴿ومكر السي﴾ قرأ حمزة بإسكان الهمزة. قال أبو إسحاق: (وهذا عند النحويين لحن لا يجوز، وإنما يجوز في الشعر للاضطرار، كقوله:

إذا أعوججن قلت صاحب قوم[٣]

يريد: يا صاحب، فحذف مضطرا، كأنه استثقل الضم بعد الكسر والكسر بعد الكسر، ولو قال صاحب، ومثله:

اليوم اشرب غير مستحقب[٤]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٤.

(٣) صدر بين من الرجز، وعجزه:

بالدو أمثال السفين العوم

وينسب لابن نحيلة، انظر: «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٣٩٨، «شرح شواهد الشافية» ص٢٢٥. وبلا نسبة في: «الكتاب» ٤/ ٢٠٣، «الخصائص» ١/ ٧٥، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧١.

ويعني بقوله: اعوججن، الإبل، والدو: الصحراء، شبه الإبل في الصحراء بالسفن التي تمخر عباب اليم.

والشاهد فيه: تسكين ياء صاحب، تشبيهًا للوصل بمجرى الوقف.

(٤) صدر بيت، وعجزه:

إثمًا من الله ولا واغل

وهو لامرئ القيس كما في: «ديوانه» ص١٢٢، «الكتاب» ٤/ ٢٠٤، «لسان العرب» ١/ ٣٢٥ (حقب)، «الأصمعيات» ص١٣٠. واستحقب: اكتسب، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيبة، والواغل: الداخل على القوم في شرابهم ولم يدع.

والشاهد فيه قوله: اشرب، حيث سكن الباء ضرورة.

والبيتان أنشدهما جميع النحويين المذكورين، قد أعلنوا كلهم أن هذا من الاضطرار في الشعر، ولا يجوز مثله في كتاب الله)[١].

قال أبو علي: (التقدير في قوله: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: استكبروا في الأرض، (ومكر السيىء) أي: مكروا والمكر السيئ، فأضيف المصدر، إلى صفة المصدر ألا ترى أنه قد جاء بعد ولا يحيق المكر السيئ، وكما أن السيئ صفة للمصدر كذلك الذي قبله، ومثله قوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تقديره: مكروا المكرات السيئات، إلا أنك إذا أضفت إلى السيئ قدرت الصفة وصفًا لشيء غير المكر، كما أن من قال: دار الآخرة، وجانب الغربي، قدره كذلك، يريد أن الأصل: الدار الآخرة، والجانب الغربي، فلما أضيف إلى صفته صار التقدير: دار الأحكام الآخرة، وجانب البلد الغربي، كذلك مكر السيئ يكون معناه: مكر الشرك السيء.

قال: فأما قراءة حمزة واستكانة[٢] الهمزة في الاستدراج، فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل مجراها في الوقف، فهو مثل سببا[٣] ويمهل، وهو في الشعر كثير.

ومما يقوي ذلك أن قومًا قالوا في الوقف: أفعى وأفعوا، فأبدلوا من الألف الواو والياء، ثم أجروها في الوصل مجراها في الوقف فقالوا: هذه أفعوا يا فتى، فكذلك عمل حمزة بالهمزة في هذا الموضع.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٥.

(٢) في (أ): (واستكانه)، وهو خطأ.

(٣) في (ب): (سببا)، وهو تصحيف.

قال: ويحتمل وجهًا آخر، وهو أنه خفف لاجتماع الكسرتين والياثين، كما خففوا الباء من إبل لتوالي الكسرتين، ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب كما فعلوا في قولهم:

فاليوم فاشرب غير مستحقب[(١)] .. ..

.. .. وقد بدا هنك من المئزر[(٢)]

فإذا شاع ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل، لم يسغ لقائل أن يقول إنه لحن، للزمه أن يقول: إن قول من قال: افعوا في الوصل لحن، فإذا كان من قرأ به على قياس ما استعملوه في كلامهم المنثور لم يكن لحنا، ولم يكن لقادح في ذلك قدح. وهذه القرآة وإن كان لها مخلص من الطعن، فالوجه قراءة الحرف على ما عليه الجمهور في الدرج)[(٣)].

وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ، فيترك الحركة، وهو وقف حسن؛ لأنه تمام الكلام، ثم غلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الإدراج[(٤)]، فيحتمل أن يكون حمزة قد ذهب إلى قراءته ولم يعلم أنه إنما كانت يترك الحركة في همز الوقف؛ لأنه في

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس سبق معنا.

(٢) عجز بيت من السريع، وصدره:

رحت وفي رجليك ما فيهما.

وهو مختلف في نسبته، فهو في ديوان الأقيشة الأسدي ومنسوب إليه في «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٣٩١، و«خزانة الأدب» ٤/ ٤٨٤، ونسبه ابن قتيبة كما في «الشعر والشعراء» للفرزدق. والشاهد فيه: إسكان النون في هناك ضرورة، وهو مرفوع لأنه فاعل بدا.

(٣) «الحجة» ٦/ ٣١-٣٣.

(٤) «القطع والائتناف» ص٥٩٣.

الإدراج، فتابع المغالط في الرواية[١].

والمفسرون فسروا المكر السيئ هاهنا بالشرك[٢]. والتقدير: ومكروا مكرًا سيئًا، والمكر السيئ وهو عملهم القبيح من الشرك، والمكر هو العمل القبيح. وقد مر هذا المعنى في مواضع من التنزيل.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يريد عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك[٣]. وقال الكلبي: هو أنهم قتلوا يوم بدر[٤].

ثم خوفهم فقال: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قولهم[٥] أي: يجب أن لا ينتظروا إلا العذاب بعد تكذيبك، وهذا كقوله: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٦] وقد مر.

قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ في العذاب .﴿تَبْدِيلًا﴾ وإن تأخر ذلك؛ لأن قوله الحق في نزول العذاب بهم في الدنيا.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم. قاله مقاتل وابن عباس[٧].

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٧٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٤٥، «بحر العلوم» ٣/ ٩٠، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٤، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٥٨.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٥، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٤٣، «زاد المسير» ٦/ ٣٥٩.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٧٩، «البغوي» ٣/ ٥٧٥، «القرطبي» ١٤/ ٣٥٩.

(٥) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: قبلهم.

(٦) سورة يونس: آية ١٠٢.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٤ ب، انظر: «تفسير ابن عباس» ص٣٦٨.

٤٥- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يريد المشركين كفار مكة[١]. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب لعجل لهم العقوبة، وهو قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾. قال الأخفش: أضمر الأرض من غير أن يكون ذكرها؛ لأن هذا الكلام قد كثر حتى قد عرف معناه، ويقولون: ما على ظهرها أحب إلى منك، وما بها من أحد آثر عندي منك[٢].

وقال الزجاج: قد جرى ذكر الأرض في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣].

وقوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين[٤].

وقال الكلبي: يعني الجن والإنس خاصة[٥].

قال أبو عبيدة: الدابة هاهنا الناس خاصة[٦]. واختار الزجاج قول الكلبي[٧].

وسائر أهل التفسير يجعلون الدابة هاهنا عامًا في من دب على وجه الأرض، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في نظير هذه الآية في سورة النحل [: ٦١].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ، ولم أقف عليه عن ابن عباس.
(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٨٧.
(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٦.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٤/ ٤٧٩، «تفسير القرطبي» ١٤/ ٣٩١.
(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٥٦.
(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٦.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل طاعته وأهل معصية[1].



---

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٥٧٥.

سورة يس

تفسير سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يسٓ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد يا إنسان، قال: وهي بلغة طي، وهو قول الكلبي وعكرمة والضحاك ومقاتل والحسن[١].

وقال ابن الحنفية: يا محمد، وهو قول سعيد بن جبير[٢].

وقال أبو العالية: يا رجل[٣]. وهذان القولان كالأول، تفسير لذلك الإنسان المنادى.

وقال عطاء: هي بالسريانية. وقيل: بالحبشة. روي ذلك أيضًا عن ابن عباس[٤]. فمن قال بهذا، قال: إنهم يقولون: يس، ويريدون به يا إنسان، ثم تكلمت العرب به فصار من لغتهم، كما ذكر أنها من لغة طي، ووجهه من العربية أنه اكتفى بالسين من إنسان كما يكتفي بالحرف الواحد من الكلمة.

وقال مجاهد: ﴿يسٓ﴾ فواتح من كلام الله يفتح بها كلامه[٥].

---

(١) انظر: «اللغات في القرآن» ص٥٣، «الطبري» ٢٢/ ١٤٨، «الماوردي» ٥/ ٥، «زاد المسير» ٧/ ٣، «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٢ أ، «الماوردي» ٥/ ٥، «المحرر الوجيز» ٤/ ٥٤٥، «زاد المسير» ٧/ ٣.

(٣) انظر: «البغوي» ٤/ ٥، «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٠.

(٤) انظر: «الماوردي» ٥/ ٥، «القرطبي» ١٥/ ٤، «المحرر الوجيز» ٤/ ٥٤٥، «زاد المسير» ٧/ ٣، «البحر المحيط» ٧/ ٣١٠.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٤٨، «بحر العلوم» ٣/ ٩٣، «الماوردي» ٥/ ٥.

واختلف القراء في إظهار النون من ﴿يسٓ﴾ وإخفائه، فقرأوا بالوجهين، وكلامه جائز صحيح، فمن أظهر فلأن هذه الحروف مبنيَّة على الوقف يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع[١] بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها، فلما جاز فيها الجمع بين ساكنين من حيث كان التقدير فيها الوقف استجيز معها تبيين النون في الإدراج وإن كانت النون الساكنة تجيء مع حروف الفم؛ لأن التقدير بها الوقف. ومن أخفى فلأنه وإن كان في التقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل، وذلك قولهم: ألم الله، ألا ترى أنهم حذفوا همزة الوصل كما تحذف في الكلم التي توصل، فلا يكون التقدير فيها الوقوف عليها، وكذلك قالوا: واحد اثنان، فحذفوا همزة الوصل، وإذا صار في تقدير الوصل أوجب أن لا تبين معها النون[٢].

٢- ٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: أقسم الله بالقرآن المحكم أنك لمن المرسلين، وذلك أن كفار مكة قالوا له: لست مرسلًا، وما أرسل الله إلينا رسولًا، فأقسم الله بالقرآن أن محمدًا من المرسلين[٣].

٤- ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: على [دين][٤]

---

(١) في (أ): (الجميع)، وهو خطأ.

(٢) انظر هذا الكلام بنصّه مع اختلاف يسير في «الحجة» ٦/ ٣٥، وانظر: «حجة القراءات» ص٥٩٥، «الحجة في القراءات السبع» ٢٩٧.

(٣) انظر: «القرطبي» ١٥/ ٥، «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ، وذكره غير منسوب: البغوي ٥/ ٥، الطبري في «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٠.

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

مستقيم، يعني دين الإسلام؛ لأن الأديان كلها غير الإسلام [ليس][(١)] بمستقيم[(٢)].

قال أبو إسحاق: (أي على طريق الأنبياء الذين تقدموك، قال: وأحسن ما في العربية أن يكون ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ خبر إن، ويكون ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبرًا ثانيًا والمعنى: إنك لمن المرسلين، وإنك على صراط مستقيم. قال: ويجوز أن يكون على صراط من ملة المرسلين، فيكون المعنى: إنك من المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة)[(٣)]. وذكر الفراء أيضًا الوجهين في قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كما ذكر الزجاج[(٤)].

٥- وقوله: ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ تنزيل يقرأ بالرفع والنصب، فمن قرأ بالنصب فعلى المصدر، على معنى: نزل الله ذلك تنزيلًا من العزيز الرحيم، ثم أضيف المصدر فصار معرفة، كما قال: (فضرب الرقاب) [محمد: ٤] على معنى: فضربًا للرقاب. وهذا قول الزجاج وأبي علي وصاحب النظم[(٥)].

ومن قرأ بالرفع فعلى معنى: الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم، وهو تنزيل، أو على: تنزيل العزيز. هذا قول مقاتل[(٦)]: هذا القرآن هو تنزيل

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط في (ب).

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٧.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٨، «الحجة» ٦/ ٣٦.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.

العزيز في ملكه الرحيم بخلقه. وقال الكلبي: العزيز بالنقمة من[(١)] لم يجب الرسل الرحيم بالمؤمنين[(٢)].

٦- وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ قال صاحب النظم: هذا متصل بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ فيه قولان: قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد كما أنذر آباؤهم من لدن إبراهيم وإسماعيل[(٣)].

وقال مقاتل: كما أنذر آباؤهم الأولون[(٤)].

وقال عكرمة: مثل ما أنذر آباؤهم[(٥)].

القول الثاني: قال قتادة: لتنذر قومًا لم يأتهم نذير قبلك[(٦)]. ونحو هذا قال الكلبي[(٧)] وهو قول عامة المفسرين[(٨)]. و ﴿مَّآ﴾ على هذا القول تكون [جحدًا][(٩)]. وذكر الفراء والأخفش والزجاج القولين، قال الفراء: (لتنذر [قومًا][(١٠)] لم ينفع[(١١)] آباؤهم ولا أتاهم رسول قبلك، ويقال: لتنذرهم بما

---

(١) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: لمن.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ٣٦٩، «القرطبي» ١٥/ ٦.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٠، «القرطبي» ١٥/ ٦، «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٠.

(٦) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٠، «الماوردي» ٥/ ٦، «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٠.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «الثعلبي» ٣/ ٢٣٢ ب، «الطبري» ٢٢/ ١٥٠، «الماوردي» ٥/ ٦، «بحر العلوم» ٣/ ٩٣.

(٩) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١١) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: لم يُنذر آباؤهم.

أنذر آباؤهم فتلقي الباء، فيكون ﴿مَآ﴾ في موضع نصب كما قال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣])[١].

وقال الأخفش: (أي لم تنذر آباءهم؛ لأنهم كانوا في الفترة، قال: وقال بعضهم: لتنذر الذي أنذر آباؤهم، ثم اختار القول الأول؛ لقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾، ودخول الفاء على المعنى الثاني كأنه لا يجوز، وهو على الأول أحسن)[٢] هذا كلامه. ومعناه: أنك إذا جعلت ﴿مَآ﴾ إثباتًا بمعنى الذي، لم يحسن دخول الفاء في ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ فإذا جعلته نفيًا حسن.

قال أبو إسحاق: (الاختيار أن ﴿مَآ﴾ جحدٌ؛ لأن قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ دليل على معنى لم ينذر آباؤهم، وإذا كان قد أنذر آباءهم كان في قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ بُعدٌ. قال: ودليل النفي قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤])[٣].

٧- وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال مقاتل: (وجب العذاب على أكثر أهل مكة، قال: ويعني بالقول قوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ [ص: ٨٥])[٤].

قال أبو إسحاق: (القول هاهنا- والله أعلم- مثل قوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١])[٥].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٢.
(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٤٨٨.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٨.
(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٨.

وقال صاحب النظم: القول هاهنا: إيماء[١] إلى القدر مقتصًا من قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] هذا كلامه. والمعنى أن قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ إشارة إلى الإرادة الأزلية السابقة بكفرهم، وإذا سبقت الإرادة بكفرهم فمتى يؤمنون؟ وهو قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

قال الزجاج: بكفرهم وعنادهم أضلهم ومنعهم الهدى فهم لا يؤمنون[٢]. [قال الزجاج: بكفرهم وعنادهم فهم لا يؤمنون][٣].

٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ في هذه الآية والتي بعدها مذهبان: أحدهما: مذهب المفسرين، وهو أن الآية نزلت في أبي جهل، قصد النبي ﷺ بحجر ليدمغه وهو يصلي، فيبست يده إلى عنقه حتى عاد إلى أصحابه، فذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾. وهذا قول مقاتل والكلبي[٤]. والثاني: مذهب أهل المعاني: وهو أن هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل[٥]، أراد:

---

(١) في (ب): (أبا).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٨.

(٣) ما بين المعقوفين تكرار، وهو في جميع النسخ.

(٤) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٢، «بحر العلوم» ٣/ ٩٤، «الماوردي» ٥/ ٧، «البغوي» ٤/ ٦، «زاد المسير» ٧/ ٦، وأصل الحديث في البخاري «كتاب التفسير»، تفسير سورة إقرأ عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ ٤/ ١٨٩٦ رقم الحديث (٤٦٧٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ٣/ ١٦١: رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» قال: وهو في أوائل سيرة ابن هشام من قول ابن إسحاق في كلام طويل.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٧٢، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٧٥، «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٨٠.

منعناهم عن الإيمان بموانع، وهذا قول أبي عبيدة[١].

وقال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله[٢]. وكان هذا الوجه أوضح؛ لقوله فيما بعد: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية.

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ قال الفراء: (هي كناية عن الإيمان ولم يذكر، وذلك أن الغل لا يكون إلا في اليمين والعنق، جامعًا لليمين والعنق فكفى ذكر أحدهما عن صاحبه كما قال: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٢] فضم الورثة إلى الوصي ولم يذكروا؛ لأن الصلح بما بقي من الوصي والورثة، ومثله قول الشاعر:

وما أدري إذا يممت وجهًا أريد الخير أيهما يليني[٣]

وإنما ذكر الخير وحده، ثم قال: [أيهما][٤] وذلك أن الشر يذكر مع الخير، وهي في قراءة عبد الله (إنا جعلنا في أيمانهم) فكفت الأيمان عن ذكر الأعناق في حرف عبد الله، وكفت الأعناق في قراءة العامة)[٥] عن ذكر الأيمان ونحو هذا قال الزجاج سواء، قال: (ومثل هذا قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ ولم يذكر البرد؛ لأن ما يقي الحر يقي البرد)[٦].

---

(١) انظر: «القرطبي» ١٥/ ٨، «فتح القدير» ٤/ ٣٦١.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٣.

(٣) البيت من الوافر، وهو للمثقب العبدي في نونيته، في «ديوانه» ص٢١٢، «الخزانة» ١١/ ٨٠، وبلا نسبة في: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧٢، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٧٩.

(٤) هكذا جاء في النسخ، وما بين المعقوفين يظهر أنه زائد؛ لأنه ليس في «معاني القرآن» للفراء، ولا معنى له كذلك.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٠.

وقوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾. قال الفراء: المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه.[1][2] هذا قول.

ونحو ذلك قال أبو إسحاق[3]. ومعنى الإقماح في اللغة: رفع الرأس وغض البصر، يقال: أقمح البعير رأسه وقمح.

قال أبو عبيد: يقمح البعير قمح قموحًا إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء[4].

وقال الأصمعي: بعير قامح، إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب، وجمعه قماح[5]. وأنشد الفراء وجميع أهل اللغة قول بشر[6] يصف سفينة:

ونحن على جوانبها قعود نغض[7] الطرف كالإبل القماح

---

(١) في (ب): (صوته)، وهو خطأ.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٩.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٨١ (قمح)، «اللسان» ٢/ ٥٦٦ (قمح).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٨١ (قمح)، «اللسان» ٢/ ٥٦٦ (قمح).

(٦) هو: بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل، عدَّه ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات فحول أهل الجاهلية، وهو من شجعان أهل نجد، مات سنة ٢٢ قبل الهجرة.
انظر: «الشعر والشعراء» ١/ ١٩٠، «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٩٧، «الخزانة» ٢/ ٢٦٢.
والبيت من الوافر، وهو في: «ديوان بشر» ص٤٨، «لسان العرب» ٢/ ٥٦٦ (قمح)، «تاج العروس» ٧/ ٦٣ (قمح)، «تهذيب اللغة» ٤/ ٨١ (قمح)، «أساس البلاغة» ص٣٧٧ (قمح).

(٧) في (أ): (يغض)، وهو خطأ.

قال أبو إسحاق: (وقيل للكانونين:[١] شهرا قماح لأن الإبل إذا وردت الماء ترفع رأسها لشدة برده[٢])[٣].

وأنشد أبو زيد للهذلي:

فتًى ما الابن الأعر إذا استويا
وحب الراد سميا في شهري قماح[٤][٥]

لكراهة كل ذي كبد شرب الماء، والقمح نحو من قمح.

قال الأزهري: وأراد جل وعز أن أيديهم إنما غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعدا كالإبل رافعة رأسها[٦]. هذا كلامه وتأويله: فهم مقمحون أي: مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها، يدل عليه قول قتادة في تفسير ﴿مُّقْمَحُونَ﴾ قال: مغلولون[٧].

٩- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ ومضى

---

(١) يقصد: شهري كانون أول وكانون ثاني.

(٢) في (ب): (برد)، وهو خطأ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٧٩.

(٤) هكذا ورد البيت في النسخ، وهو خطأ، والصواب:

فتًى ما ابن الأغر إذا شتونا وحُبَّ الزاد في شهري قُماح

والبيت لخالد بن مالك الهذلي، وهو من الوافر، في «ديوان الهذليين» ٣/ ٥، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص٥٣٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٨١، «اللسان» ٢/ ٥٦٦ (قمح)، «البحر المحيط» ٧/ ٣١٢.

(٥) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٧٦، «البحر المحيط» ٧/ ٣١٢.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٨١.

(٧) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥١، «بحر العلوم» ٣/ ٩٤، «مجمع البيان» ٨/ ٦٥١.

الكلام في تفسير السد والقراءة فيه[(١)].

قال مقاتل: لما عاد أبو جهل إلى أصحابه ولم يصل إلى ما قصد من النبي ﷺ وسقط الحجر من يده، أخذ الحجر رجل آخر من بني مخزوم وقال: أنا أقتله بهذا الحجر، فلما دنا من النبي ﷺ طمس الله على بصره فلم ير النبي ﷺ ورجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ حين لم ير أصحابه[(٢)]. ونحو هذا قال الكلبي[(٣)]. وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد يمنعهم [من الهدى][(٤)] لما سبق في علمه[(٥)] عليهم[(٦)]. وهذا موافق لمذهب أهل المعاني.

وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾، قال الفراء: ألبسنا أبصارهم غشاوة[(٧)]. قال ابن قتيبة: أي عيونهم وأعميناهم عن الهدى[(٨)]. والتأويل: أغشينا أعينهم بالعمى، فحذف المضاف والمفعول الثاني للعلم بأن ما يلبس العين إنما هو العمى.

---

(١) عند الآية: ٩٤ : الكهف، وهي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. قال المؤلف هناك رحمه الله: قرئ بالفتح والضم. قال أبو عبيدة: السد بالضم، إذا كان مخلوقًا من فعل الله تعالى، فإن كان من فعل الآدميين فهو سَد بالفتح، وهذا قول عكرمة والأخفش. وقال الكسائي: ضم السين وفتحها سواء.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٥ ب.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٩٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (أ): (علمهم)، وهو خطأ.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٣.

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص٣٦٣.

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد سبيل الهدى(١).

وذكر أبو إسحاق المذهبين فقال: (هذا فيه وجهان: أحدهما: قد جاء في التفسير وهو أن جماعة أرادوا بالنبي ﷺ سوءًا فحال الله بينهم وبين ذلك، فجعلوا بمنزلة من هذه حالة ممن غلت يده وسط(٢) طريقه من بين يديه ومن خلفه وجعل على بصره غشاوة، قال: ويجوز أن يكون وَصَفَ إضلالهم أي: أضللناهم فأسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله والسعي فيما يقرب إلى الله كما قال ﷻ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، قال: ودليل هذا القول قوله في أثر هذا.

١٠- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية أي: من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار)(٣)، إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: إنما ينفع إنذارك هذا إلا(٤) من منعه الله عن الهدى، فخصه الله بإنذار هؤلاء لما لم ينفع الإنذار من غيرهم موقعه، فصار كأنه لم ينذرهم حيث لم ينفعهم، لذلك قال:

١١- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: من استمع القرآن واتبعه. ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خاف الله ﷻ من حيث لا يراه أحد. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبهم. ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ حسن، وهو الجنة.

---

(١) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ٣٦٩، وأورد هذا القول ونسبه لقتادة القرطبي ١٤/ ١٠، وأورده غير منسوب: البغوي ٤/ ٦.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب: وسُدَّ، كما في «معاني القرآن وإعرابه».

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٠.

(٤) يظهر أن (إلا) هنا زائدة؛ لأنها تفسد المعنى، وأن هناك حرف ساقط، وتكون الجملة حسب ما يظهر لي هكذا: أي لا ينفع إنذارك هذا من منعه الله عن الهدى.

١٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال ابن عباس: يريد البعث[١].

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ قال مقاتل: من خيرٍ أو شر فاقتدى بها[٢] من بعدهم. وهذا اختيار الفراء والزجاج[٣].

وهو قول سعيد بن جبير، قال: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: ما سنوا[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ما آثروا من أثر خير أو شر[٥]. كقوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة: نزلت هذه الآية في بني سلمة، أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب مسجد النبي ﷺ وكانت منازلهم بعيدة، فلما نزلت قالوا: بل نمكث مكاننا[٦]. فعلى هذا معنى آثارهم: خطاهم.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هنا نلحظ أن المؤلف اختصر في نقله عن مقاتل، وهذا الاختصار قد يكون موهمًا، ففي «تفسير مقاتل» .﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استنوه من سنة خيرًا وشرًّا، فاقُتدي به من بعد موتهم ا.هـ.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٣، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨١.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٨١، «الماوردي» ٥/ ٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٤٨، ونسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٦٩.

(٦) هذا الحديث ورد بعدة طرق، منها: ما ورد عن أنس وقد أخرجه ابن ماجه في «سننه» أبواب المساجد، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا ١/ ١٤١ رقم (٧٦٨)، وأخرجه ابن شيبة في «المصنف» ٢/ ٢٠٧، ومنها ما ورد عن ابن عباس، وقد أخرجه ابن ماجه أيضًا في «سننه» أبواب المساجد، باب: الأبعد فالأبعد عن المسجد أعظم أجرًا ١/ ١٤١ رقم (٧٦٩). وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٤٦، وقال: أخرج الفرياني وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن ماجه، وابن=

وهو قول الحسن[١]، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٢]، وقتادة[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز: لو كان الله تاركًا لابن آدم شيئًا لترك ما عبث[٤] عليه الرياح من أثر[٥].

وقال مسروق: ما خطا رجل خطوة إلا كتب حسنة أو سيئة[٦].

وروي عن مجاهد قال: ما قدموا من خير، وآثارهم: وما أورثوا من الضلالة[٧]. فعلى هذا ما قدموا بالخير وخص الآثار ما يبقى بعدهم من آثار الضلالة وسنتها.

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ قال الفراء: القراء يجمعون على نصب كل

= جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس.
وهناك رواية أخرى للحديث، أخرجها الإمام مسلم في «صحيحه» «كتاب الصلاة»، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٢ رقم (٦٦٥) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٤، «القرطبي» ١٥/ ١٢، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٥.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٥٣٣، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٨١، «الماوردي» ٥/ ٩.

(٣) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٥، «القرطبي» ١٥/ ٢١، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٥.

(٤) هكذا في النسخ، والصواب: عفت.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٤٠، «زاد المسير» ٧/ ٨. وأخرج هذا الأثر الطبري ٢٢/ ١٥٥ عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٤٧ ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) انظر: «الدر المنثور» ٧/ ٤٧، وقد نسبه لعبد بن حميد.

(٧) انظر: «فتح القدير» ٤/ ٤٦٢، وقد أورد هذا القول بعض المفسرين لكنه منسوب لغير مجاهد فأورده الماوردي ٥/ ٩ ونسبه لسعيد بن جبير، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٩ ونسبه لابن عباس وسعيد بن جبير، قال: وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج.

لما وقع من الفعل على راجع[١]. يعني الكناية في قوله: ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾، والاختيار أن يقول:[٢] ضربت زيدًا وعمرًا كلمته، ينتصب عمرًا لسبق الفعل قبله، وهاهنا أيضًا سبق الفعل، وهو قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾. ويجوز الرفع على الاستئناف[٣].

وقال مقاتل: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ من الأعمال ما[٤] ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ بيناه.

قال ابن عباس: حفظناه[٥].

ومعنى الإحصاء في اللغة: العد، والعد يكون للبيان ويكون للحفظ[٦].

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: في اللوح المحفوظ[٧].

وقال مجاهد: يعني أم الكتاب[٨].

قال أهل المعاني[٩]: وفي ذلك اعتبار الملائكة إذ قابلوا به ما يحدث

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٣.

(٢) في (ب): (تقول).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٨٦، «الدر المصون» ٥/ ٤٧٧.

(٤) (ما) زائدة هنا وليست هي في «تفسير مقاتل». وانظر: «تفسير مقاتل» ١٠٥ ب.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس. وقد أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٨ ولم ينسبه.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ١٦٤ (حصا)، «اللسان» ١٤/ ١٨٤ (حصى).

(٧) «تفسير ابن عباس» هامش المصحف ص٣٦٩، «تفسير مقاتل» ١٠٥ ب، وأورده الماوردي ٥/ ٩ ونسبه للسدي، والقرطبي ١٥/ ١٣، ونسبه لمجاهد وقتادة وابن زيد.

(٨) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٥، «الماوردي» ٥/ ٩.

(٩) لم أقف على هذا القول عند أحد من أهل المعاني، فلعله وهم من المؤلف.

من الأمور، وكان فيه دليل على معلومات الله ﷻ التفصيل.

١٣- وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قال ابن عباس: يريد لقومك[١]. وقال مقاتل: صف لهم يا محمد شبها يعني- لأهل مكة- أصحاب القرية[٢].

قال أبو إسحاق: أصحاب القرية بدل من مثل، كأنه قال: اذكر لهم أصحاب القرية[٣]. أي خبر أصحاب القرية، هي أنطاكية[٤] في قول الجميع[٥].

وقوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ يعني: رسل عيسى ﵇، وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية يدعوا الناس إلى عبادة الله ﷻ.

١٤- وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا﴾، والمعنى: إذ جاؤها[٦] بإرسالنا إليهم اثنين وكانا رسولي عيسى، وأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه؛ لأن عيسى أرسلهما

---

(١) «تفسير ابن عباس» هامش المصحف ص٣٦٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٥ أ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨١ بمعناه.

(٤) أنطاكية: بلد من بلدان الجمهورية العربية السورية. قال ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢٦٦: أول من بني أنطاكية انطيخس، وهو الملك الثالث بعد الإسكندر، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية؛ لأنها من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكة، وسعة الخير.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٥، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٨٢، «الماوردي» ٥/ ١٠، «القرطبي» ١٥/ ١٤، وقد استشكل الحافظ ابن كثير هذا القول ورده من وجوه. انظر: «تفسيره» ٣/ ٥٦٩.

(٦) في (أ): (جائها).

بأمر الله تعالى. قال الكلبي: وكان ذلك حين رفع إلى السماء[(١)].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ قال ابن عباس: فضربوهما وحبسوهما[(٢)].

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ قال أبو إسحاق: (فقوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث)[(٣)]. وهو قول جميع المفسرين[(٤)].

قال المبرد وأبو علي: من قرأ فعززنا بالتشديد، فالمعنى: شددنا وقوينا. ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: قهرنا[(٥)] وعلينا من قوله ﷻ: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، وأنشد أبو علي لجرير:

أَعُزُّك بالحجاز وإن تَسَهَّل يعزز[(٦)] الأرض يُنْتَهب انتهابًا[(٧)(٨)]

قال أبو عبيد: وقراءتنا بالتشديد؛ لأن تأويل عززنا: غلبنا[(٩)]. والتفسير الأول أشبه بالمعنى. [وقال الفراء: عززنا][(١٠)]. وعززنا كقولك: شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيل[(١١)]. ونحو ذلك قال الزجاج. ﴿فَقَالُوٓا۟﴾:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥١١، «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٢.

(٤) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٦، «الماوردي» ٥/ ١٠، «زاد المسير» ٧/ ١١، «القرطبي» ١٥/ ١٤.

(٥) في (ب): (قهرنا).

(٦) هكذا في النسخ، والصواب كما في «الديوان والحجة»: بغور.

(٧) البيت من الوافر، لجرير في «ديوانه» ص٦٥، وهو من قصيدة طويلة يهجو بها الراعي النميري، «الحجة» ٦/ ٣٨.

(٨) لم أقف على قول المبرد. وانظر: «الحجة» ٦/ ٣٨.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣ (عز).

(١٠) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(١١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٤.

يعني الرسل لأهل أنطاكية. ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾. قالوا لهم:

١٥- ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ قال مقاتل: يعني ما نرى لكم علينا من فضل في شيء. ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ يعني: لم يرسل رسولًا. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ بأنكم رسول الله[١].

١٦- ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وإن كذبتمونا.

١٧- ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: وما علينا إلا أن نبلغ ونبين لكم بأن الله الواحد [لا شريك][٢] له.

١٨- فقال القوم للرسل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ يعني: تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عليهم فقالوا: أصابنا هذا الشر من قبلكم. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ لئن لم تسكنوا. ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لنقتلنكم. قال الفراء: (كقوله: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: ٩١] يريد القتل، وعامة الرجم في القرآن القتل)[٣].

١٩- ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد شؤمكم معكم[٤]. وهو لفظ الزجاج[٥]. وقال الضحاك عن ابن عباس: طائركم حظكم من الخير والشر[٦]. واختاره الفراء، فقال: (أي ما كان من خير وشر فهو في رقابكم لازم لكم)[٧].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٦ أ.

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (ب).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٤.

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ٣٧٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٥١ وعزاه لابن المنذر.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٢.

(٦) انظر: «الطبري» ١٥/ ١٦، «البغوي» ٤/ ٩.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٤.

وهذا معنى قول مقاتل، يعني الذي أصابكم كان مكتوبًا في أعناقكم[(١)]. وهذان القولان في الطائر ذكرنا استقصاهما عند قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء: ١٣]. وتم الكلام هاهنا، ثم قال لهم: ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ قال مقاتل: أين وعظتم بالله وتطيرتم[(٢)] بنا، وجواب الاستفهام محذوف، وهو ما ذكره مقاتل[(٣)].

قال أبو علي: (كأنهم قالوا أين ذكرتم تشائمتم[(٤)]، فحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه وهو قوله: ﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾؛ لأن معنى تطيرنا تشائمنا)[(٥)]. ثم بينوا أن الأمر ليس على ما قالوا وشؤمهم إياهم من قبلهم، وهو قوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾.

قال ابن عباس ومقاتل: مشركون بالله[(٦)]. يعني: أنهم جاوزوا الحد حين أشركوا بالله.

٢٠- وقوله: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ قال المفسرون[(٧)]: هو حبيب النجار، وكان قد آمن بالرسل عند[(٨)] ورودهم القرية. قال وهب:

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٦ أ.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٦ أ. والواو في قوله: وتطيرنا، زائدة من النساخ.

(٣) وهو قوله: تطيرتم بنا.

(٤) في (ب): (شائمتم).

(٥) «الحجة» ٦/ ٣٩.

(٦) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ٣٧٠، «تفسير مقاتل» ١٠٦ أ.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٦ أ، «الطبري» ٢٢/ ١٥٨، «بحر العلوم» ٣/ ٩٧، «الماوردي» ٥/ ١٣.

(٨) في (ب): (حين).

وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاءهم وقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١].

وقال قتادة ومقاتل: إنه كان رجلًا يعبد الله في غارٍ فلما سمع بالرسل جاءهم فقال: أتسألون أجرًا على ما جئتم به؟ قالوا: لا. فقال لقومه:

٢١- ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني: الرسل[٢].

قال محمد بن إسحاق: أي ما يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهداهم[٣].

قال مقاتل: فلما قال، هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له: برئت منا وتبعت عدونا[٤].

وقال ابن عباس: قال لهم[٥] الملك: أفأنت تتبعهم؟

٢٢-٢٥- فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾[٦].

قال محمد بن إسحاق: إني آمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي[٧].

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٨، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٠، «القرطبي» ١٥/ ١٨.
(٢) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٩، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٨٧، «تفسير مقاتل» ١٠٦ ب.
(٣) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٥٩، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٨.
(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٦ ب.
(٥) هكذا جاءت في النسخ، ومقتضى السياق: له.
(٦) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦٠.
(٧) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦٠، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٨.

وقال كعب: إنه قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. ثم أقبل على الرسل فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ ليشهدهم على إيمانه[١]. فعلى هذا الخطاب للرسل، وعلى ما قال محمد بن إسحاق الخطاب لقومه.

وقال الكلبي: ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ يريد: فاشهدوا لي[٢].

ومعنى فاسمعوا: اسمعوني، أي: اسمعوا مني. قال ذلك أبو عبيد[٣].

وقال المبرد: فاسمعون أي: اسمعوا مني[٤]. وهذا مثل قولك: سمعت فلانًا يقول، وإنما المسموع قوله، ولكنه من المختصر المحذوف، وهو أكثر الكلام يجري على الألسنة، وحق الكلام أن تقول: سمعت من فلان ما قال. قال ابن عباس: فوثب عليه أهل مملكته حتى قتلوه[٥].

وقال مقاتل: وطئ حبيب حتى خرج أمعاؤه من دبره، ثم ألقي في البئر وهو الرس، فهم أصحاب الرس، وقتلوا الرسل الثلاثة[٦].

وقال محمد بن إسحاق: وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، وكان رجلًا قد أسرع فيه الجذام ولم[٧] له أحد

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥١، «القرطبي» ١٥/ ١٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٥١، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: «زاد المسير» ٧/ ١٣.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٧/ ١٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦١، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٦ ب.

(٧) هكذا في النسخ، ويبدو أن هناك كلمة ساقطة وهي: يكن.

يدفع عنه(١).

وقال ابن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره(٢).

قال كعب: أخذ فقذف في النار(٣).

وقال قتادة: هذا رجل دعا قومه إلى الله ﷻ ومحضهم النصيحة فقتلوه على ذلك وأقبلوه يرجمونه، وهو يقول: اللهم اهد قومي، فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق(٤). وهو قوله:

٢٦- ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾. قال أبو إسحاق: المعنى فلما عذبوه(٥) قومه، قيل: ادخل الجنة، فلما شاهدها قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾(٦).

وقال مقاتل: لما ذهب بروح حبيب إلى الجنة ودخلها وعاين ما فيها من النعيم، تمنى فقال(٧):

٢٧- ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ اختلفوا فيها؛ فقال الكسائي: بالذي غفر لي ربي أي: بمعرفته، فعلى هذا هو ما المصدر؛ لأنه مع الفعل بمنزلة المصدر(٨). قال الفراء: ولو جعلت ﴿مَآ﴾

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦١، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٨.

(٢) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦١، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥١، «زاد المسير» ٧/ ١٣.

(٣) أورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٥١، ونسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦٠، وقد ذكر القول إلى قوله: اللهم اهد قومي. وأورد هذا القول بتمامه: القرطبي ١٥/ ١٩ ونسبه للحسن. الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣ عن قتادة.

(٥) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: عذبه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣.

(٧) «تفسير مقاتل» ١٠٦ ب.

(٨) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٧٩، «القرطبي» ١٥/ ١٩، «البحر المحيط» ٧/ ٣١٦.

في موضع أي كان صوابا، ويكون المعنى: ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي[١]. فقال الكسائي: لو كانت كذلك لكانت ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بنقصان الألف كما تقول: سل عم شئت[٢]، وكقوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

قال الفراء: (يجوز أن يكون تمامًا وهو استفهام، وأنشد:

إنا قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيم يكثر القتل)[٣]

وذكر أبو إسحاق الوجهين فقال: (أي بمغفرة ربي قال: وقيل: أي ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي. قال: وحذف الألف في هذا المعنى أجود)[٤]. وهذا قول مقاتل قال: يعني بأي شيء غفر لي ربي، أي: إنما غفر لي باتباعي المرسلين، فلو علموا لآمنوا بالرسل، فنصح لهم في حياته وبعد موته[٥]. وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال: قال محمد ﷺ: «**نصح لقومه حيًّا وميتاً**»[٦]. وقال قتادة: تمنى الرجل- والله أعلم- أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وذلك قوله:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٤، وانظر: «المصادر السابقة».

(٢) انظر: «المصادر السابقة».

(٣) البيت من البسيط، وهو لكعب بن مالك في «ديوانه» ص٢٥٥، «خزانة الأدب» ٦/ ١٠٦.

والشاهد فيه: قوله: ففيما، حيث أثبت ألف ما الاستفهامية المتصلة بحرف الجر، وسراة القوم: خيارهم. والقول والقيل واحد. «الخزانة» ٦/ ١٠٧ .

وكلام الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٠٦/ ب.

(٦) انظر: «ابن كثير» ٣/ ٥٦٨، وقد أورد السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ٩٨، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥١ غير منسوب لأحد.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي: من المدخلين الجنة(١). قاله الزجاج(٢). وحبيب هذا الذي يقال له: صاحب يس، قال رسول الله ﷺ: «**سباق الأمم ثلاثة: صاحب يس حبيب النجار [مؤمن](٣) آل يس، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم**»(٤).

وروي عن علي بن زيد بن جدعان أن عروة بن مسعود الثقفي صعد سور الطائف، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فرماه رجل من قومه بسهم فقتله، فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صاحب يس**»(٥).

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٢/ ١٦١، «القرطبي» ١٥/ ٢٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣.

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(٤) هذا الأثر أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٢٣٥ أ، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه. وأورده الطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٥٩، ونسبه للثعلبي، وأورده الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ٢٨٣. وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» ٣/ ١٦٢: رواه الطبراني بنقص في «معجمه» من حديث حسين بن حسن الأشقر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن مردويه في «تفسيره»، والعقيلي في «الضعفاء» وأعله بحسين الأشقر وقال: إنه شيعي متروك، ولا يعرف هذا إلا من جهته، وهو حديث منكر، ورواه بلفظ المصنف الثعلبي من حديث عمرو بن جميع، عن محمد بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه. قال: وفيه عمرو بن جميع، وهو متروك ا.هـ

(٥) هذا الأثر أورده ابن كثير ٣/ ٥٦٨، ونسبه لابن أبي حاتم، وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٤٧٠ عن ابن إسحاق، وكذا ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٣/ ١١٢، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٤٠٦.

قال ابن مسعود: فلما قتلوا حبيبًا، غضب الله لاستضعافهم إياه غضبًا لم يبق من القوم شيئًا، وعجل الله لهم[١] النقمة بما استحلوا منه فقال قومه:

٢٨- ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: الملائكة[٢]. قاله مقاتل[٣].

وقال ابن مسعود: أي ما كابدناهم بالجوع، أي: الأمر أيسر علينا من ذلك[٤].

وقال الكلبي: لم يبعث إليهم الملائكة[٥].

وقال الضحاك: ما استغثنا بأهل السماء عليهم[٦].

وقال أبو إسحاق: لم ننتصر للذين[٧] قتلوه بجند[٨].

هذا الذي ذكرنا قول جميع أهل العلم والتفسير.

وقال مجاهد: أي لم نبعث إليهم رسالة بعده من السماء ولا أتاهم نبي[٩]. والقول ما عليه الناس. وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ على قوله: ﴿وَمَآ

---

(١) في (ب): (عليهم).

(٢) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٦/ ب.

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣١٩٢، «القرطبي» ١٥/ ٣٠.

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: «البغوي» ٤/ ١١، «زاد المسير» ٧/ ١٤، «القرطبي» ١٥/ ٢٠.

(٦) لم أقف عليه عن الضحاك، وقد ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣١٩٣ عن ابن مسعود.

(٧) هكذا في النسخ، والصواب: للذي.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣.

(٩) انظر: «تفسير مجاهد» ص٥٣٤.

أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، والباقون: جعلوا هذا توكيدًا لأول الكلام(١).

وأنكر صاحب النظم القولين جميعًا فقال: لا يجوز أن يكون المعنى لم ينزل على أحد جندا؛ لأنه أنزل الجند على أهل بدر وحنين، ولا يجوز أن يكون مكررًا على ما قبله؛ لأنه لا يكون نظمًا حسيا، وفيه أيضًا حمل الكلام على التكرير ولكن (ما) هاهنا اسم، والمعنى: لم ينزل عليهم حتى أهلكناهم جندًا من السماء ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ولا ما كنا ننزله على من قبلهم من الأمم، إذ أهلكناهم بمثل الماء للغرق والصاعقة والريح، وهذا في النظم كقوله: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ ولا(٢) على الذي فطرنا. وعلى ما ذكر صاحب النظم ما يكون معطوفًا على قوله: من جندٍ، أي: لم ينزل عليهم [جندًا](٣) ولا ريحًا ولا صاعقة ولا ماء، ثم بين أيش(٤) كانت عقوبتهم فقال:

٢٩- ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: كانت صيحة من جبريل، أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم صوت، مثل النار إذا أطفأت(٥).

قال ابن مسعود: أهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن

---

(١) في (ب): (للكلام)، وهو خطأ.

(٢) (لا) ساقطة من (ب).

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٤) يعني: أي شيء.

(٥) ذكر هذا القول البغوي ٤/ ١١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ١٤، وابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٥٦٩، والشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٣٦٧، ونسبوه لأكثر المفسرين.

وجه الأرض ولم يبق منهم باقية[(١)]. وقال قتادة: ما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم الصيحة[(٢)].

قال الزجاج: (ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون: أي ساكتون، قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد)[(٣)].

٣٠- وقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ معنى الحسرة في اللغة: أشد الندامة، وذكرنا اشتقاقها فيما تقدم[(٤)]، وهذه نكرة موصوفة، قال الفراء: (والعرب إذا نادت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب، يقولون: يا رجلًا كريمًا أقبل، ويا راكبًا على البعير أقبل)[(٥)].

وقال المبرد: نصبه كنصب نداء النكرة، كقولك: يا رجلًا أقبل، ومثله قول الصلتان:

فيا شاعرًا لا شاعرَ اليومَ مثلُه[(٦)] جريرٌ[(٧)] ولكن في كليبٍ تواضعُ[(٨)]

---

(١) انظر: «ابن كثير» ٣/ ٥٦٩.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٢، «ابن كثير» ٣/ ٥٦٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٣.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة مريم: آية ٣٩]. قال المؤلف رحمه الله هناك: والحسرة هي الندامة، يتحسر المسيء هلَّا أحسن العمل، ولم يذكر اشتقاق الحسرة فعله وهم رحم الله حينما أحال على ذلك الموضع.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٥.

(٦) هكذا في النسخ، والصواب: (أيا شاعرًا لا شاعر اليوم مثله).

(٧) في (ب) زيادة في أول الشطر الثاني: (ومعنى)، وهو خطأ.

(٨) البيت من الطويل. وهو للصلتان العبدي في «الكامل» ٣/ ١١١١، «المقتضب» =

ومعنى نداء الحسرة تنبيه لأن يتمكن علم المخاطب بالحسرة، كما يقال: يا عجبًا أتفعل كذا، والمعنى: يا عجب أقبل، فإنه من أمامك، ونداء العجب أبلغ في الفائدة كذلك نداء الحسرة، وهو معنى قول أبي إسحاق(١).

قال ابن عباس: يا حسرة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الرسل(٢)(٣). ثم بين سبب الحسرة فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ أي: في الدنيا، ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. ثم خوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية في الدنيا ليعتبروا [فقال](٤).

٣١- وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. قال أبو إسحاق: (موضع كم نصب بأهلكنا؛ لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها، خبرًا كانت أو استخبارًا. وقوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أنهم بدل من معنى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ والمعنى: ألم يروا أن القرون التي أهلكنا أنهم لا يرجعون)(٥).

= ٤/ ٢١٥، «الشعر والشعراء» ص٣١٤، «الكتاب» ٢/ ٢٣٧، «معاهد التنصيص» ١/ ٧٥.

والشاهد فيه قوله: أيا شاعرًا، حيث نصب المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف؛ لأنه موصوف بجملة.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٤. وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٩١، «الفريد في إعراب القرآن» ٤/ ١٠٦، «الكشاف» ٣/ ٢٨٥.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهو تصحيف، ولعل الصواب: الدنيا.

(٣) لم أقف على من نسب القول لابن عباس. وقد أورد المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥١٣، ونسبه لمجاهد ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» ١٠٦ ب، «تفسير مجاهد» ص٥٣٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، وهذه الكلمة لا يحتاجها السياق.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٥.

والتفسير: لم يعتبروا بمن أهلكنا من قبلهم من القرون فيخافوا أن يعجل لهم في الدنيا مثل الذي عجل لغيرهم ممن أهلك، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبدًا.

٣٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قرئ: لما بالتخفيف والتشديد، فمن خفف فما زائدة[١] مؤكدة، والمعنى: وإن كل لجميع لدينا محضرون، ومن شدد جعل لما بمعنى إلا تقول: سألتك لما

(١) ما نقله المؤلف رحمه الله هنا عن الزجاج من القول بأن (ما) زائدة، قال به أيضًا الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٩٥، وذكره أيضًا السمين في «الدر» ٦/ ٤٠١، ولكن هذا القول لا ينبغي أن يقال؛ لأنه ينافي الأدب مع القرآن، فالقول بأن هذا الحرف زائد يوحي بأنه لا فائدة له، وهذا ليس صحيحًا في حق كلام الله جل وعلا. يقول ابن هشام في كتابه «الإعراب عن قواعد الإعراب» ص١٠٨-١٠٩: وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله: إنه زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك. والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة، وبعضهم يسميه لغوًا، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب ا.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ١٦/ ٥٣٧ بعد أن تكلم عن التكرار والزيادة في كلام العرب: (فليس في القرآن من هذا شيء ولا يذكر فيه لفظًا زائدًا إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء به من زيادة اللفظ في مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٤٠] وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٨] فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى) ا.هـ.

وانظر: «التأويل النحوي في القرآن الكريم» ٢/ ١٢٧٧ وما بعدها. «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن» ص٣٠٢، «البرهان» للزركشي ٢/ ١٧٧.

فعلته، وإلا فعلت، هذا قول الزجاج[١].

وقال الفراء: (الوجه التخفيف؛ لأنها ما أدخلت عليها لام يكون جوابًا لأن كأنك قلت: وإن كل لجميع. وأما من ثقل فإنه يجعل لما بمنزلة إلا مع أن خاصة، كأنها ضمت إليها ما[٢] فصار جميعًا استثناء وخرجتا من حد الجحد إذا جمعتا فصارتا حرفًا واحدًا)[٣] هذا كلامه. ومعنى قوله: بمنزلة إلا مع أن خاصة، يعني أن إلا كلمتان أولاهما التي هي جحد بمنزلة ما ولا أيضًا جحد جمع بينهما فصارتا استثناء، وكذلك لما جحد إن اجتمعتا لم وما فتشابهتا في هذا المعنى، وهذا كلام صاحب النظم في شرح ما ذكره الفراء قال: وكان الكسائي ينفي هذا القول، ويقول: لا أعرف جهة لما بالتشديد في القراءة[٤]. وقد ذكرنا استقصاء هذه المسألة في سورة هود عند قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١]. وتفسير مقاتل موافق لمذهب من شدد لما؛ لأنه يقول: وما إلا جميع لدينا محضرون[٥]. ومن خفف لما كان أن في قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ بمنزلة المشددة، ولكنها إذا خففت لم تنصب، وهذه الجملة قد أشبعنا الكلام فيها في سورة هود.

قال أبو إسحاق: (تفسير الآية: أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا)[٦].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٦.

(٢) (ما) ساقطة من (ب).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٧.

(٤) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٤٠، «البحر المحيط» ٧/ ٣١٩، «القرطبي» ١٥/ ٢٤.

(٥) لم أقف على هذا التفسير عن مقاتل.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٦.

٣٣- ثم وعظ كفار مكة أن يتفكروا في صنعه ليعرفوا توحيده، فقال:[١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾. واختلفوا في الكناية في قوله: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾. فقال أبو عبيدة: (العرب تذكر الإثنين ثم تقتصر على الخبر عن أحدهما، كقوله: ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾.

وقال الأزرق بن طرفة بن العَمرَّد[٢]:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بري ومن أجل الطوي رماني

فاقتصر على خبر واحد، وقد أدخل الآخر معه)[٣]. فعلى قول الكناية تعود إلى مضمر مراد في اللفظ وهو الماء؛ لأن قوله:

٣٤- ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ تقديره: وفجرنا فيها ماء من العيون.

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ لأن الثمار لا تكون إلا من الماء وبالماء. وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يجوز أن تكون[٤] ما موصولة

---

(١) في (ب) زيادة: (وقوله تعالى)، وهي زيادة لا يحتاجها السياق.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

والبيت من الطويل، مختلف في نسبته، فالأكثر ينسبه لعمر بن أحمر وهو في «ديوانه» ص١٨٧، «الدرر» ٢/ ٦٢، «الكتاب» ١/ ٧٥، ونسبه أبو عبيدة لطرفة بن العمرَّد كما في «مجاز القرآن» ٢/ ١٦١، وله أو لابن أحمر كما في «اللسان» ١١/ ١٣٢ (حول). وهو غير منسوب في «المصون من الأدب» ص٨٤.

والشاهد فيه: حذف خبر كان، والتقدير: كنت منه بريئًا، وعليه فبريئًا الموجود خبر لكان المحذوفة مع اسمها.

ومعنى رماني: أي قذفني بأمر أكرهه، والطوي: هي البئر المطوية بالحجارة. «الكتاب» ١/ ٧٥.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦١.

(٤) في (أ): (يكون).

بمعنى الذي، ويكون في موضع خفض[١] عطفًا على التمر: ليأكلوا من ثمره ومما عملت أيديهم. وهذا معنى قول ابن عباس؛ لأنه قال: يريد من الغروس، يعني أن الغروس من عمل أيدينا[٢].

قال صاحب النظم: المعنى ويأكلوا مما عملت أيديهم بالمقاساة بالحراثة كما قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] فأضاف الحراثة إليهم. وعلى هذا العائد من الصلة إلى الموصول محذوف على قول[٣] من قرأ: عملت بغير هاء، وأكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ و ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ و ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ و ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾. وكل هذا على إرادة الهاء وحذفها، وقد جاء الإثبات في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ ويكون هذا كقول[٤] من قرأ: عملته بالهاء، في أنه ردَّ الكناية من الصلة إلى الموصول. ويجوز أن يكون في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ نفيًا على معنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم ولكن من فعلنا.

وقال الضحاك: أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها[٥].

قال الفراء: (إذا جعلت (ما) جحدًا لم تجعل لها موضعًا، ويكون

---

(١) في (أ): (خفين)، وهو تصحيف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٩٢، «القرطبي» ١٥/ ٢٥، «ابن كثير» ٣/ ٥٧٠.

(٣) في (أ): (قوله)، وهو خطأ.

(٤) في (أ): (كقوله)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «الماوردي» ٥/ ١٦، «البغوي» ٤/ ١٢، «مجمع البيان» ٨/ ٦٦١.

المعنى: إنا جعلنا لهم الجنات والنخيل والأعناب، ولم تعملها أيديهم)[١]. ويقوي هذا الوجه قوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. ومن قدر هذا التقدير لم يكن ﴿عَمِلَتْهُ﴾ صلة، وإذا لم يكن صلة لم يقتض الهاء الراجعة إلى الموصول، ويجوز أيضًا أن تكون (ما) نافية على قراءة من أثبت الهاء في عملته، وتكون الهاء كناية عن لفظ الثمر والتمر لم تعمله أيدي الناس، إنما ظهر بقدرة الله وإيجاده. وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفراء[٢]، والزجاج[٣]، وأبي علي[٤] رحمهم الله.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ قال ابن عباس: أفلا يطيعون[٥].

قال مقاتل: أفلا يشكرون رب هذه النعم ويوحدونه[٦].

٣٦- ثم نزه نفسه وعجب خلقه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ قال ابن عباس: والحبوب.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قال قتادة ومقاتل: يعني الذكر والأنثى، والأزواج من النبات أجناسه، ومن الأنفس الذكر والأنثى[٧].

وقوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال الكلبي: من سائر الخلق[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٦.

(٤) «الحجة» ٦/ ٤٠.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٧) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ، ولم أقف عليه عن قتادة.

(٨) لم أقف عليه عن الكلبي، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ١٧ نحوه ولم ينسبه.

وقال مقاتل: [ومما لا يعلمون من الخلق][(١)(٢)].

وقال الزجاج: (ومما لا يعلمون مما خلق الله من جميع الأنواع والأشباه)[(٣)]، والمعنى: أن الله خالق الأنواع مما يعلمون، وهو ما ذكر من النبات والأنفس، ومما لا يعلمون مما لا يقف عليها من دواب البر والبحر وغيرها من الأشياء التي لا نعلمها[(٤)].

٣٧- وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ أي: علامة تدل على قدرتنا. ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ قال الكلبي ومقاتل: [ ][(٥)] ويذهب به[(٦)]. قال أبو عبيدة: (نخرج ونميز منه فيجيء الظلمة، يقال للرجل: سلخه الله من دينه)[(٧)]. وقال الفراء: (معناه نسلخ عنه النهار فرمي بالنهار عنه فيأتي بالظلمة)[(٨)]. وقال الزجاج: (نخرج منه النهار إخراجًا لا يبقى معه شيء في ضوء النهار[(٩)]. هذا كلامه.

ومعنى السلخ في اللغة: كشطك الإهاب، ثم تستعمل فيه أشياء كثيرة تكون بمعنى الإخراج، والإنسلاخ: الخروج، كقوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] وانسلخت الشمس أي استكملت أيامه[(١٠)]. وقد مر

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) منسوبًا للزجاج، وهو خطأ.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٧.

(٤) في (أ): (يعلمها)، وهو تصحيف.

(٥) قدر كلمة في جميع النسخ غير واضحة، والظاهر والله أعلم أنها: ينزعه.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٥ ب.

(٧) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦١.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٨.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٧.

(١٠) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ١٧٠، «اللسان» ٣/ ٥٤ (سلخ)، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٢٤١.

الكلام في هذا[١] .

وتحقيق معنى نسلخ[٢] من النهار: أن الظلمة هي الأصل والنهار داخل عليها يسترها بضوئه، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، أي كشط وأزيل كما يكشط[٣] الشيء الطارئ على الشيء، فجعل ذهاب الضوء ظهور الظلمة كالسلخ من الشيء فيظهر المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه[٤].

قال أبو علي: (وآية ترتفع بالإبتداء، ولهم صفة للنكرة، والخبر مضمر تقديره: وآية لهم في المشاهدة أو في الوجود)[٥] .

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ الآية كما أن قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ تفسير للوصية) [النساء: ١١] .

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلمة. يقال: أظلمنا، أي: دخلنا في ظلام الليل، وجاء فلان مظلمًا أي بليل.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ قال أبو إسحاق: المعنى وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها[٦] .

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة التوبة: ٥].

(٢) في (ب): (النسلخ)، وهو خطأ.

(٣) في (أ): (يكشف)، وهو تصحيف.

(٤) في (ب): (منه).

(٥) «الحجة» ٦/ ٤٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٧.

قال المبرد وابن قتيبة: أي إلى مستقر لها، كما تقول: هو[١] يجري لغايته وإلى غايته[٢].

واختلفوا في مستقر الشمس، فروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: «**مستقرها تحت العرش**»[٣] وهو قول ابن عباس قال: يريد تحت عرش الرحمن[٤].

وعلى هذا هي إذا غربت كل نهار استقرت تحت عرش الرحمن إلى أن تطلع، يدل عليه ما روى أبو ذر أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «**أتدري أين تغرب؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يذهب بها حتى ينتهي تحت العرش ثم تستأذن فيؤذن بها، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها**»[٥].

وقال قتادة: إلى وقت وأجل لها لا تعدوه[٦]. ونحو هذا قال مقاتل[٧]

---

(١) في (أ): (هم)، وهو تصحيف.

(٢) «تفسير غريب القرآن» ص٣٦٥، «تأويل المشكل» ص٣١٦، ولم أقف على قول المبرد.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» «كتاب التوحيد»، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ٦/ ٢٧٠٣ رقم ٦٩٩٦. والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ١٣٩ رقم ٢٥١.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥/ ١٥٢-١٧٧. والترمذي في «سننه» «كتاب التفسير»، تفسير سورة يس ٥/ ٤٢ رقم ٣٢٨٠. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٥ ب، «الطبري» ٢٣/ ٦، «الماوردي» ٥/ ١١.

(٧) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهو اختيار أبي إسحاق فقال: (لمستقرها أي: لأجل قد أجل لها)[(١)].

وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى منازلها حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع، فذلك مستقرها؛ لأنها لا تجاوزه[(٢)]. وعلى هذا (لمستقرها) أي: لمستقر لسيرها لا يزيد إذا انتهى إليه انصرف ورجع.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال مقاتل: ذلك الذي ذكره من أمر الليل والنهار والشمس. ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما قدر من أمرها.

٣٩- قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ: والقمر بالرفع والنصب، فالرفع بتقدير: وآية لهم القمر، كما ذكرنا في قوله: ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ و﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾. ويجوز أن يكون ابتداء وقدرناه الخبر، والنصب على: وقدرنا القمر قدرناه، وقد حمله سيبويه على: زيدًا أضربته، قال: وهو عربي. هذا كلام أبي إسحاق وأبي علي[(٣)].

وقال الفراء: في القمر[(٤)] أعجب إلي؛ لأنه قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾ ثم جعل الشمس والقمر متبعين الليل، وهما آيتان مثله[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٧.

(٢) انظر: «الماوردي» ٥/ ١٧، «زاد المسير» ٧/ ١٩، وأورد هذا القول ولم ينسبه: ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٤، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٦٣.

(٣) «معاني القرآن إعرابه» ٤/ ٢٨٧، «الحجة» ٦/ ٣٩-٤٠.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وهو خطأ، والصواب كما في «معاني القرآن» للفراء: الرفع في القمر..

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٨.

وقال أبو عبيدة: النصب أحب إلي؛ للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده، فالمتقدم قوله: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾، والمتأخر قوله: و﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ والتقدير في الآية: قدرناه ذا منازل، كما ذكرنا في قوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[(١)] ثم حذف المضاف[(٢)]. ومنازل القمر معروفة، وهي: ثمانية وعشرون منزلة، من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة منه تم فإذا صار في آخر منازله دق وذلك[(٣)]

قوله:[(٤)] ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾. قال أبو إسحاق: (العرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق، وهو فعلول من الانعراج، وإذا جف وقدم دق وصغر، يشبه[(٥)] به الهلال في آخر الشهر وفي أول مطلعه)[(٦)]. واستقوس[(٧)] فشبه القمر ليلة ثماني وعشرين، والآية مختصرة؛ لأن التقدير: فسار في منازله حتى عاد كالعرجون، ودل قوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[(٨)] على هذا المحذوف وهو السير؛ لأن كونه ذا منازل يقتضي سيره

---

(١) في (أ): (وقدرناه) بزيادة الواو، وهو خطأ.

(٢) لم أقف على قول أبي عبيد. وانظر في توجيه هذه القراءة: القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٦٤، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٩٨، «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها»، «حججها» ص٢١٦.

(٣) في (ب): (فذلك).

(٤) في (أ) زيادة بعد قوله: (وقوله)، وهو خطأ.

(٥) في (أ): (يشبهه).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٨.

(٧) هكذا جاء الكلام في جميع النسخ، والذي يظهر أن هناك عدم ترابط بين كلام أبي إسحاق وكلام المؤلف بسبب سقط كلمة أو نحوها.

(٨) في (ب): (وقدرناه) زيادة الواو، وهو خطأ.

فيها. وقال الكلبي: كالعرجون اليابس قد حال عليه الحول فتوش[(١)][(٢)].
ونحو هذا قال مقاتل[(٣)].

والعرجون على ما ذكر أبو إسحاق من الثلاثي؛ لأنه[(٤)] جعل النون زائدة، وذكره الليث في باب الرباعي فقال: العرجون أصل العذق، وهو أصفر عريض يشبه به الهلال إذا انمحق. قال: والعرجنة تصوير عراجين النخل[(٥)].

وقال رؤبة:

في خدر مياس الدجى معرجن[(٦)]

أي: مصور فيه صورة النخل[(٧)] والدمى.

٤٠- قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ قال الكلبي: لا تجري الشمس في سلطان القمر فيذهب بصره .﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فيجئ قبل وقته[(٨)].

وقال مقاتل: يقول: فلا يدرك سواد الليل ضوء النهار فيغلبه على

---

(١) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: (فتقوس).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.
(٤) في (ب): (لا أنه)، وهو خطأ.
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٢٠ (عرجن).
(٦) عجز بيت من الرجز، وصدره:

أوذكر ذات الرَّبد المعهن.

وهو لرؤبة في «ديوانه» ص١٦١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٢٠، «اللسان» ١٣/ ٢٨٤ (عوجن).
(٧) في (ب): (القتل)، وهو خطأ.
(٨) لم أقف عليه منسوبًا للكلبي. وانظر: «البغوي» ٤/ ١٣، «زاد المسير» ٧/ ٢٠.

ضوئه[١]. وحقيقة المعنى ما ذكره أبو إسحاق فقال: أي لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر[٢].

وشرح ابن قتيبة معنى ما ذكره المفسرون فقال: (في هذه الآية يقول الله تعالى إنهما يسيران الدهر دائبين لا يجتمعان، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار، ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوئه، وبطل سلطانه، ودخل النهار على الليل، وقد قال الله تعالى حين ذكر يوم القيامة: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ وذلك عند إبطال هذا التدبير ونقض هذا التأليف، وكما لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، وهو قوله: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: هما يتعاقبان، فلا يذهب الليل قبل مجيء النهار)[٣] وهذا معنى آخر سوى الأول.

وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يجرون، يعني الشمس والقمر والنجوم. وقال أبو إسحاق: (أي يسيرون فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه، ومن ذلك: السباحة في الماء)[٤]. وسبق في سورة الأنبياء تفسير قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٥].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٨.

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ٣١٧-٣١٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٨.

(٥) آية ٣٣.

وانظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٢٤٢ أ، قال: والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك. هذا معنى الفلك في قول أهل اللغة، وأما المفسرون فقال السدي في قوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ أي كل في مجرى واستدراجه. وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء، وكل شيء استدار فهو فلك. وعلى هذا، المراد بالفلك السماء، والسماء مستديرة والنجوم تدور فيها، وهذا معنى قول مجاهد.

٤١- وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾. قال مقاتل: وعلامة لكفار مكة. ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني: ذرية أهل مكة في أصلاب آبائهم وعلى هذا المراد بالذرية: الأولاد وأولادهم كانوا في أصلاب من حمل مع نوح في سفينة[١]. وقال آخرون: المراد بالذرية ها هنا الآباء والأجداد، والمعنى: حملنا آبائهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون. قال ثعلب: الذرية تقع على الآباء، واحتج بهذه الآية[٢].

وقال[٣] الفراء: جعل ذرية التي كانت مع نوح لأهل مكة؛ لأنها أصل لهم[٤].

وقال الزجاج: قيل لأهل مكة حملنا ذريتهم؛ لأن من حمل مع نوح فهم آباؤهم وذرياتهم[٥]. فهذه الأقوال تدل على أن الآباء يجوز أن تسمى ذرية الأبناء.

وقد كشف صاحب النظم على هذا فقال: جعل الله تعالى الآباء ذرية للأبناء، وجاز ذلك؛ لأن الذرية مأخوذة من: ذرأ[٦] الله الخلق، فسمى الولد ذرية؛ لأنه ذرى من الأب، فكما جاز أن يقال للولد: ذرية لأبيه، لأنه ذري منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب: ذرية للابن؛ لأن ابنه ذري

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٢) لم أقف عليه عن ثعلب، والقول في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤ (ذرأ) عن الليث.

(٣) (الواو) ساقطة في (ب).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٩.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٨.

(٦) في (ب): (ذر الله).

منه، فالفعل يتصل به من أحد الوجهين، وهذا كما تقول في المصدر فإنه سمي[(١)] به الفاعل مرة والمفعول أخرى، نحو: درهم ضرب الأمير، ونسج اليمن، وكقول: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي: غائرًا وهو كثير، وكذلك يضاف المصدر[(٢)] إلى الفاعل مرة ومرة إلى المفعول، لاشتماله عليهما واشتراكهما في التسمية به. والمشحون: المملوء.

قال أبو عبيدة: يقال: شحنت المدينة وأشحنتها، إذا ملأتها[(٣)]. قال مقاتل: يعني الموقر من الناس والدواب[(٤)].

٤٢- وقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد السفن مثل مركب نوح. وهذا قول مقاتل والحسن وأبي صالح والسدي عن أبي مالك. كل هؤلاء قالوا: يعني السفن الصغار، فإنها عملت بعد سفينة نوح على صنعتها[(٥)].

وقال آخرون: يعني الإبل. وهو قول عكرمة وعبد الله بن شداد[(٦)].

وذكر الكلبي القولين جميعًا، وقال: في البحر السفن، وفي البر الإبل[(٧)]. والظاهر القول الأول؛ لأنه قال: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، والسفن هي التي

---

(١) في (ب): (سعى)، وهو تصحيف.

(٢) جاءت العبارة في (أ) هكذا: وكذلك يضاف المصدر إلى المصدر مرة إلى الفاعل ومرة إلى المفعول، وهو خطأ.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٣.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ، «الطبري» ٢٣/ ١٠، «الماوردي» ٥/ ١٩، «بحر العلوم» ٣/ ١٠١.

(٦) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١١، «الماوردي» ٥/ ٢٠، «زاد المسير» ٧/ ٢٢.

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: «القرطبي» ١٥/ ٣٥، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٥.

تشبه ما عمله نوح، وهي أيضًا من الخشب الذي هو من خشب سفينة نوح. ومن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (مِنْ) زائدة، ويجعل الإبل من[١] السفينة في أنها تحمل الإنسان في البر كما تحمله السفينة في البحر، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة، ويدل على صحة القول الأول:

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ والإغراق يكون بالماء في البحر، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر منته على أنه خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارات، ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو شاء أغرقهم فلم[٢] يغثهم أحد ولم ينقذهم، وهو قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس: لا مغيث لهم. وهو قول الجميع[٣]. والصريخ ها هنا بمعنى المصرخ. ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: من الغرق. يقال: أنقذه واستنقذه إذا خلصه، وتقدير قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: فليس لهم صريخ، كما تقول: إن شاء ضربك فلا ناصر لك. ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ قال ابن عباس: ولا أحد ينقذهم من عذابي[٤].

٤٤- وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلا أن يرحمهم[٥] ويمنعهم إلى آجالهم. قال ابن عباس: وذلك أن الكافر متعه الله في الدنيا

---

(١) هكذا جاءت في النسخ، والذي يظهر أنها: (مثل) وليست (من).

(٢) في (ب): (ولم).

(٣) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١١، «الماوردي» ٥/ ٢٠، «البغوي» ٤/ ١٤، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٤٩٩.

(٤) انظر: «الوسيط» ٣/ ٥١٤، «البغوي» ٤/ ١٤.

(٥) في (ب): (نرحمهم).

ورزقه فيها وجعلها جنته، فإذا ركب السفينة سلمه الله ورزقه حتى يموت[١]. وكل نبي إذا كذبه قومه عجل لهم العذاب، إلا محمدًا ﷺ فإنه أخر العذاب عمن كذبه إلى الموت وإلى القيامة، وهو معنى قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

قال أبو إسحاق: (رحمة منصوب مفعول لها المعنى: لا ينقذون إلا لرحمة منا ولمتاع إلى حين)[٢]. وهذا ليس بالظاهر القوي.

قال أبو عبيدة: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً﴾ مجازها مجاز المصدر الذي فعله بغير لفظه، وأنشد قول رؤبة:

إن نزارًا أصبحت نزارا دعوةَ أبرارٍ دعوا أبرارًا[٣]»[٤]

يعني: دعوا دعوة أبرار، كذلك المعنى في الآية: إلا أن يرحمهم رحمة، والمتاع ها هنا اسم أقيم مقام المصدر كالأداء والسراج.

٤٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ اختلفوا في هذا، فقال مقاتل وقتادة: ما بين أيديكم عذاب الأمم الخالية، وما خلفكم عذاب الآخرة[٥]. وعكس الكلبي فقال: ما بين أيديكم من أمر

---

(١) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥١٥، ولم أقف عليه عند غيره.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٩.

(٣) البيت من الرجز، لرؤبة في «الكتاب» ١/ ٣٨٢، «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٢، وبلا نسبة في: «شرح المفصل» ١/ ١٧٧، «المخصص» ١٥/ ١٣٧. ومعنى البيت: أن ربيعة ومضر ابني نزار كانت بينهما حرب وتقاطع، فلما اصطلحوا انتموا كلهم إلى أبيهم نزار وجعلوه شعارهم، فجعل دعوتهم برَّةً بذلك.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب. وانظر: «الطبري» ٢٣/ ١٢، «الماوردي» ٥/ ٢١، «البغوي» ٤/ ١٤.

الآخرة فاعملوا لها، وما خلفكم من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بما فيها من زهرتها[١].

وقال مجاهد: ما بين أيديكم ما يأتي من الذنوب، وما خلفكم ما مضى منها[٢]. وذكر أبو إسحاق على القلب من هذا فقال: ما بين أيديكم وما أسلفتم من ذنوبكم، وما خلفكم وما تعملونه فيما تستقبلون[٣].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لكي ترحموا[٤].

وقال أهل المعاني: لتكونوا على رجاء رحمته، وهو قول أبي إسحاق[٥].

وذكرنا هذا فيما تقدم أولا[٦]، وجواب إذا محذوف على التقدير: إذا قيل لهم هذا أعرضوا، يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ كاشتقاق[٧] القمر وغيره من الآيات.

٤٦- وقوله: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ قال الفراء: (هذا جواب لقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾. وفيه جواب لقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ لأن المعنى: إذا قيل

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠١.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٥٣٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٩.

(٤) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٨١، «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب. وانظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٦٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٠٦.

(٦) ذكر المؤلف رحمه الله ذلك عند تفسير للآية: ١٥٥ من سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(٧) هكذا جاء في النسخ، وهو تصحيف، والصواب: كانشقاق القمر.

لهم اتقوا أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا)[(١)]. ونحو هذا قال الكسائي: إن هذا جواب لقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ وفيه معنى جواب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾[(٢)(٣)].

٤٧- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ قال الكلبي: كان [من][(٤)] أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون إليه بمكة وهم يومئذ فقراء، فيخرجون فيسألون، فيقول أهل مكة: لا والله لا نتصدق عليكم بشيء وأنتم على غير ديننا حتى ترجعوا إليه، فأنزل الله هذه الآية[(٥)].

وقال مقاتل: إن المؤمنين قالوا لكفار قريش: انفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم أنه لله، وذلك أنهم كانوا يقولون هذا على حد الاستهزاء[(٦)]. وذكر غيره أنهم ذهبوا في قولهم أن الله تعالى لما كان قادرًا على إطعامهم وليس يشاء إطعامهم فنحن أحق بذلك، على أي وجه قالوه فقد أخطأوا؛ لأنهم إن قالوه استهزاء فلا إيمان لهم بمشيئة الله. ويقوي هذا الوجه ما روى معمر عن الكلبي: أنها نزلت في الزنادقة[(٧)]. وإن قالوه على

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ب): زيادة قوله: (ولا لزوم لها).

(٤) هكذا في النسخ، والذي يظهر أن ما بين المعقوفين زائد.

(٥) لم أقف على هذا القول منسوبًا للكلبي. وذكر نحوه الماوردي ٥/ ٢١، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٦، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٤، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٢٤ قولًا نسبه للكلبي، وهو أن الآية نزلت في العاص بن وائل، كان إذا سأله مسكين قال: اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني، ويقول: قد منعه الله أطعمه أنا؟.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٤٤، وقد أورده الماوردي ٥/ ٢١ عن قتادة، وكذا=

أنهم يوافقون مشيئة الله، فلا يطعمون من لم يطعمها الله، فقد أخطأوا؛ لأن الله تعالى لو شاء لأغنى الخلق كلهم ولكنه قسم المعيشة بينهم، فأغنى بعضًا وأفقر بعضا؛ ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من ماله من الزكاة وندبه إليه من التطوع بالمساواة؛ ليصح التكليف والابتلاء وأن يعترض(١) على المشيئة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس: يريدون المؤمنين(٢).

وقال مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان: ثم قالوا لأصحاب النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قالوا في اتباعكم محمدًا وترك ديننا(٣).

وقال الكلبي: يقول الله: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي خطأ بين(٤)(٥).

٤٨- وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال

= ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٢٤، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٦٧، وأورده القرطبي ١٥/ ٣٧ ونسبه لابن عباس.

(١) هكذا في النسخ، هو خطأ، ولعل الصواب: وأن لا يعترض.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره أكثر المفسرين ولم ينسبه أحد حسب علمي لابن عباس، بل نسبه بعضهم لقتادة. انظر مثلًا: الماوردي ٥/ ٢٢، «مجمع البيان» ٨/ ٦٦٧. ومنهم من ذكره ولم ينسبه لأحد. انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٢، «القرطبي» ١٥/ ٢٧، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٢.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب. انظر: «القرطبي» ١٥/ ٣٧.

(٤) في (ب): زيادة (أي خاط خطأ بين)، وهو خطأ.

(٥) لم أقف على من نسبه للكلبي. وانظر: «الطبري» ٢٣/ ١٢، «بحر العلوم» ٣٠/ ١٠٢، «القرطبي» ١٥/ ٣٧.

مقاتل: يعني العذاب. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل[(١)]. وقال الكلبي: متى هذا الوعد الذي تعدنا به من القيامة إن كنتم صادقين في ذلك[(٢)].

قال أبو إسحاق: أي: متى إنجاز هذا الوعد، إن كنتم صادقين فأرونا ذلك[(٣)].

٤٩- قال الله تعالى: [ ][(٤)] ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى[(٥)]. والمعنى أن القيامة تأتيهم بغتة، تأخذهم الصيحة وهم يخصمون، أي: يختصمون. قال ابن عباس: يريد البيع والشراء[(٦)].

قال الكلبي: يتكلمون ويتبايعون في أسواقهم[(٧)].

وقال مقاتل: وهم أعز ما كانوا يتكلمون في الأسواق والمجالس[(٨)].

وقال قتادة: تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه،

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي، وقد أورده الماوردي ٥/ ٢٢ عن يحيى بن سلام.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٩.

(٤) في (أ): زيادة قوله تعالى، وهو تكرار لا لزوم له بل إثباته خطأ؛ لأنه يجعل (قوله تعالى) مقولًا لـ (قال الله تعالى)، فيكون قرآنًا وهو ليس كذلك. وقد تكررت في بعض المواضع في باقي السورة.

(٥) انظر: «البغوي» ٤/ ١٤، «مجمع البيان» ٨/ ٦٦٨.

(٦) ورد بنحوه في «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٢.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأورده الماوردي ٥/ ٢٢ عن السدي.

(٨) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

فيصيح[١] بهم وهم كذلك[٢].

وقال أبو إسحاق: تقوم الساعة وهم متشاغلون في تصرفاتهم[٣].

وفي قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ وجوه من القراءة، أجودها فتح الخاء مع تشديد الصاد، والأصل: يختصمون، فألقيت حركة الحرف المدغم- وهو التاء- على الساكن الذي قبله- وهو الخاء- وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم: ردَّ وفرَّ وغضَّ، [فألقوا حركة العين على الساكن، وذلك أن الأصل: ردد وافرر واغضض][٤]. ويلي الوجه الأول في الجودة قراءة من قرأ بكسر الخاء، ووجهه أنه حرك الخاء بالكسر لالتقاء الساكنين؛ لأنه لم يلق حركة التاء على الفاء. وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين والخاء والحرف المدغم. قال الزجاج: وهو أشد الوجود وأردؤها[٥].

وقال أبو علي: من زعم أن ذلك ليس في طاقة اللسان إدغامًا يعلم فساده بغير استدلال[٦].

وقرأ حمزة: يخصمون، ساكنة الخاء مخففة الصاد، وهي قراءة يحيى ابن وثاب.

قال الفراء: (من قرأ على قراءة يحي فيكون تفعلون من الخصومة،

---

(١) في (ب): (فيهيج).

(٢) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٦١ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٠.

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٠.

(٦) «الحجة» ٦/ ٤٢.

كأنه قال: وهم يتكلمون. قال: ووجه آخر: وهم في أنفسهم يخصمون من وعدهم الساعة، وهم يغلبون عند أنفسهم من قال لهم أن الساعة آتية)[١].

وذكر[٢] أبو إسحاق هذين الوجهين فقال: (في هذه القراءة أنها جيدة أيضًا، ومعناها أنها تأخذهم وبعضهم يخصم بعضًا. قال: ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون، فتقديره: يخصم بعضهم بعضًا، فحذف المضاف، وحذف المفعول به كثير في التنزيل وغيره. قال: ويجوز أن يكون المعنى: يخصمون مجادلهم عند أنفسهم، فحذف المفعول به، ومعنى يخصمون يعلنون خصومهم في الخصام[٣] انتهى كلامه.

والوجه الأول في معنى هذه القراءة كمعنى سائر الوجوه من القراءة؛ لأنه بمعنى يخصم بعضهم بعضًا في تخاصمهم ومكالمتهم في متصرفاتهم[٤] يغلب بعضهم بعضًا متشاغلين بكلامهم، وليس بمعنى الغلبة في الخصومة في الساعة كما ذكر في الوجه الثاني[٥].

فإن قيل: إن هؤلاء الذين أخبر عنهم ما هم قالوا متى هذا الوعد انقرضوا صاروا رمادًا، فكيف يخبر عنهم بأن الساعة تقوم عليهم وهم يختصمون؟ قيل: يراد بهذا من هو على مثل حالهم من المكذبين بالساعة،

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٧٩.

(٢) في (ب): (وقال)، وهو خطأ.

(٣) لم أقف على هذا الكلام عن أبي إسحاق، ويظهر أنه كلام أبي علي وإنما وهم المؤلف رحمه الله فنسبه لأبي إسحاق. انظر: «الحجة» ٦/ ٤٢.

(٤) في (ب): (متصرتهم)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «الحجة» ٦/ ٤١-٤٣، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧٩، «علل القراءات» ٢/ ٥٦٦، «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» ص٢١٧.

والقوم إذا كان أمرهم واحدًا كان الخبر عن بعضهم في ذلك الأمر كالخبر عن جميعهم.

٥٠- ثم ذكر أن الساعة إذا[(١)] أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء، فقال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ قال مقاتل: يقول عجلوا عن الوصية فماتوا[(٢)]. وقال أبو إسحاق: لا يستطيع أحد أن يوصي وصية في شيء من أمره[(٣)].

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ لا يلبث أن يصير إلى أهله ومنزله، يموت في مكانه .

وقال مقاتل: يقول ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق[(٤)]. وهذا قول المفسرين[(٥)].

وقال الكلبي: ولا إلى أهلهم يرجعون الكلام[(٦)].

وذكر الفراء هذا القول أيضًا فقال: أي لا يرجعون إلى أهليهم قولًا[(٧)].

٥١- قال مقاتل: أخبرهم الله بما يقولون في النفخة الأولى، ثم

---

(١) في (ب): (أوذا)، وهو خطأ.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٧ أ. ب.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٠.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٥) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٥، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٢، «الماوردي» ٥/ ٢٢.

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٣٠٥، «القرطبي» ١٥/ ٣٩.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٨٠.

أخبرهم بما يقولون في النفخة الثانية إذا بعثوا بعد الموت، وذلك قوله[١]: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الثانية[٢].

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني: القبور، واحدها جدث. قال أبو عبيدة: وهي لغة أهل العالية، وهي أهل نجد يقولون: جدث[٣].

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ قال مقاتل: يخرجون إلى الله من قبورهم أحياء[٤]. وقال الزجاج: ينسلون يخرجون بسرعة[٥].

قال المبرد[٦]: يقال للإنسان إذا غدا عجلا: نسل، والريب ينسل وينسل، وأنشد الجعدي:

عَسَلاَنَ الذئبِ أمسى قاربًا   برد الليل عليه فَنَسَلْ[٧]

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأكثر المفسرين قالوا: إنها النفخة الثانية. انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٥، «الماوردي» ٥/ ٢٣، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٢، «القرطبي» ١٥/ ٣٩.

(٣) كلام أبي عبيدة كما في «المجاز» ٢/ ١٦٣: وهي لغة أهل العالية، وأهل نجد يقولون: جدف.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٠.

(٦) «الكامل» ١/ ٣٢١-٣٢٢.

(٧) البيت من الرمل، وهو للنابغة الجعدي في «ديوانه» ص٩٠، «تهذيب اللغة» ٢/ ٩٦، وينسب للبيد، وهو في «ديوانه» ص٢٠٠، «لسان العرب» ١١/ ٤٤٦ (عسل)، «الكامل» ١/ ٣٢١. وبلا نسبة في «جمهرة اللغة» ص٣٠٥، ٨٤٢، «المخصص» ٧/ ١٢٦، «الخصائص» ٢/ ٤٨. يقال: عسل الذئب والثعلبي يعسِل عَسلًا وعسلانًا، مضى مسرعًا واضطرب في عدوه وهزَّ رأسه. وقاربًا نقرب: أي نطلب والأصل في هذا طلب الماء ثم توسع فيه. والنسل: هو الإسراع في المشي.

ابن السكيت: يقال: نسل في العدو ينسل نسلانًا[١].

وقد يقال في مصدره: النسل، ومنه الحديث: شكونا إلى رسول الله ﷺ الضعف فقال: «**عليكم بالنسل**»[٢].

وقال ابن الأعرابي: النسل ينشط، وهو الإسراع في المشي[٣].

٥٢- قال مقاتل: فلما رأوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا أن البعث حق[٤]. فقالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾. قال المفسرون: إنما يقولون هذا؛ لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون.

قال مقاتل: إن أرواح الكفار كانت تعرض على منازلها من النار طرفي النهار[٥] وكل يوم، فلما كان بين النفختين رفع فرقد تلك الأرواح، فلما بعثوا في النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل[٦] فقالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾.

قال أبي بن كعب: ينامون قبل البعث نومة[٧].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٤٢٨ (نسل).

(٢) أخرجه الخطابي في «غريب الحديث» ٢/ ٣٧١، وابن الأثير في «غريب الحديث» ٥/ ٤٩ (نسل)، والزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» ٣/ ٤٢١ (نسل)، وابن الجوزي في «غريب الحديث» ٢/ ٤٠٥ باب النون مع السين.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٤٢٨ (نسل)، «اللسان» ١١/ ٦٦١ (نسل).

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٥) (الواو) هنا زائدة، وليست في «تفسير مقاتل».

(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٧ ب.

(٧) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٥٠٥، «زاد المسير» ٧/ ٢٥. وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٦٣ وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال أبو هريرة: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر عليهم ماء من تحت العرش، فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا تكاملت أجسادهم نفخ فيها الروح، ثم تلقى عليهم نومة، فبينما هم في قبورهم إذ نفخ في الصور، فجلسوا وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون:[1] ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾. وأكثر القراء وأهل المعاني على أن الوقف تام عند قوله[2]: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، ثم يبتدئ فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. قال ابن عباس: تقول الملائكة: هذا ما وعد الرحمن على ألسنة الرسل أن يبعث بعد الموت، ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ بأن البعث حق[3].

وذهب آخرون إلى أن هذا من قول المؤمنين. روي عن أبي بن كعب أنه قال: فيقول المؤمن: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[4].

وقال قتادة: أولها للكافرين وآخرها للمؤمنين قال الكافر: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقال المسلم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٨٠، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٨٠، «القطع والائتناف» ص٩١، «منار الهدى» ص٣٢٠، «المكتفى في الوقف والابتداء» ص٤٧٣.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٢. وأكثر المفسرين ذكروا هذا القول، ولكن لم أقف على من نسبه لابن عباس. انظر: «الماوردي» ٥/ ٢٤، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٨، «زاد المسير» ٧/ ٢٦، «ابن كثير» ٣/ ٥٧٤.

(٤) لم أقف على هذا القول عن أبي، وقد ذكر المفسرون هذا القول عن قتادة ومجاهد. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٤٥، «الطبري» ٢٣/ ١٦-١٧، «الماوردي» ٥/ ٢٤، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٥٠٥.

ونحو هذا قال مجاهد[١]، واختاره الزجاج[٢]. والقول الأول اختيار الفراء[٣]. وهذا في موضع رفع، كأنك قلت: هذا وعد الرحمن.

وذهب قوم إلى أن الوقف على قوله هذا، على أن يكون هذا من نعت مرقدنا، ثم تبتدئ: ما وعد الرحمن، حكى ذلك النحاس[٤]، وذكره الفراء[٥]، والزجاج. قال الزجاج: (إذا وقفت على قوله هذا، كان ما وعد الرحمن على ضربين أحدهما على إضمار هذا. والثاني على إضمار حق، فيكون المعنى: حق ما وعد الرحمن. قال: والقول الأول- أعني ابتداء هذا- عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة)[٦].

٥٣- ثم ذكر النفخة الثانية فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ الآية، وهي ظاهرة، وكذلك ما بعدها، ثم ذكر جل وعز أوليائه فقال:

٥٤- ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ قال ابن عباس: يريد في الآخرة[٧].

﴿فِى شُغُلٍ﴾ وقرئ: شُغْل، وهما لغتان[٨].

---

(١) انظر: «المصادر السابقة».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩١.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٨٠.

(٤) «القطع والائتناف» ص٩١.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٨٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩١.

(٧) في «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٤٤٤ قال: يوم القيامة. ولم أقف على من نسب هذا القول لابن عباس. وانظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٣، «زاد المسير» ٧/ ٢٧، «ابن كثير» ٣/ ٥٧٥.

(٨) انظر: «علل القراءات» ٢/ ٥٦٦، «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» ص٢٩١.

قال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة: يريد افتضاض العذارى والأبكار[١].

وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار، فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم[٢].

وروى مجاهد عن ابن عباس: شغلوا بفضة العذارى[٣].

وقال أبو الأحوص[٤]: شغلوا بافتضاض[٥] الأبكار على السرر في الحجال.

وقوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ قال ابن عباس: ناعمون[٦].

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٣/ ١٨، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٣، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٨.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٢٧، وأورده الطبري ٢٣/ ١٨ برواية عكرمة عن ابن عباس.

(٤) لم أستطع تحديده، فهناك أبو الأحوص: قاضي عُكبر، أبو عبد الله محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي مولاهم البغدادي المشهور بأبي الأحوص. حدَّث عن أبي نُعيم، وعبد بن رجاء وخلق غيرهما وروى عنه ابن ماجه حديثًا واحدًا وأبو عوانة وعثمان بن السَّمَّاك وغيرهم. قال الدارقطني عنه: إنه من الحفَّاظ الثقات. توفي بعكبرى سنة ٢٧٩هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ٣٦٢، «تهذيب الكمال» ٢٦/ ٥٧١، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٥٦، أو لعله: الإمام الثقة سلَّام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (بافتضاض).

(٦) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٢، ولم أقف على من نسبه لابن عباس، وقد ذكره أكثر المفسرين عن مقاتل وقتادة والسدي.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣٧ أ، «الماوردي» ٥/ ٢٥، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٣، «زاد المسير» ٧/ ٢٨، «القرطبي» ١٥/ ٤٤.

وقال مقاتل وقتادة: أي معجبون بما هم فيه. وهو قول الحسن والكلبي[١]. وهذان القولان عليهما أهل التفسير، ولكل منهما أصل في اللغة، فمن قال: فاكهون ناعمون[٢]. فأصله من الفكيهة والفاكهة، وهي المزاح والكلام الطيب، يقال: فاكهت القوم بملح الكلام مفاكهة.

روى أبو عبيد عن أبي زيد: الفكه الطيب النفس الضحوك. روى شمر عنه: رجل فكه وفاكهة[٣]، وهو الطيب النفس المزاح[٤]، وأنشد أبو عبيدة:

فكه العشي إذا تأدب رحله   رَكْبُ الشتاءِ مسامح في الميسر[٥]

[وأنشد أيضًا]:[٦]

فكِهٌ لدى جنبِ الخِوانِ إذا أتت   نكباءَ تقلعُ ثابت الأطنابِ[٧]

قال الفراء والزجاج والكسائي: الفاكه والفكه كالحاذر والحذر

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ. وانظر المصادر السابقة.

(٢) في (أ): فاكين ناعمين، وهو خطأ.

(٣) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: فاكه.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٦ (فكه)، «اللسان» ١٣/ ٥٢٣ (فكه).

(٥) البيت من الكامل وهو لصخر بن عمرو بن الشريد، أخو الخنساء، في «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٣، «أساس البلاغة» ص٣٤٦ (فكه).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) لعل نسبه هذا البيت لأبي عبيدة خطأ من المؤلف تابع فيه الأزهري، فقد نسبه لأبي عبيدة كما في «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٦، أما ابن منظور في «اللسان» فقال أنشده أبو عبيد. والبيت من «الكامل»، وهو بلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٦، «اللسان» ١٣/ ٥٢٤ (فكه)، «أساس البلاغة» ص٣٤٦ (فكه). والخوان: هو الذي يؤكل عليه معرَّب، والجمع أخون، «اللسان» ١٣/ ١٤ (خون)، والنكباء: كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر. «اللسان» ١/ ٧٧١ (نكب).

والفاره والفره ولم يسمع في الثلاثي فعل[١] .

قال الأخفش: ولم أسمع فكه يفكه[٢]. ويجوز أن تكون الفاكه كاللابن والتامر، وهو قول أبي عبيدة والأخفش .

قال أبو عبيدة: (من قرأها فاكهون، معناه صاحب فاكهة، أي: كثير الفاكهة، وأنشد للحطيئة فقال:

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر [٣])[٤].

وقال أبو الحسن: فاكهون به وفاكهة وذو الفاكهة ناعم[٥]. فلذلك قال المفسرون في تفسير الفاكه: أنه الناعم، ومن قال: الفاكه المعجب، فإن العرب تقول: فكهنا من كذا، أي: تعجبنا، ومنه: قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] أي: تعجبون[٦].

٥٦- وقوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ يعني حلائلهم من الحور العين [ ][٧].

ومنه قوله: ﴿ظِلَالٍ﴾، قال مقاتل: يعني أكنان القصور[٨]. وذكرنا

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٨٠، «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩١، ولم أقف على قول الكسائي.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت من مجزوء «الكامل»، وهو للحطيئة في «ديوانه» ص٣٣، «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤، «الكتاب» ٢/ ٨٨، «المقتضب» ٣/ ٥٨، «الخصائص» ٣/ ٢٨٢، وهذا البيت من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤.

(٥) لم أقف على قول أبي الحسن.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٦ (فكه)، «اللسان» ١٣/ ٥٢٣ (فكه).

(٧) ما بين المعقوفين- قدر كلمة أو كلمتين- لم أستطع قراءتها أو فهمها في جميع النسخ.

(٨) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

معنى الظلال عند قوله: (يتفيأ ظلاله) [النحل: ٤٨].

وقرئ: ظلل، وذكرنا معناها عند قوله: ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠][١]. وتفسير الأرائك مذكور في سورة الكهف[٢].

قال أبو علي الفارسي: (الظلل جمع ظلة، مثل غرفة وغرف، والظلال يجوز أن يكون جمع ظلة أيضًا كعبلة وعلاب، [وجفرة][٣] وجفار، وبرمة وبرام. ويجوز أن يكون جمع ظلل)[٤].

قال أبو عبيدة في هذه الآية: (في ظلال واحدها ظلة والجمع الظلل، وهو الكن لا يصحوا، وقال: الأرائك واحدها أريكة، وهي الفرش في الحجال، وأنشد قول ذي الرمة:

حدود جفت في السير حتى كأنما ... يباشرن بالمعزاء مس الأرائك[٥])[٦]

---

(١) قال هناك: الظُلل: جمع ظلة مثل: هلة وهُللَ والظُلة: ما يستظل به من الشمس ويسمى السحاب ظلة؛ لأنه يستظل بها، منه قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ أرد غيمًا تحت سموم.

(٢) عند الآية (٣١)، وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (أ)، والجفرة تأنيث جَفْر، وهو من أولاد الشاء إذا عظم وفصل عن أمه «اللسان» ٤/ ١٤٢.

(٤) «الحجة» ٦/ ٤٣-٤٤.

(٥) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في «شرح ديوانه» ٣/ ١٧٢٩، «مجاز القرآن» ١/ ٤٠١، ٢/ ١٦٤.

ومعنى البيت: جفت في السير: أي لم تطمئن فيه، والأرائك: جمع أريكة وهي الأسرة، والمعزاء: أرض غليظة ذات حصى. يقول: كأنهن إذا وقعن على المعزاء وجدن بها مس الأرائك من التعب والإعياء. «ديوان ذي الرمة» شرح أبي نصر الباهلي ص١٧٢٩.

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤.

ونحو هذا قال أبو إسحاق[١]. وأما المفسرون فإنهم قالوا في تفسير الأرائك: إنها السرر عليها الحجال، وهو قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل[٢].

وقال أحمد بن يحيى: الأريكة لا تكون إلا سريرًا في قبة علية شواره ومخدة[٣].

وقال الكلبي: الأرائك السرر في الحجال، لا تكون أريكة إلا إذا اجتمعتا، فإذا تفرقتا فليس بأريكة[٤].

٥٧- وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ قال أبو عبيدة: ما يتمنون، تقول العرب: ادع على ما شئت، أي: تمن[٥]، ونحو هذا قال ابن قتيبة[٦]. والزجاج قال: هو مأخوذ من الدعا، المعنى: كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم[٧].

قال ابن عباس: يريد ما يتمنون وما يشتهون[٨]. وهو قول مقاتل[٩].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٢.

(٢) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٠، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٥٠٨، «المحرر الوجيز» ٤/ ٤٥٩، «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٥/ ١٣٨، «فتح القدير» ٤/ ٣٦٥. ومعنى شواره: أي زينته. انظر: «اللسان» ٤/ ٤٣٤ (شور).

(٤) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٣.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤.

(٦) «تفسير غريب القرآن» ص٣٦٧.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٢.

(٨) انظر: «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ٣٧٢.

(٩) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

وقال الكلبي: يسألون، من التحف والتمني[١]. والسؤال معنى وليس بتفسير. وحقيقة تفسيره ما ذكره الزجاج: أي ما يدعونه أهل الجنة فهو لهم؛ لأن الادعا افتعال من الدعا، فيدعون بمعنى يدعون[٢].

٥٨- وقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا﴾. قال أبو إسحاق: سلام بدل من ما، المعنى: لهم سلام بقوله ﷻ ﴿قَوْلًا﴾[٣]. وهذا الذي ذكره الزجاج معنى قول أبي عبيدة: سلام رفع على لهم عملت فيه، وقولًا خرجت مخرج المصدر الذي يخرج من غير لفظ فعله[٤]. أي: يقولون ذلك قولًا. ونحو هذا قال الفراء والكسائي[٥].

قال ابن عباس: يرسل الرحيم إليهم بالسلام[٦].

وقال الكلبي: يرسل إليهم ربهم الملائكة في جناتهم بالتحف من عنده وبالسلام[٧].

وقال مقاتل: إن الملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب، يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم[٨]. فهؤلاء قالوا: إن الله يرسل إليهم بالسلام.

---

(١) لم أقف عليه عن الكلبي، وقد ذكر الماوردي ٥/ ٢٦ نحوه عن أبي عبيدة.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤.
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٨٠، ولم أقف على قول الكسائي.
(٦) ذكر نحوه أبو حيان في «البحر المحيط» ٧/ ٣٢٧ عن ابن عباس.
(٧) لم أقف عليه عن الكلبي. وانظر: «تفسير هود بن محكم» ٣/ ٤٣٨، «مجمع البيان» ٨/ ٦٧١ فقد ذُكر نحو هذا القول غبر منسوب.
(٨) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

وروى جابر عن النبي ﷺ: «**إن الله يشرف على أهل الجنة فيقول: السلام عليكم يا أهل الجنة**». فذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[١]. وهو قول كعب القرظي[٢].

٥٩- وقوله: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ أي: انقطعوا وتميزوا منهم، يقال: أمزت الشيء من الشيء أميزه، إذا عزلته عنه، فانماز وامتاز، وميزته فتميز[٣].

وقال ابن عباس: يقول تنحوا أيها المشركون[٤].

وقال مقاتل: اعتزلوا اليوم - يعني: في الآخرة - من الصالحين[٥].

وقال السدي: كونوا على حده[٦]. وهذا قول أكثر المفسرين[٧]، واختيار أبي إسحاق قال: معناه: انفردوا عن المؤمنين[٨].

وقال الضحاك: هم يفرد كل واحد من أهل النار بيتًا ويرد بابه،

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» باب: ما أنكرت الجهمية ١/ ٣٦ رقم ١٧٢. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٩٨: رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف.

(٢) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٦٦، وزاد نسبته لأبي نصر السجزي في «الإبانة».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ٢٧٢ (ماز)، «اللسان» ٥/ ٤١٢ (ميز).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكر الماوردي نحوه ٥/ ٢٦ عن الكلبي، وذكره هود بن محكم ٣/ ٤٣٨ ولم ينسبه.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥١٧. وانظر: «البغوي» ٤/ ١٦، «مجمع البيان» ٨/ ٦٧١.

(٧) المصادر السابقة. وانظر كذلك: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤، «زاد المسير» ٧/ ٣٠.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٢.

فيكون فيه أبدًا، لا يَرى ولا يُرى. وعلى هذا امتيازهم: أن يمتازوا بعضهم من بعض[(١)].

٦٠- وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: ألم آمر ولم أوص، كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: ١١٥] وقد مر.

قال ابن عباس: ألم أقدم إليكم[(٢)].

وقال الزجاج: ألم أتقدم إليكم، يعني على لسان الرسل[(٣)]. ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قال مقاتل: يعني الذين أمروا بالاعتزال[(٤)].

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا يطيعوا إبليس في الشرك. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ من العداوة إخراج أبويكم من الجنة. قاله ابن عباس[(٥)]. قال سعيد بن جبير والكلبي: من أطاع الشيطان فقد عبده[(٦)].

٦١- ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ يعني: ألم أعهد إليكم أن اعبدوني. قال ابن عباس: أطيعوني[(٧)]. وقال مقاتل: وحدوني[(٨)]. ﴿هَٰذَا﴾ يريد الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[(٩)] يعني: دين الإسلام. ثم ذكر عداوته لبني

---

(١) انظر: «الماوردي» ٥/ ٢٦، «البغوي» ٤/ ١٦، «القرطبي» ١٥/ ٤٦.

(٢) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٢.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه عنهما. وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤ ونسبه لابن عباس.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤، «زاد المسير» ٧/ ٣٠، «البغوي» ٤/ ١٧.

(٨) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٩) قوله: (مستقيم) غير مثبت في (ب).

آدم فقال: [ ][١]

٦٢- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي: عن الهدى .﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ فيه وجوه من القراءة: جُبُلًا وجُبْلًا بالضم وتشديد اللام قال: وجبل وجِبِلَّة لغات كلها[٢]. ونحو هذا قال أبو عبيدة، قال: ومعناها: الخلق والجماعة[٣] .

وقال الليث: الجبلة الخلق خلقهم الله فهم مجبولون، وأنشد: بحيث شد الجبابل المجابلا[٤].

أي: حيث شد أسر خلقه[٥]. وجبل الإنسان على هذا الأمر، أي: طبع، فهو مجبول عليه .

قال ابن عباس ومجاهد والمفسرون: خلقًا كثيرًا[٦].

قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد ما رأيتم من الأمم قبلكم ألم تعقلوا فتعتبروا بما رأيتم من الأمم قبلكم[٧].

---

(١) في (أ): زيادة (قوله تعالى) وهو هنا زائد لا يحتاج السياق.

(٢) «الحجة» ٦/ ٤٤-٤٥، «الحجة في القراءات السبع» ص٢٩٩، «علل القراءات» ٥٦٧/٢.

(٣) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٤.

(٤) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله، وهو في «تهذيب اللغة» ١١/ ٩٦، «اللسان» ١١/ ٩٨.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٩٦ (جبل)، «اللسان» ١١/ ٩٨ (جبل).

(٦) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٢، «تفسير مجاهد» ص٥٣٦. وانظر: «البغوي» ٢٣/ ٢٣، «الماوردي» ٥/ ٢٧، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «الوسيط» ٣/ ٥١٧، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤، «البغوي» ٤/ ١٧، «زاد المسير» ٧/ ٣١.

٦٣- قال مقاتل: فلما دنوا من النار، قال لهم خزنتها: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا فتكذبون[١].

٦٤- ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: قاسوا حرها وشدتها. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الآخرة. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم بما كان في الدنيا.

٦٥- وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾. قال مقاتل والكلبي: وذلك أنهم أنكروا الشرك والتكذيب، فيختم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم بإذن لها في الكلام، فشهدت عليهم بما عملوا[٢].

٦٦- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ذكرنا معنى الطمس في سورة النساء ويونس[٣]. قال أبو عبيدة[٤] والمبرد[٥] والزجاج[٦] في هذه الآية: يقال: عين طمس ومطموس، وهو الذي لا يرى شق عينه ولا يتبين جفنه. وذكرنا في تفسير هذه الآية قولين. قال مقاتل: يقول: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا طريق الهدى، ثم

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٢) المصدر السابق، ولم أقف عليه عن الكلبي.

(٣) في سورة النساء: الآية ٤٧، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ الآية، وهذه الآية مع آية أخرى ناقصة من المخطوط.
وفي سورة يونس: آية ٨٨ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وقال المؤلف هناك بعد أن أحال على آية النساء. قال الزجاج: تأويل طمس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كانت عليها.

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٥.

(٥) لم أقف على هذا القول عن المبرد.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٣.

قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ يقول: فمن أين يبصرون طريق الهدى، ولم أعم عليهم طريق الكفر؟[١]. ونحو هذا قال الكلبي[٢].

القول الثاني: أن معنى الآية لو نشاء لأعميناهم وتركناهم عميًا يترددون، وكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ وهذا قول الحسن وقتادة والسدي[٣]. وهو الاختيار لأن الله تعالى يهددهم بهذه الآية كالتي بعدها كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة. وهذا القول اختيار المبرد والزجاج.

قال المبرد: تأويل الآية قال: راموا الاستباق إلى المنهاج، فمن أين لهم أبصار؟[٤].

وقال الزجاج: أي لو[٥] نشاء لأعميناهم فعدلوا عن الطريق، فمن أين[٦] يبصرون؟.

وذكرنا معنى الاستباق عند قوله: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥]. والاستباق هاهنا معناه غير معنى ما تقدم. قال الأزهري: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فجازوا الصراط وخلفوه، وهذا الاستباق من واحد والذي في سورة يوسف

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٤، ونسبه بعض المفسرين لقتادة القائل. انظر: «البغوي» ٤/ ٣٦، «زاد المسير» ٧/ ٣٢، «القرطبي» ١٥/ ٤٩.

(٣) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٥، «الماوردي» ٥/ ٢٩، «البغوي» ٤/ ٣٦.

(٤) لم أقف على قول المبرد.

(٥) في (ب): (ولو نشاء).

(٦) في (أ) كرر قول الزجاج ولكنه قال في آخر مرة: فمن أين لهم أبصار، وقال في الأخرى: فمن أين يبصرون. كما أثبته وكما هو في «معاني الزجاج» ٤/ ١٩٣.

من اثنين؛ لأن هذا بمعنى سبقوا، والأول بمعنى المسابقة[١] هذا كلامه. ويدل على صحته قول أبي إسحاق[٢]: عدلوا عن الطريق [في هذه الآية][٣]. ومعنى عدلوا عن الطريق ما ذكره الأزهري: جازوا الصراط وخلفوه.

ويدل على صحة القول الثاني ما ذكره عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال: إن الأسود بن عبد الأسود أخذ حجرًا وجماعة من بني مخزوم معه ليطرحوه على رسول الله ﷺ وهو يصلي، فطمس الله بصره وألصق الحجر بيده، فما أبصر ولا اهتدى[٤]. ومعنى الاستباق في هذا القول ما ذكروا في القول الأول معناه: فاهتدوا الطريق.

قال الكلبي: فاستبقوا إلى الصراط المستقيم[٥]. وفي هذا القول عدول عن الظاهر؛ لأن قوله: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ يقتضي طمس الأعين الظاهرة مع أنه ليس يليق بما بعده، وهو قوله[٦]:

٦٧- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾. قال ابن عباس: يريد لمسخت أبا جهل وكل من معه، على مكانتهم: يريد بالموضع الذي كانوا فيه قعودًا[٧].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٨/ ٤١٨ (سبق).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٩٣.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (أ).

(٤) انظر: «القرطبي» ١٥/ ٥٠.

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي، وقد ذكر القرطبي نحوه عن ابن عباس ١٥/ ٤٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٣٢ وقال: روى عن جماعة منهم مقاتل.

(٦) في (ب): (واو) زائدة، (وقوله)، وهو خطأ.

(٧) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٩، «الماوردي» ٥/ ٢٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٥١٤.

قال أبو عبيدة[١] والزجاج[٢]: المكانة والمكان واحد. وهذا مما تقدم القول فيه .

وقال مقاتل: لو شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيها أرواح.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ قال: يقول لا يتقدمون ولا يتأخرون[٣]. وقال ابن عباس: لم يتقدموا ولم يتأخروا[٤] .

وقال أبو إسحاق: أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء[٥]. هذا الذي ذكرنا هو الصحيح في تفسير الآية، وقال قتادة: يقول لو نشاء لجعلناهم كسحا لا يقومون[٦]. والكسح جمع الأكسح، وهو المقعد. والقول هو الأول؛ لأن معنى المسخ تحويل الصورة إلى صورة ذي روح كالقرد والخنزير، ولم يصح عنده هذا المسخ في الآية مع قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾ فعدل إلى المسخ بالإقعاد، وليس كما ظن فإنه؛ يقال: مسخه الله حجرًا، وقد أوضح ذلك مقاتل.

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ وقرئ: نُنَكِّسه، بالتشديد، يقال: نكسته[٧] أنكسه وأنكسه، ونكسته

---

(١) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٥.

(٢) «مجاز القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٨ أ.

(٤) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٣، «زاد المسير» ٧/ ٣٣. وانظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٦، «الماوردي» ٥/ ٢٩.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٣.

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٤٦١، «المحرر الوجيز» ٤/ ١٤٥، «زاد المسير» ٧/ ٣٣.

(٧) في (ب): (نكسه).

أنكسه[١]. وقد ذكرنا معنى النكس عند قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ﴾ [الأنبياء: ٦٥][٢]. قال الأخفش: ننكسه هو كلام العرب، ولا يكادون يقولون: نكسته، إلا لما يقلب فيجعل[٣] رأسه أسفله[٤]. قال مقاتل: يعني أدرك العمر[٥].

وقال أبو إسحاق: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار بدل القوة ضعفًا وبدل الشباب هرمًا[٦]. وهذا معنى قول قتادة: هو الهرم يتغير بصره وقوته، كما رأيت قوله في رواية معمر[٧]. وهذا عام في كل من يهرم، تتراجع قوته ويتغير عما كان عليه في شبابه.

وقال الكلبي[٨]: من نعمره حتى يدركه الهرم يرده في الخلق الأول الذي كان لا يعقل فيه شيئًا. وروي ذلك عن قتادة[٩] قال: ننكسه في الخلق لكي لا يعلم بعد علم شيئًا، يعني: الهرم. وهذا لا يعم؛ لأنه ليس كل من عمر صار إلى الفند، على أن ابن عباس خص الآية بالكافر فقال في رواية

---

(١) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٧، «الحجة» ٦/ ٤٥.
(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٢٤٦ أ.
(٣) في (ب): (فنجعل).
(٤) انظر: «الحجة» ٦/ ٤٥، «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» ٢/ ٢٢٠.
(٥) لم أقف على قول مقاتل، وليس هو في «تفسيره».
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٣.
(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٤٥، «الطبري» ٢٣/ ٢٦، «معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٥١٤.
(٨) لم أقف على قول الكلبي. وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٢٠٠ نحوه عن قتادة.
(٩) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٧٤، «القرطبي» ١٥/ ٥١.

عطاء: ومن نعمره يريد المشركين، نرده إلى ذهاب العقل، كما قال ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] يريد الكافرين من ولد آدم[١]. فالنكس على هذا القول ردّه من حالة العلم إلى حالة الجهل، وعلى القول الأول من القوة إلى الضعف ومن الشباب إلى الشيب، ومن الزيادة إلى النقصان.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: فليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان، قدر على البعث بعد الموت، ومن قرأ بالتاء، فلقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾.

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ قال الكلبي[٢] ومقاتل[٣]: نزلت في مشركي مكة، حين قالوا: إن القرآن شعر، وإن محمدًا شاعر ساحر كذاب، فقال الله تكذيبًا لهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾. قال ابن عباس: يريد ما[٤] ينبغي له الشعر، ما كان يروي بيت شعر ولا يقومه مستقيمًا[٥]. قال أبو إسحاق: وما يتسهل ذلك[٦].

وأصل (ينبغي) من قولهم: بغيت الشيء أبغيه، أي: طلبته، فابتغى لي ذلك الشيء أن تسهل وحصل، كما تقول: كسرته فانكسر[٧]. وكان

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب، «البغوي» ٤/ ١٨، «زاد المسير» ٧/ ٣٤.

(٤) في (ب): (وما).

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٧، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٥. البغوي ٤/ ١٨، «مجمع البيان» ٨/ ٦٧٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٣.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٢١٢ (بغي)، «اللسان» ١٤/ ٧٦ (بغا).

النبي ﷺ بالصفة التي وصفه الله بها ما كان يقرن له بيت شعر، حتى إنه إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرًا، فقد روي أنه كان يتمثل بقول العباس بن مرداس فيقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة(١)

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس(٢) يقول:

كلي(٣) الإسلام والشيب للمرء ناهيًا(٤)

وكان يتكلم ببيت طرفة فيقول:

ويأتيك من لم تزود بالأخبار(٥)

---

(١) البيت من المتقارب وصحته: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع. وهو في «ديوان العباس» ٨٤، «لسان العرب» ١/ ٧٧٤ (نهب)، «تاج العروس» ٤/ ٣١٩ (نهب)، «خزانة الأدب» ١/ ١٥٣. وذكر هذا الأثر القرطبي في «تفسيره» ١٥/ ٥٢.

(٢) عبد بني الحسحاس، اسمه سحيم، وكان عبدًا أسود نوبيًا أعجميًا، وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام ولا يعرف له صحبة. قُتل في خلافة عثمان ﷺ، قتله بنو الحسحاس لأنه أحبَّ امرأة منهم وطفق يتغزل فيها، فقتلوه خشية العار.

انظر: «الخزانة» ٢/ ١٠٢، «الأغاني» ٢٢/ ٣٠٥، «الشعر والشعراء» ص٢٤١.

(٣) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: كفى.

(٤) البيت من الطويل، وصحته:

عميرة ودع إن تجهزت غازيًا كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيًا

وهو لسحيم في: «البيان والتبيين» ١/ ٧١، «الكامل» ١/ ٢٨٥، «الخزانة» ١/ ٢٦٧، ٢/ ١٠٢، «الأغاني» ٢٢/ ٣٠٧، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤١.

وذكر هذا الأثر الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ٩/ ٣٥٢، وقال: أخرجه ابن سعد عن الحسن البصري، والقرطبي في «تفسيره» ١٥/ ٥٢.

(٥) البيت من الطويل، وصحته:

فيعاد عليه مستويًا فيقول: إني «**لست بشاعر ولا ينبغي لي**»[١]. والمفسرون ذهبوا إلى أنه ما كان يتسهل له أن يأتي ببيت موزون؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾. وما روي عنه من الأراجز كقوله: «**هل أنت إلا أصبع دميت**»[٢].

وقوله: «**لبيك إن العيش عيش الآخرة**»[٣].

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهو لطرفة بن العبد في معلقته المشهورة في: «ديوانه» ص٤١، «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» ٢/ ٥٧، «لسان العرب» ٢/ ٨ (تبت)، «تاج العروس» ١٥/ ١٥٠.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٦/ ٣١، ١٤٦، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ص٥٤٩، والترمذي في «سننه» أبواب الآداب، ما جاء في إنشاد الشعر ٤/ ٢١٨ رقم ٣٠٠٦. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٢٨: رواه الترمذي عن عائشة، ورواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار، والطبراني، عن ابن عباس، ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» «كتاب الجهاد»، باب من ينكب في سبيل الله ٣/ ١٠٣١ رقم ٢٦٤٨، وفي «كتاب الأدب»، باب ما يجوز من الشعر ٥/ ٢٢٧٦ رقم ٥٧٩٤ من حديث جندب بن سفيان. والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢١ رقم ١٧٩٦ من حديث جندب بن سفيان.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» «كتاب الجهاد»، باب التحريض على القتال ٣/ ١٠٤٣رقم ٢٦٧٩، وفي باب البيعة في الحرب ألا يفروا ٣/ ١٠٨١رقم٢٨٠١ عن أنس، وفي «كتاب الرقاق»، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٥/ ٢٣٥٧ رقم٦٠٥٠ عن أنس، ورقم٦٠٥١ عن سهل بن سعد الساعدي. وأخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» «كتاب الجهاد» باب غزوة الأحزاب ٣/ ١٤٣١رقم ١٨٠٤ من حديث أنس.

فالرجز جنس من الكلام ليس بشعر[١].

وقال أبو إسحاق: (ليس يوجب هذا أن يكون النبي ﷺ لم يتمثل ببيت شعر قط، وإنما يوجب هذا أنه ليس بشاعر، وأن يكون القرآن أتى به مباينًا لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب)[٢]. وعلى ما ذكر قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ معناه: وما يسهل له إنشاء الشعر من قبل نفسه.

قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ قال مقاتل: القرآن[٣]. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ قال ابن عباس: موعظة. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ قال: يريد فيه الفرائض والحدود والأحكام[٤].

٧٠- ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أي: القرآن، ومن قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ٨/ ٣٨ في شرحه لقول النبي ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**». قال: وقد أجيب عن مقالته ﷺ هذا الرجز بأجوبة: أحدها: أنه نظمه غيره وأنه كان فيه: أنت النبي لا كذب أنت عبد المطلب، فذكره بلفظ أنا في الموضعين. ثانيها: أن هذا رجز وليس من أقسام الشعر، وهذا مردود. ثالثها: أنه لا يكون شعرًا حتى يتم قِطْعَة. وهذه كلمات يسيرة لا تسمى شعرًا. رابعها: أنه خرج موزونًا ولم يقصد به الشعر، وهذا أعدل الأجوبة.

وقال الإمام القرطبي في «تفسيره» ١٥/ ٥٢: وإصابته ﷺ الوزن أحيانًا لا يوجب أنه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحيانًا من نثر كلامه ما يدخل في وزن ... فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعرًا ولا في معناه.

وانظر للاستزادة في الموضوع: «فتح الباري» ٨/ ٣٨، ١٠/ ٦٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/ ٥١، «الشعر الإسلامي في صدر الإسلام» ص٢٤ وما بعدها.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٤.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٤) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٣. وانظر: «البغوي» ٤/ ١٩، «زاد المسير» ٧/ ٣٣.

أي: لتنذر يا محمد بما في القرآن من الوعيد[١]. ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ قال ابن عباس: يريد مؤمنًا[٢].

وقال مقاتل: من كان مهتديًا في علم الله[٣].

وقال أبو إسحاق: أي من يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت، وإنه لا يتدبر[٤].

وقال أبو علي الفارسي: (يعني المؤمنين؛ لأن الكفار أموات كما قال ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢٦]. وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا لِّيُنذِرَ﴾ [الأنعام: ١٢٢])[٥].

وقوله: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: ويجب الحجة بالقرآن على الكافرين، ثم وعظهم ليعتبروا فقال: [ ][٦]

٧١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ أي: مما تولينا خلقه.

﴿أَيْدِينَا﴾ بإبداعنا وإنشائنا واختراعنا، لم نشارك في خلقه ولا خلقناه بإعانة معين ولا إرشاد دليل. وذكر الأيدي ها هنا بدل هذه المعاني التي[٧] ذكرنا وإنما خاطبنا بما نعقل، والألفاظ التي تستعمل نستعملها في مخاطبتنا، والواحد منا إذا قال: عملت هذا بيدي، دل ذلك على توليته

---

(١) انظر: «الحجة» ٦/ ٤٧، «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» ٢/ ٢٢٠.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس. وانظر: «الماوردي» ٥/ ٣٠، «زاد المسير» ٧/ ٣٧.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٤.

(٥) «الحجة» ٦/ ٤٧.

(٦) في (أ): زيادة (قوله)، وهي زيادة لا يحتاجها السياق.

(٧) في (ب): (الذي).

بعمله وانفراده به[١].

وأراد بالأنعام: الإبل والبقر والغنم. وقال المفسرون في قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾: عملناه.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ قال مقاتل: يعني لضابطين[٢]. وقال الزجاج: (مالكون ضابطون؛ لأن القصد إلى أنها ذليلة لهم، ألا ترى إلى قوله:

٧٢- ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾، ومثله قول الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا[٣]

أي: لا أضبط رأس البعير)[٤].

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾. قال الليث: الركوب بفتح الراء كل دابة تركب، والركوبة اسم يجمع ما يركب، كالحمولة والركوبة والحلوبة[٥].

وقال أبو عبيدة: ركوبهم ما ركبوا، والحلوبة ما حلبوا[٦].

قال الأزهري[٧]: فعول أكثر ما يجيء الفاعل كالمغفور والشكور،

---

(١) سبق أن بينا خطأ المؤلف رحمه الله في تفسير مثل هذه الآية، حيث إنه يؤول بعض الصفات وأهل السنة والجماعة يثبتون لله جل وعلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٣) البيت من المنسوخ وهو للربيع بن ضبع الفزاري في: «الخزانة» ٧/ ٣٨٤، «الكتاب» ١/ ٨٩، «لسان العرب» ١٣/ ٢٥٩ (ضمن).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٤.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٢١٨ (ركب).

(٦) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٥.

(٧) «تهذيب اللغة» ٨/ ٢١٦.

ويجيء بمعنى مفعول كالركوب والحلوب، وربما أدخلوا الهاء في هذا الباب، وقد يجيء اسمًا لا صفة كالذنوب، وهو النصيب أو الدلو، وقد يجيء مصدرًا كالقبول والولوغ والزروع [والوزوع][١].

قال مقاتل: (فمنها ركوبهم، يعني: حلوبتهم الإبل والبقر، ومنها يأكلون: الغنم)[٢].

٧٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ قال ابن عباس والكلبي: يعني بالركوب والحمل والأصواف والأوبار والأشعار والسحال[٣] والفصلان ومنافع كسبها وظهورها[٤]. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من ألبانها. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعم فيوحدونه.

٧٤- ثم ذكر جهلهم وغرتهم[٥] فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[٦] أي: لعلهم يمنعون من العذاب باتخاذ الآلهة.

٧٥- ثم بين أن الأمر ليس على ما يقدرون فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٣) السحال: جمع سحليل، وهو الناقة العظيمة الضرع التي ليس في الإبل مثلها، فتلك ناقة سحليل. وأما الفصلان: جمع فصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وأكثر ما يطلق في الإبل، وقد يقال في البقر (فصل) «اللسان» ١١/ ٥٢٢.

(٤) لم أقف عليه عنهما، وقد أورده بعض المفسرين غير منسوب. انظر: «القرطبي» ١٥/ ٥٦، «زاد المسير» ٧/ ٣٩.

(٥) لعله من التَّغرير، وهو حمل النفس على الغَرَرِ، والغُرور: بالضم الأباطيل. «اللسان» / ١٢ (غرر).

(٦) قوله: (آلهة) غير مثبت في النسخ، وهو خطأ.

قال ابن عباس: يريد أن الأصنام لا تقدر على نصرهم[(١)].

وقال مقاتل: لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب[(٢)]. ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الكفار. ﴿لَهُمْ﴾ الآلهة. ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

وقال ابن عباس ومقاتل: وهم لهم جند يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا[(٣)]. وهذا قول قتادة والحسن، واختيار أبي إسحاق.

قال قتادة: يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم[(٤)] خيرًا ولا تدفع عنهم شرًّا إنما هي أصنام[(٥)].

وقال الحسن: محضرون لآلهتهم يدفعون عنهم ويمنعونهم[(٦)].

وقال أبو إسحاق: أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم[(٧)]. وهذا القول هو الاختيار[(٨)]. وفيه قول آخر، وهو أن المعنى: والآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار، يريد أن العابدين والمعبودين كلهم مجتمعون في النار، فلا يدفع بعضهم عن بعض ولا ينتفع الكفار بعبادتهم ورجائهم نصرتهم. وهذا معنى قول الكلبي،[(٩)] ورواية معمر

---

(١) «تفسير ابن عباس» بهامش المصحف ص٣٧٣، وانظر: «الوسيط» ٣/ ٥١٩، «البغوي» ٤/ ٢٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٣) انظر لم أقف عليه منسوبًا لابن عباس، وهو في «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٤) في (ب): (لهم).

(٥) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٢٩، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٦، «زاد المسير» ٧/ ٣٩.

(٦) انظر: «القرطبي» ١٥/ ٢٩٠.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٥.

(٨) وهو ما رجحه الإمام الطبري ٢٣/ ٣٠.

(٩) انظر: «زاد المسير» ٧/ ٣٩.

عن الحسن[(١)]. وعلى هذا القول ﴿هُمْ﴾ كناية عن الآلهة، والكناية في هم الكفار والخلق لفظ للجند على الآلهة بزعمهم، وعلى ما كانوا يقدرون من أنها لهم جند تمنعهم، فقيل: إنهم لهم جند محضرون معهم النار. ثم عزى نبيه ﷺ فقال: [ ][(٢)]

٧٦- ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في ضمائرهم من الشرك والتكذيب .﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم. ومعنى أنا نعلم ذلك، ثم إذا علم أثاب نبيه على صبره على أذاهم وجازاهم بسوء صنيعهم، وكأنه قال: لا يحزنك ما يقولون، فإنا نثيبك ونجازيهم.

٧٧- وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء[(٣)]: يريد أبي ابن خلف. وهو قول مقاتل[(٤)]، والأكثرين[(٥)].

وقال سعيد بن جبير[(٦)]: هو العاص بن وائل.

وقال الحسن[(٧)]: هو أمية بن خلف، خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم حائل ففته بين يديه، وقال[(٨)]: أيحي هذه الله بعدما

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٤٦، «زاد المسير» ٧/ ٣٩.

(٢) في (أ): زيادة (وقوله تعالى) وهي زيادة لا يحتاجها السياق.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ١٠٧، وأورده السيوطي في «الدر» ٧/ ٣٩ وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٨ ب.

(٥) فقد قال به مجاهد وقتادة والسدي وعكرمة والكلبي. انظر: «الطبري» ٢٣/ ٣٠، «الماوردي» ٥/ ٣٣، «بحر العلوم» ٣/ ١٠٧. وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٧/ ٤١: وبه قال الجمهور. وعليه المفسرون.

(٦) انظر: «الطبري» ٢٣/ ٣٠، «زاد المسير» ٧/ ٤٠، «القرطبي» ١٥/ ٧٠.

(٧) انظر: «مجمع البيان» ٨/ ٦٧٨، «زاد المسير» ٧/ ٤١، «فتح القدير» ٤/ ٣٨٣.

(٨) في (ب): (فقال).

رم[١] وبلي فأنزل الله [وقوله][٢]: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: ألا يرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم، وهذا تعجب من جهله وإنكار عليه خصومته، أي: كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته[٣]. وهذا كقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤]. وقد مر تفسيره.

٧٨- ثم أكد الإنكار عليه بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾. قال مقاتل[٤]: وصف لنا شبها، يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم الحائل، ففته وبذره وينكر إحيائه بعد بلائه ويتعجب ممن يقول: إن الله يحييه. فهذا معنى ضرب المثل ها هنا، وهو أنه بين بما فعله إنكار البعث واعتقداه في استحالة الإعادة، وكان ذلك ضرب مثل الله. أي: فإن قدر على الإحياء والإعادة فليحي هذا العظم.

قوله تعالى: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾. قال مقاتل: يقول: وترك النظر في خلق نفسه ءأذا خلق من نطفة ولم يك قبل ذلك شيئًا[٥]. ثم بين أيش[٦] كان ذلك

---

(١) في (ب): (ورمى).

(٢) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ).

(٣) هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله فيمن نزلت هذه الآية هي بعض مقاله المفسرون. وقد قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٨١ بعد أن ذكر الأقوال: وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ للجنس، فيعم كل منكر للبعث. ا.هـ.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٠٩ أ.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أصل الكلمة: أي شيء.

المثل بقوله [ ][١]: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾. قال أبو عبيد: الرميم مثل الرمة، يقال منه: رم العظم، وهو يرم رما، وهو رميم[٢]. وقال ابن الأعرابي: رمت عظامه وأرمت إذا بليت[٣].

وقال أبو عبيدة: الرميم الرفات[٤]. وإنما قال رميم بغير هاء، وهو صفة العظام؛ لأنه منقول عن فاعل، فهو غير مبني على الفعل، وإذا لم يبن على الفعل لم يدخله عليه علامة التأنيث.

٧٩- ثم ذكر جواب المنكر بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. قال ابن عباس: يريد ابتدأها أول مرة[٥].

قال أبو إسحاق: والقدرة في الإبتداء أبين من الإعادة[٦].

وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد حين ابتدأه وحين يعيده[٧].

وقال مقاتل: عليهم بخلقهم في الدنيا وعليم بخلقهم بعد الموت[٨].

٨٠- ثم زاد في البيان وأخبر عن عجيب صنعه مما يشاهدون؛ ليعتبروا ويستدلوا فقال: ﴿أَيَدِينَا جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾. قال

---

(١) في (أ): زياد: ﴿قَوْلُهُۥ﴾ وهي زيادة لا يحتاجها السياق.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٩١ (رمم).

(٣) انظر: «اللسان» ١٢/ ٢٥٣ (رمم).

(٤) «مجاز القرآن» ٢/ ١٦٥.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥٢٠ ولم ينسبه، وكذا الماوردي ٥/ ٣٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٥.

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره الماوردي في «تفسيره» ٥/ ٣٢ ولم ينسبه.

(٨) «تفسير مقاتل» ١٠٩ أ.

الكسائي والفراء[١]: ذكر الشجر ها هنا، وفي قوله: ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ [الواقعة: ٥٢] ذكرها بالتأنيث، ثم ذكر أيضًا في قوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠] والشجر يؤنث ويذكر كالنخل و[[٢]] قد تقدم الكلام فيه[٣].

وقوله: ﴿نَارًا﴾ يعني: ما جعل من النار في المرخ والعفار، وهما شجرتان تتخذ الأعراب وقودها منهما. وقال ابن عباس: ليس من شجر إلا وفيها نار إلا الشجرة[٤] التي كلم الله موسى منها، وهي العناب[٥].

وقوله: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: تقدحون النار وتوقدونها من ذلك الشجر. قال مقاتل: والذي يخرج من الشجر نارًا وأنتم تبصرونه، والنار تأكل الحطب، فهو قادر على البعث[٦]. ومعنى الآية أنه يدلهم على قدرته على البعث بخلقه النار في الشجر الأخضر، ثم إيقادهم النار من الشجر الأخضر. قال مقاتل: ثم ذكر ما هو أعظم خلقًا من الإنسان[٧]، فقال: [ ][٨]

٨١- ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾

---

(١) لم أقف على قول الكسائي. وانظر قول الفراء في: «معاني القرآن له» ٢/ ٣٨٢.
(٢) قدر كلمة في جميع النسخة غير واضحة.
(٣) لم أقف على الموضع الذي أحال المؤلف رحمه الله إليه.
(٤) في (أ): (شجرة).
(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره الماوردي ٥/ ٣٤ عن الكلبي، والطبرسي في «مجمع البيان» ٨/ ٦٧٩ عن الكلبي أيضًا، والبغوي ٤/ ٢١ عن الحكماء.
(٦) «تفسير مقاتل» ١٠٩ أ.
(٧) المصدر السابق.
(٨) في (أ): زيادة (قوله تعالى)، وهي زيادة لا يحتاجها السياق.

هذا استفهام معناه التقرير، يقول: أو لا يقدر من خلق السموات والأرض على أن يخلق مثلهم. قال مقاتل: أن يخلق في الآخرة مثل خلقهم في الدنيا(١). وعلى هذا المضاف مقدر، وهذا كقوله: ﴿لَآكِلُونَ مِن قَوْلُهُۥ مِن زَقُّومٍ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله: ﴿زَقُّومٍ﴾ أي: هو قادر على ذلك. ﴿لِيُنذِرَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ خلقهم في الدنيا ويخلقهم في الآخرة خلقًا جديدًا. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ قال ابن عباس: بجميع ما خلق(٢).

ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء فقال: [ ](٣)

٨٢- ﴿إِنَّمَآ هُمْ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَمَوٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾. وهذا كقوله في سورة النحل: ﴿لَآكِلُونَ مِن قَوْلُهُۥ مِن زَقُّومٍ﴾ [النحل: ٤٠](٤) الآية وقد تقدم الكلام فيها.

٨٣- ثم نزه فيها نفسه عن قولهم أنه لا يقدر، فقال: ﴿ زَقُّومٍ﴾. قال أبو إسحاق: أي تنزيه من السوء، ومن أن يوصف بغير القدرة(٥). ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن﴾ قال مقاتل: يعني خلق كل شيء(٦). قال عطاء: ملك كل شيء(٧).

---

(١) المصدر السابق.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في (أ): زيادة (قوله تعالى)، وهي زيادة لا يحتاجها السياق.
(٤) في جميع النسخ: (أمرنا)، وهو خطأ.
(٥) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ١٢٤ ب.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٦.
(٧) «تفسير مقاتل» ١٠٩ أ.

وقال الزجاج: أي القدرة على كل شيء[١]. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: هو يبعثكم بعد موتكم.

وقال عطاء: يريد مصير عبادي إلي[٢]. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

[والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا][٣].

(١) لم أقف عليه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٢٩٦.

(٣) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب).